منظمة الاعلام الاسلامي
قسم العلاقات الدولية

الاسلام وايران

الجزء الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسلام وايران

تأليف

الشهيد آية الله مرتضى المطهري

ترجمة

محمد هادي اليوسفي الغروي

الجزء الثاني

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

الكتاب: الاسلام و ايران
المؤلف: الشهيد آية الله مرتضى المطهري
المترجم: محمد هادي اليوسفي الغروي
المطبعة: سپهر
عدد النسخ: ١٠٠٠٠ نسخة
الناشر: قسم العلاقات الدولية ــ منظمة الاعلام الاسلامي

الفهرست

الموضوع ..... الصفحة

مقدمة الناشر ٩

موهبة ام فاجعة؟ ١٠

نظر يات ١٢

النظام الفكري والعقائدي ٢٣

الاديان والمذاهب ٢٤

الدين الرسمي للدولة الزرادشتية ٢٩

الدين المسيحي ٣٣

دين ماني ٣٧

المذهب المزدكي ٤٠

الدين البوذي ٤٥

العقائد الآريّة ٤٨

عقائد آريا قبل زرادشت ٤٩

اصلاحات زرادشت ٥١

التطور في عقائد آريا بعد زرادشت ٥٦

زرادشت والثنوية ٦٣

الشيطان ٧٠

دين زرادشت في الفقه الاسلامي ٧١

الثنوية الزرادشتية بعد زرادشت ٧٢

الثنوية المانوية ٧٤

الثنوية المزدكية ٧٥

عبادة النيران ٧٥

هل النار محراب للعبادة أم معبود؟ ٨٠
الرسوم والتشريفات ٨٧
مزديسنا وادب پارسي ٩٠
النظام الاجتماعي ١٠١
نظام الأسرة ١٠٨
التعلّم والتعليم للمرأة ١١٤
النظام الأخلاقي ١١٥
صحيفة أعمال الاسلام في ايران ١٢٠

القسم الثاني:

معطيات الإِسلام لايران:

موهبة ام فاجعة؟
نظر يات...
النظام الفكري والعقائدي.
الاديان و المذاهب.
الدين الزرادشتى.
الدين المسيحي.
الدين او المذهب المانوي.
الدين او المذهب المزدكى.
الدين البوذي.
العقائد الآر ية.
الثنو ية الزرادشتية.
عبادة النيران.
نظام المجتمع.
نظام الأسرة.
النظام الاخلاقي.
ما قدمه الإِسلام لايران.

مقدمة الناشر:

من جديد؛ انطلق نداء الاسلام الاصيل من ايران، ايران الثورة، ايران الاسلام، ايران التي حطم شعبها عروش الظالمين المتحكمين بقيادة القائد الفذالبطل الامام الخميني حفظه الله وراح يعلنها للعالم كل العالم ان لا خلاص له الا بالاسلام، وان لامنهج لسعادته الحقيقية الا منهج القرآن الاصيل، و يدعوكل الشعوب الاسلامية ان ترجع الى ذاتها وشخصيتها الاسلامية الحقيقية فتكون خير امة اخرجت للناس. وهي بذلک تفجر اعظم ثورة فى القرون الاخيرة بوجود الطاغوت الارضي المستحكم.

ايران هذه؛ احياها الاسلام مرتين، مرة عند ما دخلت لاول مرة فى الاسلام فانقذها من وهدة الضياع المادي البئيس، واخرى عندما فجرفى شعبها هذه الثورة الاسلامية الكبرى...

و بين الفترتين روابط تختلف من حال الى حال تتبعها فقيد الثورة الاسلامية وشهيد الامة الكبير آية الله المطهري محللاً بنفس صبور وصبر دؤوب راداً على الشبهات القومية الضيقة، والوطنية المضادّة للروح الاسلامي مقدماً بذلک اضواء رائعةً فى هذا المجال، ومن الجدير بالذكر ان الكتاب انتشر قبل نجاح الثورة الاسلامية بسنين عديدة وكان له دوره فى التوعية و دفع الشبهات.

فالى قراءة هذه الفصول الممتعة ندعو القراء الاعزة راجين ان يكون لها الا ثر الكبير فى كشف بعض الاجزاء الغامضة من تاريخنا الاسلامي المجيد.

واننا لنتضرع للبارى العلي القدير أن يمنّ علينا بتحقق الدولة الاسلامية العالمية الواحدة حيث الدين كله لله.

والله المنان الموفق

منظمة الاعلام الاسلامي
قسم العلاقات الدولية

موهبة ام فاجعة؟:

نبحث في هذا القسم والذي يليه فى معطيات الاسلام لايران و الخدمات التى أسداها الفرس للاسلام.

فما هى المعطيات التى يقدمها دين او مذهب الى امة مّا؟ و من اي نوع هى؟

من البدهى آنها لا تكون كقضاء حاجة وقتية كأن يرسل لها المدد فى حربها مع اعدائها، او أن يغدق عليها الطعام فى قحط من السنين، او آن يؤسس لها المصانع و المعامل... بل هى من نوع الأساس بالنسبة الى هذه الأُمور.

انها تكون بايجاد ثورة مثمرة و مفيدة فى افكارهم و ارواحهم، و بتجديد اسلوب تفكيرهم فى نظرتهم الواقعية، و بتحسين اخلاقهم و تربيتهم تربية حسنة، و بأن يضع عنهم اصرهم و الاغلال التى عليهم من السنن و الأنظمة البالية، و أن يبدلهم عنها بأُ نظمة حية و سنن يقظة واعية، و أن يعلمهم اهدافاً سامية و ايماناً بها، و أن يوجدفيهم روح السعى و طلب العلم و نسيان الذات و البرّ إلى الآخرين.. و اذا حصل كلّ هذا فانه من الطبيعى أن نتحسّن حياتهم الاقتصادية، و أن تنشط الأيدي العاملة فيهم و قواهم الانسانية، و أن تتفجّرفيهم الافكار العلمية و الفلسفية و الفنية و الآدبية و الثقافية و الحضارية، و أن تتكامل الأُمة فى جميع شؤون ما يمكن أن يسمى بالحضارة الانسانية.

و اما ما يمكن أن تسديه الأُمة من الخدمة إلى دين مّا: فهو آن تسعىٰ في سبيل تبليغه و الدعوة اليه و نشر ثقافته و تدوين افكاره، و آن تهتم بتفهم مفاهيمه ثم بتفسيرها وتوضيحها للناس، و آن تخدم لغة ذلک الدين، و أن تعرف سائر الأُمم به، و أن تحامى عنه بالنفس و النفيس، و أن تضحى فى سبيله بكل ماتملک من حول و قوة، و أن تخلص له على جميع الأصعدة.

و سنبحث فى هذاالقسم من الكتاب حول القسم الأول من البحث اي معطيات الاسلام لايران.. و سنعرض للقسم الثانى اي خدمات الفرس للاسلام فى القسم الثالث من هذا الكتاب.

والآن: ينبغى لنا أن نرى هل أن الإسلام خدم الأُمة الفارسية الايرانية وفقاً لما قدّمناه من المقاييس ــ ام لا؟!:

فهل أن الإسلام حرّرايران من براثن السلطة الحاكمة الغاشمة الظالمة آنذاک، ثم نفخ روحاً حيةً يقظةواعية فى ضمير الانسان الفارسي الايراني، و غيّر مجرى تاريخ ايران الى مجرى أحسن من سابقته، و فجّر ينابيع القوى و الاستعدادات الفكرية فى شعوب هذه

الامبراطورية؟؟

أم أن الاسلام استعمر ايران (بالمعنى المصطلح من الاستعمار) فأوقف الأفكار، و غيّر مجرى تاريخ ايران ولكن إلى مسيرة منحرفة عن مسيرتها الصاعدة الظافرة التى كانت لها، وضيّع تلك الحضارة الايرانية؟؟

و هل أن الإسلام سبّب ظهوراً ناس من ايران فى عوالم العلوم و الفلسفة و المعارف و الفنون و الصنائع و الآخلاق بحيث تحسن سمعتهم و يعلوصيتهم فى العالم؟.

ام على العكس من ذلك أصبح مانعاً من ظهور هكذا شخصيات من ايران، ولو ظهر هؤلاء العلماء الايرانيون فى العالم الإسلامي فليس ذلك من حيث أن الإسلام هيأ الارضية المساعدة لتقدمهم فى العلوم و ظهورهم فيها، بل لم يكن للاسلام اي آثرفى ظهور هكذا شخصيات من ايران، و ان ظهور رجال في ايران من امثال ابن سينا و ابي ريحان البيرونى و الخواجة نصيرالدين الطوسي ليس إلامن اثر القريحة الفارسية الايرانية فى هؤلاء بل بتمردهم على الاسلام؟!و بالتالي فهل كان الإسلام لايران موهبة ام فاجعة؟!

ممّالا شك فيه أنه حينما ظهر الإسلام على صعيد الحياة و شكل تلك الحكومة الاسلامية و جمع مختلف الأُمم والشعوب تحت لواء واحد باسم الإسلام،ظهرت على مسرح الحياة حضارة عظيمة لم تكن تعرف من قبل، و قد عرفها التاريخ و علم الاجتماع باسم الحضارة الاسلامية. كانت تشترك و تساهم فى هذه الحضارة امم مختلفة من آسيا و افريقيا و حتى اوروپا. و كان الايرانيون من هذه الأُمم المساهمة فى هذه الحضارة، بل كان الحظّ الأوفى والنصيب الأوفر والسهم الاكبر من هذه الأُمة الايرانية، كمايتفق على هذاجميع ذوي الخبرة فى هذا المجال.

فما هى الحقيقة ياترى فى هذه الحضارة؟ فهل هى كما يحكى لنا اسمها حضارة اسلامية؟ اي هل كان الإسلام هو العامل الأصيل و المحرك الأساس والموجد لهذه الحضارة الواسعة الآرجاء والمترامية الأطراف؟ ام هل كانت هناك علل و أسباب و موجبات و بواعث اخرى، و أن كل امة من الأُمم المساهمة فيها ــ و منها الأُمة الايرانية ــ انما ساهمت فيها و فى التمدن الإسلامي ببواعث ترتبط بسابقتها الحضارية والمدنيةفى تاريخها الخاص بها؟.

انّ التحقيق فى هذاالبحث التاريخى الاجتماعي والدينى يستلزم أن نتصفح تاريخ ايران المقارن لظهور الإسلام، و ان نحقق فى الأنظمة الفكرية والاعتقادية والاجتماعية والسياسية والعائلية والأخلاقية فى ذلك العهد، فنقيس ذلك بما جاء به الإسلام و قدّمه للأُمم المسلمة و منها ايران، كي نصل بهذه الدراسة الى النتيجة الصحيحة.

و من حسن الحظّ أن تاريخ الاسلام و هكذا تاريخ ايران حين ظهور الإسلام من

الـوضوح بمكان يتيسر معه أن ندرک الحقيقة. وقد كثر البحث - كما نعلم - في النصف الاخير من القـرن الآخير حـول هـذا المـوضوع. و قد بدأ الاوربيون بطرح هذه المسألة لاول مرّة، و لم يكن الايـرانيون من قبل ــ كسائر أُمم العالم ــ قد تعودوا على أن يفكروا في هكذا مسائل، وقد كثر البـحـث اليـوم حول هذه المواضيع، الا أن المؤسف أن عصرنا هذا ــ او على الأقل امتنا ــ لم تـطـو مـراحل «الدعاية» الى التحقيق.. فهناک أُناس يتحدّثون عن نعمة الإسلام لهذه الأُمة كـالـبـبّغاء بلاوعي؛ و هكذا في مقابل هؤلاء أُناس يطرحون ما يقابل هذا المعنى؛ فيقرّرون أن نـفـوذ الإسـلام في ايـران انما هو فـاجعة لاموهبة! و لا يمر في هذا العصر نهار يوم لا تكتب فيه جـر يـدة او مجـلـة او كـتـاب في هـذا المـوضـوع، او لا تتحدث عنه ابواق الراديو او التلفز يون. والأهـم مـن هذا كله أن كتب المدارس الابتدائية و الثانو ية أيضاً لا تمسک عن تلقين طلبتها مطالب في هذا الموضوع!.

و نحـن نـر يـد أن نحـقق هذا الموضوع من دون اي تحيّز او تعصّب او تطرف، بل بحياد تحقيقيّ كامل. و نعتقد أن ارضية التحقيق في هذا البحث حاضرة و بسيطة. و من حسن الحظّ أن قـد حـقّق في بعض فروع هذه المسألة عدد من الاور پيين و الايرانيين، و نحن نستند في كثير من كلامنا على ما حقّقه و قال به اولئک السابقون.

نظر يات:

و مـن أجـل أن نـعـرض للقراء الكرام بعض النظر يات التي ارتئاها اصحابها في هذا الصدد نذكر نماذج منها:

نـقـل الـدكـتـور مـعين في كـتـابـه[1] عـن مـقـال للـدكتور تقي زادة بعنوان «التطورات الاجتماعية والمدنية لايران فيما مضى» أنه قال:

«... جـاء الاسلام... بدين جديد له محاسن، و اصول عادلة و قوانين منتظمة، و قد بـعـث انتشار الاسلام في ايران روحاً حيةً و قو ية اثرت حصول مطلبيـن آخر ين في هذه الديار الايرانية:

احدهما: دخول اللغة العر بية الثـر ية والغنية الى اللغة الفارسية... فان هذه اللغة حينما دخـلـت الى ايـران و اخـتـلطت بالتدر يج مع اللغة الآر ية اللطيفة والطر يفة و وجدت صيغتها الفصيحة الخاصة على لسان كبار الناطقين بها في القرون الرابعة والخامسة والسادسة الهجر ية؛ حـصـلـت لـنـا بـذلک لغة تتّسع لبيان جميع المطالب العلمية والأدبية. و انّ سعدي و حافظ و ناصر خسرو خير مثال للناطقين بها في المجالات العلمية و الأدبية.

---

١ ــ مزديسنا و آدب پارسى ص ١٦ من الطبعة الثانية.

وثانيها: هى تلك العلوم و المعارف و الحضارات الغنية الرائعة التى انتشرت بين المسلمين العارفين باللغة العربية ومنهم الايرانيين منذ اواسط القرن الثاني إلى أواخر القرن الثالث الهجري عن طريق ترجمة الكتب اليونانية والسريانية والهندية الى اللغة العربية فى المشرق الإسلامي... و قلما بقى من كتب العلوم والفنون و الآداب والحكمة اليونانية مما كان موجوداً فى ذلك العهد ما لم يترجم الى العربية...

و لقد كان من اثر هذه الترجمة العربية عن اليونانية أن انتشرت الحكمة والعلوم والفنون بين اوساط الممالك الاسلامية خصوصاً ايران، مما اثرفى ظهور عشرات العلماء من أمثال ابن سينا والفارابي والبيرونى و الرازي و غيرهم كثير و معهم عشرات المئات من تأليفاتهم الهامّة (التى كان ٩٩٪ بالعربية) و بهؤلاء تشكلت صورة الحضارة الاسلامية النيّرة منذ القرن الثانى و حتى القرن السابع الهجرى، التى كانت أرقى واعلى حضارة فى العالم بعد الحضارتين اليونانية والرومية...».

اكتفى السيد تقى زادة فى مقاله هذا بالقول بأن الإسلام بعث في الأُمة الايرانية روحاً جديدة، ولا يبحث حول ماأخذه الاسلام من ايران و ما وهبه لها حتى وجدت هذه الروح على اثره فى ايران. و سنحاول نحن فى هذا الكتاب أن نوضّح هذا الموضوع الى حدّما. اما السيد تقى زادة فقد اكتفى بالقول بأن الإسلام «جاء... بأُصول عادلة و قوانين منتظمة» و هذا هو مما جاء به الإسلام و وهبه لهذه الأُمة. و يصرح أيضاً: بأن الإسلام هو الذي مهّدسبل انفتاح افكارأدبية و حكمية و أخلاقية من قبيل ما نجده عند سعدي و ناصر خسرو و حافظ، و انفتاح افكارفلسفية و طبية و رياضية من قبيل ما نراه عند ابن سينا و الفارابي و الرازي و البيرونى و غيرهم.

و كتب السيد زين العابدين رهنما فى مقدمة ترجمته للقرآن الكريم يقول:

«...ان ظهور الإسلام فى الجزيرة العربية لمن اعظم الثورات فى تاريخ الانسانية... بدأت هذه الثورة منذ اوائل القرن السابع الميلادي و شملت بالتدريج فى مدة قصيرة جميع اراضى شبه الجزيرة العربية، ثم توجهت الى الدول المجاورة لها و التى كان لها آنذاك ارقى الحضارات والمعارف الموجودة حينذاك. إنّ التغييرات و التطورات العميقة والعجيبة التى اوجدها الإسلام فى مجتمعات تلك الأُمم بعنوان السنن الدينية الجديدة لمن الرموز العجيبة فى حياة البشرية، فانّها حطّمت كثيراً من مناسبات الحياة الجوفاء و خلقت بإزائها روابط حديثة كانت اقوى من السلاسل الفولاذية!. انّ هذه الثورة التى نسميها الحضارة الإسلامية لم تبدّل الجزيرة العربية والصحراء الجرداء الصامتة الهادئة التى لم يكن يعرف من أُناسها الا بعدد الأنامل الى تلك الجزيرة الصاخبة التى عرف منها عشرات المئات

من افرادها بأسامى بارزة و عناو ين اخلاقية عالية، اقول: لم تبدل هذه الثورة تلك الجز يرة فحسب، بل وجاءت بأفكار و فلسفات كانت حديثة حتى على أُمم تلك الدولتين المجاورتين (ايران والروم) حتى ولوكان بعض عروقها مقتبسة من حضارتيهما، كانت هذه الافكار والفلسفات الحديثة دروساً سماو ية حديثة من التقوى والعدالة ضدّ الظلم و العدوان اخذت مكانها فى قلوبهم و كأنّها مياه باردة تسرّبت الى اكباد عطشى من هذه الأُمم. لم يكن هذا الانتصار الفكري الاسلامي على أُمم تلكمْ الدولتين و نفوذ هذه التعاليم العادلة فى تلك الأُمم المهضومة التى كانت قد انقطعت عن المخلوقين و لم يبق لها طر يق الى الخلاص سوى الى خالقها العظيم... اقول: لم يكن هذا الانتصار من قبيل انتصار المسلّحين على غير المسلّحين او المسلّحين بسلاح حديث على المسلّحين بسلاح قديم، و لم يكن انتصار غير المسلّحين على المسلّحين والحفاة على المنتعلين و أصحاب الأخفاف الحربية... بل كان ــ كما قلنا ــ انتصاراً للفكر الحديث الذي كان يدعو الى انصاف المظلومين من الظالمين، و كان بالتالى انتصاراً للمظلومين على الظالمين، كانت هذه الفكرة ــ الدعوة إلى العدالة ــ قد ترسخت فى افكار أُمم تلك الدول بحيث اصبحوا يأتلفون مع حاملى الأُلو ية الإسلامية فى سبيل الاطاحة بحكوماتهم. و انّ آثار هذا الانتصار الفكري والمعنوي ترى بالعين فى بيوت كل فرد من افرا دهذه الأُمم المؤمنة به، و قد مضى على انتصاره المسلّح اكثر من الف و نيف مئات من السنين، فى حين لم يبق من ذلك الالانتصارا المسلّح للفاتحين العرب اي عين ولااثر»[٢]

يعتقد السيد رهنما أن الإسلام قد أطاح بالعلاقات والمناسبات الجوفاء، و ابدلها بروابط فولاذية قو ية، و عرض على البشر فلسفات و افكار حديثة، و أن انتصار الإسلام كان انتصاراً للعدالة و التقوى على الظلم و اللاقانونية، و أن العامل الأصيل لانتصار الإسلام لم يكن عسكر العرب المسلمين، بل كان العامل الأصيل فى ذلك نفس الجماهير الكادحة المحرومة والمتعطشة الى العدالة والحقيقة من نفس تلك الأراضى المفتوحة، حيث ثار هؤلاء فى ظل الدعوة الاسلامية على القوات الشيطانية الحاكمة عليهم.

و كتب الدكتور عبدالحسين زرّ ين كوب فى كتابه[٣] فى البحث عن عناصر الحضارة الاسلامية العظيمة يقول:

«... انّ الذي يسر عناصر هذا التقدم العلمي والمادىّ للمسلمين هو الاسلام فى الحقيقة، فانه هو الذي بدّل العصبيات القديمة فى الأُمم المفتوحة بروح التعاون و المسامحة الآخو ية بينها؛ و ذلك بتشو يقهم و ترغيبهم الى طلب العلم و مزاولة الحياة بالنشاط، و سهل

---

٢ ــ مقدمة ترجمة القرآن الكريم ــ لز ين العابدين رهنما.

٣ ــ بالفارسية: كارنامهٔ اسلام ص ١٣.

الاسلام سبيل اتساع العلوم و المعارف الانسانية وتطور الصناعة بتوصية المسلمين بسلوك «الطريقة الوسطى» فى قبال «الرهبنة الكنسية المسيحية» التى كانت توصى بترك الدنيا و اهمالها. وقد كانت روح العدالة و المسامحة الآخوية بين الأُمم المفتوحة حين دخول الاسلام اليها على و شك الزوال و الفناء. و قد كانت الدولة البيزنطية بما تغرق فيه من العصبيات المسيحية يوماً فيوماً تقطع علاقاتها بالعلوم والفلسفة بنفس النسبة، و ان تعطيل «ژوستى نيان» لفعالية الفلاسفة كان بمثابة اعلان عن ارتباط قريب الوقوع بينهم و بين العلم و الحضارة (بسبب الاسلام). و أما فى ايران: فقد كان ما أبداه خسروانوشيروان من تحبيذ الفكر و حبّ المعرفة شيئاً مرتجلاً، و ما يشير اليه برزويه الطبيب، فى مقدمة كتاب «كليلة و دمنة» من العصبيات الجوفاء كان مما يجعل نشر الفكر فى ايران آنذاك مما لايمكن أن يكون! و قد نفخ الإسلام فى هكذا عالم مكبّل بالعصبيات القومية والدينية المنحرفة نفحات قدسية حية و حديثة، و عالج هذه العصبيات القومية و العنصرية الدموية بقرآن كريم أسس به داراً للإسلام كان يسع جميع عالم الإسلام بل العالم بأسره، ولم يكن ذلك هو الشام او العراق فى الحقيقة، و فى قبال تلك العصبيات الدينية المجوسية و المسيحية اوصى المسلمين بمعاهدة أهل الكتاب و المسامحة معهم، بل و حتى الاستفادة منهم فى العلوم و المعارف و الفنون والصناعات. و قد حصلت ثمار هذه الشجرة العجيبة التى لم تكن شرقية و لا غربية ــ بعد انتشار الفتوحات الإسلامية في شتى ارجاء العالم».

يعتقد الدكتور زرّين كوب: أن الإسلام قدم إلى عالم كان فى حالة هائلة من الجمود و الركود، و أنه بتعاليمه التى كانت توصى بطلب العلوم، و ترك العصبيات القومية و الدينية، و التى كانت تعلن امكانية التعايش مع أهل الكتاب، بهذه التعاليم وضع عن البشرية الاغلال التى كانت على اعناقهم و ايديهم و ارجلهم على حدّ تعبير القرآن الكريم، و بذلك مهّد أرضية مساعدة لنمو حضارة انسانية عظيمة و شاملة.

و كتب البروفيسور ارنست كونل الألماني أُستاذ الفن الإسلامي فى جامعة برلين فى أعوام ١٩٣٥ ــ ١٩٦٤ فى مقدمة كتابه فى الفن الاسلامى يقول:

«كان لاشتراك الناس فى العقائد الدينية فى الإسلام أثرٌ اقوى مما كان له فى المسيحية على المساعي الفنية و الثقافية المختلفة. ان اشتراك الناس فى العقائد فى الإسلام بعث المسلمين على أن يعقدوا جسراً على الاختلافات العنصرية والقديمة و يعبروا هذا الجسر وهم يقتبسون الروابط المعنوية والآداب والسنن للامم المفتوحة فيوجّهونها الوجهة الإسلامية الواضحة و الشئ الذي كان له الأثر حاسم اكثر من كل شئ فى هذه التأثيرات و التأثرات لايجاد الوحدة المطلوبة و للاجابة على جميع مسائل الحياة: هو القرآن، فان انتشار القرآن باللغة

الأصلية و سيادة اللغة العربية قد آو جدت روابط كانت تربط بين جميع الأمم فى العالم الإسلامي، و أصبحت هى العامل الاصيل فى خلق اي نوع من الآثار الفنية، مما أطاح بما يعرفه الغرب من التباين بين الفن الدّيني و غير الديني فقد ارتفع هذا التباين فى الاسلام بصورة عامة. نعم قد تخصصت المعابد بصورة معمار ية خاصة تلائم ما يقام فيها من اعمال، إلاّ ان الزينة فيها تتفق تماماً مع نفس تلك القواعد التى كانت تراعى فى الأبنية غيرالدينية أيضاً».

و يقول هذا البروفيسور أيضاً:

«... والشئ الذي يحوز هنا الاهمية التامة هو أنه مع ما كان بين الدول الإسلامية فى القرون الوسطى من الاصطدام السياسى الشديد، كان بين جميع هذه الدول الإسلامية روابط لم تكن تؤثر فى تنشيط الحركات التجار ية بينها فحسب، بل كانت تيسّر امكانية تبادل التطورات الثقافية أيضاً. ان كتب الرحلات العربية والسيّاح العالميين تحكى لنا كيف كان الناس فى دولة من هذه الدول تطّلع على جميع مزايا تلك الدولة الاسلامية الاخرى. و على هذا فلا عجب اذا ما رأينا أن التطورات الفنية والمكتشفات التكنية الحديثة تجد سبيلها بسهولة الى كل مكان فى العالم الإسلامي اليوم. ان من يكون قد تربّى فى مدرسة الغرب يصور لنفسه أن العالم الإسلامى كان يسوده نظام فكري آخر كان له الاثر فى خلق هذه الآثار الفنية اكثر من اي شئ آخر».[٤]

ما يقوله هذا العالم الفنّى و ان كان لايخصّ ايران ولكنه حيث يشمل جميع الأراضى التى كان يسودها الإسلام فهو يشمل ايران أيضاً. والكلمة الجميلة فى كلام هذا العالم هو أنه يقول: ان المسلمين بنواعلى اختلافاتهم العنصر ية جسراً، اي آن الإسلام استطاع أن يوجد لاول مرة وحدة سياسية و اجتماعية على أساس من العقيدة والمبدأ، و أن هذا يسّر السبل المختلفة لتشكيل حضارة و مدنية عظيمة و شاملة متسعة مترامية الاطراف.

و بامكاننا أن نجد من امثال هذه النظر يات الشئ الكثير...

وفي قبال هذه النظر يات نظر يات اخرى ينبغى أن تلاحظ هى أيضاً؛ و هى نظر يات تقول: ان انتصار المسلمين العرب على الفرس فى ايران كان فاجعة تشبه فاجعة حملة الاسكندر والمغول، فكما أن حملة الاسكندر والمغول ــ و لاسيّما المغول ــ كانت حملة فتقت جميع منسوجات الحضارة العظيمة آنذاك، كذلك كانت حملة السلمين العرب على ايران فانها أيضاً أطاحت بمدنية و حضارة فارسية، و تقول: و ما نراه من أن أُناساً من ايران أخذوا يتقدمون فى سبل العلوم و المعارف و الثقافات فى القرون الثالثة والرابعة والخامسة و السادسة

٤ ــ عن الترجمة الفارسية: هنر اسلامى ص ٦ ــ ٨.

الهجرية، فانما هو من آثار الخصائص العنصرية والسوابق الثقافية من قبل الاسلام فى هذه الأُمة، و أن هذا التقدم لهم انما كان فى الحقيقة نوعاً من الارتجاع إلى الآدوارالسابقة قبل الإسلام! و أن الشيء الوحيد الذي عمله الاسلام انما هو أن سبب توقفاً فى سبيل التقدم العلمى و الثقافى لهذه الأُمة طوال قرنين من الزمان! و حينما وجدت ايران استقلالها السياسي بعد هذين القرنين من السكوت المميت و خرجت من تحت نفوذ سلطة العرب و وجدت شخصيتها القديمة، سلكت مرة اخرى سبيلها السابق، و هكذا استمرت الثقافة الفارسية الايرانية!.

و نحن لانجد بين المحققين ــ الايرانيين و غيرهم ــ من ينظر الى الآمر هكذا، و انما تبدو هذه النظريات من قبل أُناس اصطبغت مقالاتهم بصبغة دعائية خاصّة و مايهمنّامنها اليوم هو أن هذه النظريات تكررت أخيراً، و كانت غالباً مدسوسة في عبارات أدبية مثيرة و مضلّلة:

كتب فريدون آدميت فى كتابه[5] يقول:

«ان دين الاسلام كان ضرورياً لايجادالمركزية فى مجتمع بدوى كشبه الجزيرة العربية، و لهذا ظهر الإسلام هناك! ولكن هذاالدين الذي كان معجوناً خليطاً من الأفكار و الاديان السابقة فى تلك الجزيرة! و الذي كان يحتوى على تعاليم مطاطة! حينما دخل الى ايران! أوجد فى المسيرة الاجتماعية لهذه الدولة تحريفة مفاجئة، فاصبح منشئاً لآثار مخرّبة مشومة فى ايران، بعد أن كان مفيداً ــ و بنفس النسبة ــ لمجتمع بدوي كمجتمع الجزيرة العربية! ولم يقبع الفرس ساكتين، و لم تدم مدة الحيرة و موقف الفرجة الفجائية حتى فاتت، فبدأ الفرس بالتّغنّى بأصوات المعارضة من كل طرف و صوب، و كانوا يستدلون على طرقهم هذه فى المعارضة بآيات من القرآن ناسخة او منسوخة!.

.... ولكن تعودت الامة الفارسية شيئاً فشيئاً على الزهد فى الحياة المادية و كان هذا كعلاج لقلقها المفتش عن علاج مستعجل، و كان ذلك من نتائج انتشار ذلك القسم من تعاليم الإسلام التى كانت ترى الدنيا جيفة فانية والدنيا سجن المؤمن، و من شيوع الفلسفة الهندية باصولها السلبية التى تدعو الى الفناء فى الله. و هكذا نرى أن تعاليم الإسلام قد اختلطت بفلسفة الاشراق و اصول التصوف التى تجلت بادئ الآمر كصورة من صور المقاومة السلبية أمام الإسلام، فتعاليم الإسلام التى كانت تعدّ جمع الثروة من الذنوب و المعاصي و تحرم الصناعات الظريفة و ترى الرزق مقسوماً و المصير مقدراً محتوماً، امتزجت بفلسفة الاشراق و الاصول الصوفية، فشاعت العقيدة بفلسفة التقدير فى ايران شيوعاً عاماً، و كان من نتيجة ذلك أن

---

٥ ــ بالفارسية: اميركبير و ايران ــ فريدون آدميت ص ٧٤ ــ ٧٥.

اصيبت الحياة المادية فى ايران بالشتات و الضياع و التحطيم. و كان الاعراض عن الدنيا و الكسل و القناعة بالخربات والاستجداء.. كل ذلک كان مما أخذ من الإسلام سواء كان صحيحاً ام غير صحيح!و لقد شاعت هذه التعاليم في ايران فمهدت الطريق إلى الانحطاط الاجتماعي.

يقول هذا الكاتب من ناحية: كان الدين الإسلامي ضرورياً تماماً لايجاد المركزية فى جامعة ابتدائية كالجزيرة العربية. و من ناحية اخرى يرى: ان الكسل و القناعة بالخربات والاستجداء هى من محاصيل التعاليم الإسلامية.

و نقول: كيف يمكن لهكذا تعاليم أن تهب للجزيرة العربية الوحدة و القدرة؟

و ثانياً: لو كان كذلک للزم أن يصاب المسلمون منذ نفوذ الإسلام فيهم بالرخوة والهوان و الانحطاط، و أن لايعتنوا بعمل الحياة بتأثير من فكرة أنها جيفة، و أن يحيلوا كل شئ على التقدير، و أن يقطنوا الخربات من أول اسلامهم.. و الحال يشهد التاريخ شهادة قطعية بأنه حينما ظهر الإسلام فى رقعة واسعة من شمالى افريقيا الى شرقى آسيا ظهرت فيها حياة جديدة و حركة و نهضة عظيمة و تأسست فيها حضارة لانظيرلها من قبل و دامت ست قرون، ثم ساد فيهم روح الركود و الجمود و سكنى الخربات!.

و قد حمل هذا الكاتب ــ من حيث علم او لم يعلم ــ حساب مكافحة الإسلام لعبودية الدنيا و الثروات و أن لا تكون هى الهدف من حياة الانسان المسلم، على أنه عدّ العمل معصية و الكسب ذنباً و الصناعة و الثروة اثماً! حتى و لو كان ذلک بهدف الخدمة الاجتماعية(التى طالماوصى بها الاسلام و اكّد عليها) فهولا يفرّق بين الزهد بمفهومه البوذي و المسيحى الذي يربط كلاً من العمل و العبادة بعالم مستقل عن الآخر، و الزهد الاسلامي الذي هو عبارة عن علو النّظر و طهارة النفس،، اولا يريد أن يفرّق بينهما و ان كان يعرف الفرق.

واعجب من كل ذلک طرحه لبحث القضاء والقدر على طاولة النقد! حيث عدّهما تبعاً للاوروبيين عاملاً من عوامل انحطاط المسلمين... و كان الاحرى أن يترک هذ البحث ــ على الأقل ــ لمن كان له ادنى تخصص فيه! و قد بحثت أنا فى كتاب «الانسان و القدر»[٦] حول القضاء والقدر بمفهومها الإسلامي و تأثيرهما او عدم تأثيرهما فى انحطاط المسلمين، بما كان يلزم من البحث حول هذه المسألة. و قد طبع ذلک الكتاب و هوفى متناول قرّاء هذا الكتاب.

و فى الكتب الدراسية الابتدائية و الثانوية يدعى الى هذه الفكرة أيضاً قليلاً او

---

٦ ــ نقل هذا الكتاب الى العربية: العلامة الشيخ محمد على التسخيرى حفظه الله.

كثيراً؛ و قلما نجد كتاباً كلاسيكياً ورد هذا البحث ولم يدع الى هذه الفكرة! و نحن ننقل هنا نموذجاً عن كتاب ثنوي و نكتفي به:

جاء في كتاب الجغرافيا للسنة الثانية الثانوية تحت عنوان: جغرافية ايران الانسانية، مايلي:

«انّ تأسيس كلية الطب: «جندي شاپور» في خوزستان ايران على عهد الساسانيين، لمايرينا اقبال الايرانيين على المسائل العلمية جيداً. و نحن نقطع بأنه قد دوّنت على ايدي الايرانيين كتب و رسائل قيمة ثمينة اذ ذاك، و لكنها ضاعت ــ مع الأسف ــ على أثر حملة الآجانب، و لم يبق منها اليوم سوى أسامي بعضها. لقد كان لسلطة العرب على ايران آثار عميقة في حياتنا العلمية والآدبية؛ فانها من ناحية طغت على القسم الاكبر من آثارنا العلمية و الآدبية و الفنية و الفنون الجميلة فمحتها و افنتها، و من ناحية اخرى فرض هؤلاء الغزاة الفاتحون لغتهم و خطهم بحيث اخذ كثير من علماء ايران ينشرون كثيراً من آثارهم العلمية والأدبية باللغة العربية كابن المقفع والرازي وابن سينا والبيرونى والفارابي والغزالي والخيام. ووجدت اللغة الفارسية اعتبارها حينما حصلت دولتنا على استقلالها السياسي على أثر الجهاد البطولي الذي قام به الايرانيون منذ القرن الثالث الهجري، و اخذ كثير من خطبائنا و كتابنا المتكلمين يشكّلون بروافدهم الآدبية ينبوعاً فياضاً لآدب العالم الانساني، من أمثال: رودكى و الفردوسى و الخيام و المولوي و سعدي و حافظ و سعد سلمان و مئات آخرين من الشعراء و الكتاب الادباء من وطننا»[٧].

و على قول هذا الكتاب: كان للعلوم و الفنون في ايران قبل الإسلام رونق و رواج كثير، و أنه كانت لسلطة العرب المسلمين آثارٌ سلبية في الحياة المعنوية لايران، و أن العرب حملوا الايرانيين على لغتهم و خطهم بحيث انّ رجالاً من أمثال ابن سينا و الغزالي بعد اربعة او خمسة قرون من غزو العرب لايران و بعد قرنين او ثلاث من استقلال ايران السياسي اضطروا الى أن يؤلفوا آثارهم باللغة العربية، و انهم انما اخذوا بالنظم و النثر الفارسي حينما نجوا و تخلصوا من أسرالعرب، و أن اللغة الفارسية كانت بمثابة ردّ فعل امام المسلمين!

و قد بحثنا نحن قبل هذا في اسطورة حمل العرب لغتهم على الايرانيين و خرجنا من البحث بنتيجة: أن وصف اشاعة اللغة الفارسية بأنها كانت كردّ فعل على الإسلام؛ انما هودعاية مغرضة. و سنبحث بعد هذا في نفس هذا الكتاب انشاءالله الرحمن حول اسطورة أن العرب المسلمين محواالآثار العلمية الفارسية، و نبحث بالخصوص حول ماهيّة كليّة جندي شاپور انشاءالله تعالى.

---

٧ ــ كتاب الجغرافيا ــ للسنة الثانية الثانوية.

و قد تخطّى بعضهم اكثر من هذا؛ و زعم أن دخول الإسلام الى ايران يساوي شقاءاً دائماً للايرانيين؛ وعدّ جميع الخصائص الأخلاقية السّيئة للايرانيين اليوم من نتائج غزوالعرب لايران و نفوذ الإسلام بين الايرانيين!.

و كنموذج لهذا نذكرهنا قسماً من مقال جاء فى مجلة «الفردوسي» العدد: ٧٨٧ بتاريخ: ٣ آبان ١٣٤٥ هجرية شمسية. و قد حاول الكاتب فى هذا المقال أن يردّ على كتاب السيد جلال آل أحمد[٨] إذ ادعى السيد آل أحمد أن فساد هذا الجيل الحاضر انما هو بانبهاره بالتقنية الغربية، و وصف المغترب منهم بقوله:

«ان المغترب لامذهب له! و لاعقيدة! و لكنّه ليس فاقداً للعقيدة بكل شئ! انه سقط متاع! يطلب رزقه من حيث يطلبه الناس، و كل شئ له على السويّة! يهمّه أن يعبر الجسر ثم لايبالى أن يبقى هذ الجسر لغيره اولا! لا ايمان له و لا دين لا بالله و لابالناس! لايتقيد بالتطورات الاجتماعية ولا حتى بلادينية! فقد يذهب الى الجامع والمسجد كما يذهب إلى ندوة الحزب أوالسينما، و لكنه انما يقف فى كل مكان وقفة المتفرّج! تماماً كأنه قد ذهب إلى التفرّج على لعبة رياضية للتسلية! و هو دائماً على حذر من الورطات التكليفية، فلا تراه الا على هامش المجتمع محترزاً من التكليف، فلا يكلف نفسه حتى على وسعها، و حتى بدمعة على صديق، او حالة توبة فى معبد، او تفكر فى ساعة وحدة، بل لم يأنس هو بالوحدة ابداً، فهو يفر من الوحدة اذ هو يستوحش حتى من نفسه! و هو يحضر فى كل مكان من دون أن تسمع منه نداءً او نقداً او استثناءً او لِم أو بِمَ؟! ان المغترب رجل يطلب الراحة لنفسه، فهو يغتنم الفرصة ــ لا بالمعنى الفلسفي للكلمة... بل هو بشر بلاشخصية و لا أصالة!.»

و يجيب كاتب المقال فى الفردوسى يقول:

«... هل ان هذاالذي وصفته ــ يا آل أحمد ــ هو من القرن الاخير فقط؟! كلاّ! إن هكذا انسان وصفته بلا عقيدة ولا مذهب متملق كذّاب بلا أصالة ولا وطن له منذ اكثر من الف و ثلا ثمئة سنة قد ظهر فى هذه البقعة الترابية من الارض [ايران] منذ ذلك اليوم الأسودالمشؤوم الذي صاح فيه حرس قصور مدائن [طيسفون] و هم بفناء ابواب البلد و قد رأوا العرب قد أقبلوا: «جاء الجن! جاء الجن!» انعقدت نطفة هذا الولد من حرام! و منذ اخطأ القائد الايراني «فيروزان» حظّه فاغتر بخدعة العرب فى فرهم و كرّهم فى حرب نهاوند فخسر المعركة ولد هذا الموجود العجيب! ولنا اليوم منذ الف وثلا ثمئة عام رجال يتقون! لا يطمئنون بغيرهم بل يسيئون الظن بالناس فلا يفتحون قلوبهم على غيرهم، فلا تسمع منهم نداءً و لا نقداً

---

٨ ــ بالفارسية: غرب زدگى: الثقافة الغربية و الاغتراب.

ولا استثناءً ولا لِمَ ولا بِمَ..».

و كتب فى العدد بعده يقول:

«... و بعد الف و نيف من السنين منذ غزوالعرب لهذه الارض.. تغيّرت مقاييسنا الاخلاقية الروحية و القومية، و تبدلت كيفية هجماتنا وحرو بنا و مقاوماتنا الى الضعف والفشل و الهوان، و الى أن نطلب رزقنا من حيث يطلبه الناس، و إلى أن نكون بلا أصالة و منافقين... و ما اكثر هذه الجراثيم التي صارت تغزونا من آثار هذا الغزو».

و كتبت هذه المجلة فى عددها المرقم ٢٣ لشهر: اردیبهشت ١٣٤٧ هجر ية شمسية، فى مقال بعنوان: «المثالية فى الشعر» تقول:

«... نحن نعلم أن غزوالعرب لايران كان باهض الثمن على شعوب وطننا! و انهم حينما تقابلت الحضارتان الفارسية و العربية فشلوا في مقاومة العرب! و أن هذه الهزيمة السياسية جرت الى هزيمة معنو ية أيضاً!. ان العرب كانوا يستهزئون بالحضارة الفارسية، و كانوا يدعون الفرس بينهم: موالي... و كانوا قد منعوا الفرس عن أعيادهم؛ و وصفت «البادة: الخمرة» التى كان الفرس يشربونهاعلى الغداء والعشاء شراباً رجساً شيطانياً و حراماً، و اخمدت شعل النيران فى معابدها فى وطننا. الا أن الفرس سر يعاً ما اخذوا يقاومون هذا الغزو، و قامت الأُمة الفارسية من على رماد المذلة و الشقاء، و اتقدذكاء النبوغ الفارسي الايراني من كانون نفوس علماء من أمثال: أبي ريحان البيرونى و الفردوسى و الخيام و ابن المقفع و رودكى و دقيقى و الرازي و البيهقى... و هكذا ارتفع الكابوس المظلم».

و كتب السيرجان ملكم (الانجليزي) فى كتابه[٩] يقول:

«لقد بلغ غضب العرب اتباع النبيّ العربيّ من لجاج الفرس فى الدفاع عن ملكهم و مذهبهم بحيث أنهم حينما ظفروا بهم تعرضوا لكل ما يوجب قوةً للقومية الفارسية! فتهدمت كثير من البدان، و احترقت كثير من معابد النيران، و قتل كثير من الموابدة المكلفين بمباشرة خدمات تلك المعابد والهيا كل، و احرقت كتب الفضلاء سواء كانت فى المسائل الدينية او التار يخ الفارسي الايراني اوفي مطلق العلوم والمعارف و الثقافات و الفنون! و قتل كل من كان عنده من هذه الكتب، اذ لم يكن العرب المتعصبون اذ ذاك يعرفون كتاباً سوى القرآن ولاير يدون أن يعرفوا ما هى تلك الكتب، فهم كانوا يحسبون الموابدة مجوساً و كتبهم كتباً للسحر. و نحن نستطيع أن نقيس حال كتب الفرس على حالها عند الروم واليونان فنعرف كم ياترى بقى من تلك الكتب فى مملكة كأيران»[١٠].

---

٩ ــ تار يخ ايران ــ للسيرجان ملكم الانجليزي.

١٠ ــ تار يخ ايران ــ لملكم الانجليزي ــ نقلاً عن كتاب: مزديسنا و ادب فارسي ص ١٣.

حقاً ان ما يقوله هذا الذي اصطلحوا عليه «بالمؤرخ»! لحديث جديد!! إذ أننا لانجده في اي مدرک او سند تاريخي آخر! فلا بدّ ان نفترض أنه كان قد توصّل إلى سند او مدرک لم تره العيون و لم تصل اليه الآيدي و لم يكن من الصلاح أن يفشوه للناس! اجل لابد أن نفترض ذلک، اذ لولم نفترض هذا كان لا بدّأن نشکک في حسن نيته و كمال صدقه، و هو ذلک المُؤرخ العظيم الشأن ــ الذي لاشک أنّه لم يتلق اى أمر من قبل سفارته او الوزارة الخارجية البريطانية بصدد تأليف هذاالكتاب ــ و كيف يمكن أن يكون هذا؟!

إنّ ما وجده هذا المؤرخ في مصادره و أسانيده التي لا تُرىٰ ــ و التي لا توجد إلاّ في اضبارات الوزارة الخارجية البريطانية ــ هو:

اولا ــ أن الفرس كانوا يلجّون في الدفاع عن ملكهم و دينهم القديم ــ على خلاف جميع المؤرخين ــ و لكنّهم مع ذلک اللّجاج و العناد، و مع ذلک العدد الذي كان يبلغ ــ في التخمين ــ مئة و اربعين مليوناً من النفوس، و مع تلک العُدة العسكرية القوية... انهزموا أمام جماعة من العرب الحفاة بين اربعين الى خمسين الف رجل، كانوا أقل عدداً من الجنود الفرس المسلحين بنسبة العشر، و أما من حيث العدّة فلم يكونوا معهم طرفي قياس مناسب، و مع أن العرب لم يكونوا يعرفون عن تلک العدّة الحربية الايرانية الشيء الكثير... و على هذا فلابد من أن نجعل اللّوم في هذه الهزيمة النكراء على حساب مهانة الأُمة الفارسية، بدلاً من أن نحسب السبب في ذلک كراهيتهم لحكومتهم و دينهم و نظمهم الداخلية، و انجذابهم إلى الدين و الآيديولوجية الجديدة باسم الاسلام.

ثانياً ــ أن المدن الايرانية دمّرت تماماً حتى تساوت مع أكمات التراب!. فاين كانت هذه المدن؟ و ماهي أسماؤها؟ و ماهي المصادر التاريخية التي تذكر ذلک؟ يجب أن يجيب عن هذه الأسئلة السيرجان ملكم!

ثالثاً ــ أن الموابذة ومباشري ادارة المعابد قتلوا، و احرقت معابدهم بالنيران!. من دون أن يبحث السيرجان ملكم فيما كتبه مؤرخون كالمسعودي و المقدسيّ و غيرهما: أن المعابد كانت باقية الى عهدهم (حوالي القرن الرابع الهجري)! و أن امراء المسلمين كانوا يتعهدون في ميثاق المعاهدة بحفظ معابد أهل الكتاب و منهم المجوس، فهذا شئ لايريد السيرجان ملكم أن يبحث حوله!.

رابعاً ــ ان الكتب العلمية والدينية الايرانية، و الذين كانت هذه الكتب عندهم، كانوا جميعاً معرّضين للفناء و التلف!. و سنبحث حول هذا الموضوع مفصّلاً فيما يأتي انشاء الله تعالى.

خامساً ــ أن المسلمين العرب كانوا يسمون الموابذة سحرة و يرون ان كتبهم كتب

سحر و شعوذة. و هذا أيضاً شئ يجب أن نسمعه من هذا المؤرخ لاول مرة!

* * *

كان هذا هو الحديث عن نظريتين متضادتين حول الاسلام و ايران.

و الآن فأيّ هاتين النظريتين نتقبّله نحن؟:

فهل نحن نتقبل تلك النظرية التي تدّعي: أن ايران و غير ايران كانت في جاهلية سحيقة، و أن العقائد و الافكار كانت قد تردّت الى الحضيض، و أن الحكومات كانت قد فسدت الى مالانهاية، و أن النظم الاجتماعية السائدة ــ ان صحّ أن يقال عنها أنها كانت نظماً ــ كانت فاسدة جدّاً، قد فشى الظلم و سخط الناس، و أن العالم كان في حاجة الى تحوّل و تجديد بناء... و أن الإسلام جاء فأدى رسالته في هذاالسبيل، غير كثيراً من المقاييس، و وضع الاغلال التي كانت على الايدي و الارجل و الاعناق، و ايقظ الهمم، و نفث روحاً حيةً جديدة في الجسم المحتضر لكثير من الأمم، و منها ايران.

أم نتقبل تلك النظرية التي نقول: كان لنا كل شئ؛ و جاء الإسلام فسلبنا كل شئ!؟.

و قد قلنا فيما مضى ان من حسن الحظّ أن تاريخ ايران و العالم حين ظهور الإسلام تاريخ واضح بيّن، و ان مطالعة مختصرة في تاريخ ايران و العالم آنذاك تبيّن لنا الوضع بوضوح، و يكفينا أن نرىٰ ما ذا كان يسود ايران من الافكار و المعتقدات؟ و ما ذا كان لهذه الافكار و المعتقدات من وزن و مقدار في مقياس النظام الفكري و العقائدي؟ و نرى ماذا كانت هي النظم الاجتماعية و العائلية والآخلاقية و السياسية في ايران يومذاك؟ ثم نوازن بينها و بين ما يعادلها من النظم بعد الإسلام بالنظر إلى النصوص التاريخية، ثم نستنتج من ذلك. و نحن نبدأ كلامنا هنا حول النظام الفكري و العقائدي لايران آنذاك فنقول:

النظام الفكري و العقائدي:

و نقصد بذلك بيان الافكار و العقائد الدينية العامة السائدة بين عموم الايرانيين حين ظهور الإسلام. و لا نبحث الآن في الآفكار و العقائد الفلسفية في ذلك العصر في ايران و هل أنه كانت في ايران على عهد الساسانيين مدرسة فلسفية ماعدا العقائد الدينية اولا، و على فرض وجودها ماذا كانت هذه المدرسة الفكرية.. و ذلك لآننا حتى لو افترضنا وجود مدرسة فلسفية غير دينية و وجود فلاسفة بالمعنى الواقعيّ للكلمة في ذلك العصر؛ فان ذلك لم يكن مما يؤثر في افكار عموم الناس. فنحن من أجل أن نلاحظ الافكار و العقائد العامة يجب علينا أن

نلاحظ اديان ايران فى ذلک الزمان.

لا شک أن الإسلام قدّم لايران نظاماً فكرياً و اعتقادياً جديداً، و قد طرح الشعب الايرانى ــ كما سبق ــ جميع معتقداته و افكاره السابقة و تقبّل الإسلام، و لم يكن هذا القبول والانتقال فورياً، بل تدريجيّاً، و نرى ان ذلک كان على عهد استقلال الفرس عن العرب بصورة خاصة.

وجيد هذا البحث طرافته حينما نلتفت الى أن هذا يعنى من ناحية: أن للاسلام ميزة خاصة، حيث لم يستطع اى دين آخر غيره أن ينفذ معنوياً في قلوب امة مغلوبة على أمرها كما تمكن منه الإسلام.

يقول غوستاف لوبون بهذا الصدد:

«ان الشريعة الإسلامية اثرت فى معتنقيها تأثيراً كبيراً، و قلما نجد ديناً آخر نفذ الى قلوب اتباعه كالإسلام، بل قلما نجد ديناً آخر دام حكمه كمادام حكم الاسلام و قدرته المعنوية، حيث أن القرآن الذي هو الأصل فى الإسلام تبدو آثار أحكامه و سننه فى جميع افعالهم و عاداتهم العامة و الخاصة»[١١]

هذا من ناحية. و من ناحية اخرى: نرى أن الشعب الايراني يمتاز بين جميع الأُمم التى اعتنقت الإسلام ـ بميزة خاصة هى: أنالم نرأية امة تركت نظامها الفكرى السابق بالسهولة التى تركته بها الامة الايرانية، ولم تفتح ابواب قلوبها على عقائد هذا الدين الجديد و افكاره بهذا التصميم العظيم، و بهذا الصدد يقول المستشرق المعروف (دوزي):

«ان اعظم الأُمم التى غيّرت دينها القديم الى الاسلام هى الأُمة الايرانية؛ فانهم هم الذين قوّوا وايّدوا الإسلام، لاالعرب...»[١٢]

و على هذا؛ يجب علينا أن نلاحظ النظام الفكري الحاكم على المجتمع فى ذلک العهد، و نقيس بينها و بين الانظمة الاسلامية الفكرية و العقائدية، كى يتبيّن لنا ماهو الذي اخذه الاسلام من ايران من الانظمة الفكرية و ما اعطاها؟.

و من أجل أن نصل إلى النظام الفكري و العقائدي لذلک العهد يجب أن نرى ماذا كان الدين الرسمىّ لايران اذ ذاک؟ بل ماذا كان فى ايران من اديان و مذاهب؟

الأديان و المذاهب:

لم يكن يسود ايران اذ ذاک الدين الزرادشتى فقط على الرغم مما يبدو فى بادئ الأمر.

---

١١ ــ تاريخ التمدن الإسلامي و العربى ــ عن الترجمة الفارسية ص ٥٥٢.

١٢ ــ عن الترجمة الفارسية: تاريخ أدبيات، مستر براون ج ١ ص ٣٠٣.

نعم انه كان الدين الرسمى للدولة الا أنه كان معه أديان لأقليات اخرى كثيرة، سواء الاديان التى كانت تختلف مع الزرادشتية فى أصل نبوة زرادشت و المذاهب التى كانت ترى زرداشت نبياً فكانت تعدّ فروعاً و مذاهب للزرادشتية.

و يرى المرحوم سعيد نفيسى: أن أهم أسباب تردّى الاوضاع الاجتماعية و السياسية فى ايران على عهد الساسانيين هوعامل الاختلافات الدينية و المذهبية، و يدّعى أن الاجحاف الذي كان يعمله الموابدة الزرادشتيون كان عاملاً هاماً لظهور هذه المذاهب المختلفة من الدين الزرادشتى، و ظهور السخط والكراهية للدين اوللمذهب الرسمىّ للدولة؛ و يقول:

« ... كان لرجال الدين: الموابدة و الهرابدة صلاحيات مخولة غير محدودة لاسيما الموابدة والأئمة الكبار: (موبدان موبد) بناءً على المقررات السياسية لذلك العهد لدى البلاط الساسانى، و قد كان لهم حق النقض و النسخ و الجرح و التعديل و التفسير فى الآحكام المدنية اي الزواج والارث والملكية! و كان كلما ترسخت الحضارة الساسانية يضاف إلى قدراتهم و اختياراتهم. و كان شعب ايران كلما يرى ضغطاً و عدواناً عليه يبرأ و يتنفر من هؤلاء اكثر فاكثر، و يحاول أن يطلق كاهله من تحت هذا الحمل الثقيل مما يكرهه و يسخطه. و لهذا ظهر أمام الطريقة (المزديسنية) الزرادشتية التى كانت الطريقة الرسمية لدين الدولة و البلاط والتى كان يقال لها (بهدين) اى: الدين الأحسن! طريقتان اخريان فى الزرادشتية: احداهما: (الزروانية) الذين كانوا يعتقدون بأن: أهورامزداوأهرمن موجودان من موجود اقدم و اعظم يقال له: (زروان اكرنو) اى: الزمان الأسبق. و الطريقة الاخرى: (الكيومرثية) الذين كانوا يعتقدون بأن: أهرمن ليس له استقلال فى الوجود بل انما وجد هذا حينما شك اهرمن فى عمله!. و كان بين الزروانيين والكيومرثيين و بين الزرادشتيين المزديسنيين اختلاف شديد بحيث كان هذاالخلاف قد اخذ جانب الحقد والعداء بينهم و حيث كان الأجانب يستفيدون من هذا الخلاف القائم بينهم..

وكان فى ايران اذ ذاك ــ ماعدا الزرادشتيين ــ خمس فرق اخرى لم يكونوا يختلفون مع الزرداشتيين و الزروانيين والكيومرثيين فحسب بل كانوا يختلفون فيما بينهم ايضاً:

الفرقة الاولى: يهود ايران، الذين كانوا قد انطلقوا من سبى بابل على اثر فتح كوروش لبابل، و قد جاء جمع منهم الى ايران و سكنوا فى مغربها اى خوزستان و اكباتان، و قد زادعددهم على عهد الساسانيين و توغلوا داخل ايران حتى تجمع عدد كثير منهم باصبهان.

الفرقة الثانية: نصارى ايران، الذين كانوا من اوائل عهد النصرانية فى دور الاشكانيين قد اعتنقوا دين الرهبان، و هم من سكنة النواحى الغربية الايرانية أيضاً، و قد بنوا لآنفسهم كنائس معتبرة فى النواحى الشرقية و الغربية من نهرالفرات، و قد

اختاروالانفسهم طريقة خاصة تعرف بالطريقة (النسطورية). وقد توغلوا شيئاً فشيئاً فى داخل ايران الى اقصى نواحى الشمال الشرقي لايران مماوراء النهر وقد توغلوا من هناك الى الصين...

الطريقة الثالثة: طريقة المانوية، التى ظهرت حوالى عام ٢٢٨ للميلاد، وقد تقدمت فى ايران تقدماً سريعاً و كبيراً؛ حيث كانت هذه الطريقة طريقة ساذجة بسيطة لاعلائق لها و لاعوائق، و كان اكثر سعى المانويين فى تزكية النفوس و تطهيرها باطناً و ظاهراً و تصفية الآخلاق، و كان للمانوية جذبات عرفانية و تجريدية خاصة، و كانت المانوية اكثر الآديان القديمة عناية بالجمال والرفاه معنوياً و مادياً؛ لذلك أسرع الايرانيون فى اعتناق هذاالمذهب، و كان الذين يؤمنون به ذو وعقيدة راسخة فيه بحيث لم يستطع الساسانيون اقتلاعه مع كل ما عملوه ضده من تضييق و تشديد.

الطريقة الرابعة: الطريقة المزدكية، التى اعلن عنها فى ايران حوالى عام ٤٩٧للميلاد. وبما أنّ الذي بلغنا اليوم عن هذه الطريقة انما هو من طرق اعدائها فلا نستطيع الاعتماد على القول بأنهم كانوا يقولون بالاشتراكية فى الآموال و النساء، او كانوا «اباحيين» حسب المصطلح الاسلامي. و مع آن ملوك ايران و خصوصاً منهم «انوشيروان» وقف منهم موقف التضييق و التشديد، فقد جمعهم فى مكان واحد فقتلهم عن آخرهم، مع ذلك لم ينته اتباع «مزدك» فكانوا يعيشون فى ايران على تقية من دينهم.

الطريقة الخامسة: البوذائية، التى كانت تجاور ايران من نواحى الشمال الشرقى لايران و كانت من ناحية اخرى تجاور حدود الصين، و كانوا يدعون فى ايران: البدهيين، هؤلاء كانت لهم عدة مراكز للتجمع، ونخص بالذكر منها: باميان و بلخ، فقد كان لهم فى هذه المدن معابد للآصنام جليلة. و كان معبد «نوبهار» الشهير- و الذى عرف فى العهد الإسلامى بأنه من معابد النيران والزرادشت-من أهم معابد البوذيين في هذه البلاد. و ان أُسرة البرامكة الذين حصلوا فى تاريخ ايران الإسلامى على عهد هارون الرشيد على مناصب راقية، كانت من اعقاب رجل يُدعى «برمكة» اي متولي معبد «نوبهار» للآصنام. و قد كان هؤلاء البوذائيون والمانويون الذين كانوا يسكنون نواحى الشمال الشرقي لايران حاربوا العرب عشرين عاماً دفاعاً عن اراضيهم، على خلاف سائر الأُمم الايرانية..[١٣]

ثم يقول سعيد نفيسى:

«وكانت أهم ناحية من نواحى الدولة الشاهنشاهية الايرانية الساسانية ارض العراق

---

١٣ ــ الجزء الثانى من كتاب: تاريخ اجتماعى ايران ــ بالفارسية ــ ص ٢٠ ــ ٢٣.

و مابين النهرين، والتي كانت ميداناً للحرب بين الساسانيين و الرومان، و كان اكثر امم هذه الآراضي من العنصر السامىّ و يتكلمون باللغات الساميّة و انّ اكبر خدمة قدمها هؤلاء لايران هي أنهم كانوا يترجمون علوم اليونان «الاوائل» الى اللغة السّريانية، و هم الذين أشاعوا الطب والرياضيات والنجوم و الفلسفة فى ايران، و قد قام من بينهم علماء كثيرون. و كانت لغتهم السريانية قد شاعت لدى البلاط الساسانىّ، بعد أن كانت اللغة الآرامية هى اللغة الرسمية للدولة فى ايران و خصوصاً على عهد الهخامنشيين. و قد كان هؤلاء من حيث الديانة على فرق متعددة لها عقائد خاصة بها، منهم اتباع «ابن ديصان» الذي يطلق عليه الاوربيون: «باردسان» و أتباع «مرقيون» الذى يطلق عليه الاوربيون: «مارسيون» و فرقة اخرى هم الذين يطلق عليهم القرآن اسم: «الصابئين»[١٤].

ان الذين بحثوا في الآديان و المذاهب فى ايران على عهد الساسانيين ذكروا وجود و شيوع هذه المذاهب و الآديان فى ايران اذ ذاك؛ فقد اشار المحقق الدانماركى الشهير: كريستن سن فى كتابه «ايران على عهد الساسانيين» الى هذه المذاهب التى ذكرناها آنفاً، انه اشار إلى المذاهب و الآديان القديمة فى ايران فى مقدمة كتابه، و اورد فى كتابه فصولاً بعناوين: «الزرداشتية: الدين الرسمىّ للدولة» و «مانى والمانوية» و «المسيحيون فى ايران» و «الثورة المزدكية» و يبحث فى هذه الآديان بالتفصيل. و فى كتاب «تمدن ايران» تأليف جمع من المستشرقين و ترجمة الدكتور عيسى بهنام بحوث حول الموضوع، و بامكان من يريد، أن يراجع الى هذه الكتب و امثالها فى هذاالموضوع.

و الجدير بالذكر أنه مع ان الدين الزرادشتى كان الدين الرسمىّ للدولة على عهد الساسانيين، و مع أن الدولة الساسانية و أجهزتها العظيمة كانت تدافع عن هذا الدين و تؤيده و تحامى عنه بكل قوة و بدون مسامحة، مع ذلك لم يستطع هذا الدين أن يكتسب لنفسه الاكثرية الساحقة؛ بحيث لم تكن المسيحية فقط تعد ضرّة قوية للزرداشتية، بل حتى اليهودية و البوذية، بل كانت المسيحية فى تقدم و انتشار. بل كانت هناك اديان و مذاهب اخرى تنشأ داخل ايران و فى اوساط العنصر الآري كالمانوية و المزدكية، و كانت هى الاخرى أيضاً فى تقدم من حيث الاتباع و تقليل من اتباع الزرادشتية.

والاسلام ـ على طول تاريخ هذه الدولة الذي يبلغ الآلاف من السنين ـ هوالدين الوحيد الذي استطاع أن يكتسب لنفسه الاكثرية الساحقة تدريجيّاً؛ بحيث اقتلع على مدى قرنين اوثلاثة مذاهب مانى و مزدك و بوذا من مشرق ايران و افغانستان، و جعل المسيحية و اليهودية و الزرداشتية في اقلية ضئيلة.

١٤ــ بالفارسية: تاريخ اجتماعي ايران. ج ٢ ص ٢٤.

ان الساسانيين كانوا قد بنوا سياستهم المدنية على أُسس دينية؛ اذكان اردشير بابكان الساسانى هو من اسرة دينية بلغت الى السلطان، و حيث كانت له عواطف دينية من ناحية و كان فى سياسته المدنية بحاجة إلى اسس عقائدية جعل يحامى عن دين زرادشت و يدافع عنه و يحميه و يشيعه بين الناس؛ فهو الذي امر بتدو ين الكتاب المقدس للزرادشتيين: «أڤستا» و هو الذي نظم الجهاز الدينى الزرادشتى، و به بلغ رجال الدين الزرادشتى إلى قدرة و نفوذ كبير ين.

يقول الدكتور محمد معين فى كتابه:

«ولما انقرضت الأسرة الأشكانية، انتقلت السلطة إلى أردشير بابكان (٢٢٦–٢٤١ للميلاد) رأس الأسرة الساسانية. و يعدّ ظهور هذا الملك على عرش السلطة فى ايران مقدمة فى طريق السعادة لهذه الأُمة! فقد وجدت هذه الأُمة بمساعيه سمعة و شهرة خاصة. و قد بنى هذا الملك اسس سلطته وخلفائه على أساس دين «مزديسنا» و كان قدورث هذه العاطفة الدينية، فقد كان ساسان جده الاعلى مديراً لمعبد «أناهيت» فى اصطخر فارس، و لهذا فقد اهتم و سعى فى سبيل احياءدين آبائه كثيراً؛ فقد امر بضرب صورة معبد النيران على طرف من المسكوكات النقدية شعاراً قومياً! و لقب نفسه فى ما كان يكتب باسمه بلقب «مزديسنا» اي: المثنى على مزدا. و قد لخص الشاعر الحكيم ابوالقاسم الفردوسى الطوسى كل ما نسب اليه المؤرخون بشأن تديّنه و روابطه السياسية و الدينية، في ضمن وصاياه ونصائحه لولده شاهپور، فقال:

الدين والدولة فيما ارى ... كخيمة قائمة بالعماد
لا الدين دون الحكم يبقى ولا ... حكم بلا دين يسود البلاد[15]

وقد دعا اردشير «تنسر: هير بدان هير بد» الى بلاطه، و أمره بتنظيم كتاب «اڤستا» كما يقول دينكرت»[16]

ثم يقول الدكتور معين:

«كان عهد الساسانيين بصورة عامة عهد ازدهار لدين مزديسنا؛ فقد بلغ الرجال الزرادشت فيه إلى قدرة كاملة، بحيث كانوا أحياناً يتحدون فيما بينهم ضد الملك! و كان نفوذ الموابدة فى المجتمع الى درجة كانوا يتدخلون حتى فى الحياة الشخصية للملك والرعية، وكان من

---

١٥ ــ الأصل: چنان دين و ملت بيكديگرند ... تو گوئى كه درز يريک چادرند
نه بى تخت شاهى، بود دين بپاى ... نه بى دين بود شهريارى بجاى
١٦ ــ مزديسنا و ادب فارسي ص ٩ ط ٢. والتعريب للمعرب.

اللازم أن يكون الفصل فى جميع الامور ــ تقريباً ــ على يد هذه الطبقة الدينية».

ثم ينقل عن المستشرق الشهير: كريستن سن المتخصص فى معرفة ايران، قوله:

«لم يكن نفوذ الموابدة مبنياً على اساس مكانتهم الدينية والاحكام العرفية التى كانت الدولة قد وافقت على تركها لهم، ولا مقتصراً على تبريك المواليد والعرائس والتطهير وقبول القرابين فقط؛ بل ان امتلاكهم للأراضى ومنابع الثروة التى كانت ترد إليهم من طريق الغرامات الدينية والاعشار والصدقات والهدايا، كان مما قد أيد نفوذهم القوى فى كل شئ؛ ولذلك فقد كان لرجال الدين الزرادشتى نوع من الاستقلال الوسيع بحيث يمكن القول بأن الموابدة كانوا قد شكلوا دولة دينية ضمن دولة الساسانيين السياسية»[١٧].

الدين الرسمى للدولة الزرادشتية:

وبما أن الساسانيين كانوا قد بنوا سياسة دولتهم على أساس دينى، واعلنوا الزرادشتية ديناً رسمياً لدولتهم، وجعلوا لرجال زرادشت قدرات غير عادية؛ لم يكن لهم حسن السلوك مع اتباع سائر الآديان والمذاهب، بل كانوا احياناً ــ وبتأثير من رجال زرادشت ــ يحملون الناس على هذا الدين بالاجبار وبقوة السلاح ويلجئونهم الى ترك اديانهم ومذاهبهم واتباع دين زرادشت.

يقول كريستن سن:

«كان رجال زرادشت متعصبين كثيراً، فلم يكونوا يبيحون لمواطنيهم اي دين سوى دينهم إلا أن هذا التعصب كان يبنى على عوامل سياسية؛ اذلم تكن الزرادشتية ديناً تبشيرياً، ولم تكن لرؤسائه دعوة جميع البشر الى الفلاح والنجاح باتباع دينهم، الا أنه كان لهم دعوى السلطة المطلقة داخل الوطن الأُم، فلم يكونوا يطمئنون إلى اتباع سائر الديانات من مواطنيهم، خصوصاً فيما لوكان ديناً له فى سائر الممالك اتباع وعظمة»[١٨].

ويقول سعيد نفيسى:

«ان من أهم أسباب اختلال اوضاع ايران على عهد الساسانيين؛ هو انه: لم يكن جميع الايرانيين قبل حكم هذه الاسرة من أتباع دين زرادشت، وانما أخذ اردشير بابكان ينشر

---

١٧ ــ مزديسنا وادب فارسي ص ١١ و١٢ ط ٢. وانظر: ايران در زمان ساسانيان للمستشرق الشهير كريستن سن، ترجمة: رشيد ياسمى ص ١٣٨.

١٨ ــ ايران در زمان ساسانيان ــ ترجمة: رشيد ياسمى ص ٢٩٠.

هذا الدين بكل الوسائل و السبل، و ذلك لأنه قد وصل الى الحكم بمعنونة رجال الدين الزرادشتيين و كان هو ابن احد موابدتهم (موبد)؛ و بما آن عرش الساسانيين كان قد اسس على تأييد من الموابدة من أول يوم؛ فقد وجد هؤلاء فى ايران نفوذاً قو ياً حتى انهم اصبحوا أقوى الطبقات فى ايران اطلاقاً، بان تفوقوا حتى على الملوك انفسهم، بحيث لولم ينتخبوا هم رجلاً ممن يستحق الملك بعد موت الملك فيلبسوه التاج لم يكن يبلغ الملك حتى و لو كان ولياً للعهد والعرش! و لذلك نرى أن اردشير بابكان هو الملك الوحيد من هذه الأُسرة الذي استطاع أن يجعل ابنه شاهپور ولياً للعهد، ولم يكن لغيره من اسرته اختيار ولي للعهد ولم يكن لهم ولىّ معيّن للعرش من بعدهم، و ذلك لانه ان لم يخضع «موبد الموابدة» لحكمه لم يكن يبلغ الحكم أبداً، فكان جميع الملوك فى هذا العهد الساساني ممن نصبهم «موبد الموابدة» و من لم يكن يخضع منهم لحكمه كان يخالفه الموبد الاكبر فيتهم بالسوء! كما اتفق هذا ليزدجرد الثاني حيث لم يخضع لحكم الموابدة بقتل المسيحين ولم يضيق عليهم، فلقبوه بلقب «بزهكار = بزهگر» اي: الاثيم، حتى اضطر بعد ثمان سنين من حكمه الى أن يسيء السلوك مع النصارى كما كان يفعل آباؤه و أجداده»[١٩].

و يقول أيضاً:

«كان الساسانيون قد اتخذوا سياسة العنف مع النصارى فى ولاية ارمنستان، التى كانت من الولايات الايرانية بلا منازع، سواء فى العهد الهخامنشى او الاشكانى اوالساسانى، وكان ابناء الملوك الاشكانيين قد حكموا تلك الولاية مدة من الزمان. وأصبح الساسانيون يحاولون نشر الزرادشتية هناك بقوة السيف و السلاح! و كان من نتيجة خوض الساسانيين فى دماء هؤلاء آن لجّوا فى عنادهم و قاوموا الدولة المركزية فأصروا وألحّوا على ما كانوا يعبدون من الاوثان بضعة قرون! ثم قرروا أن يعتنقوا الدين المسيحى حوالى سنة ٣٠٢ ميلادية، و اختاروا لانفسهم طريقة خاصة فى المسيحية عرفت باسم: الكنيسة الأرمنية؛ وكان من نتيجة هذا الاختلاف الدينى بين ارمنستان ايران و الحكومة المركزية آن دامت الحروب بين ايران و الروم نزاعاً على هذه الولاية. ولم يؤثر هذا الخلاف و هذه الحروب فى تضعيف ايران امام الامبراطورية البيزنطية و روما الصغرى او الغربية والشرقية فقط، بل يسرت سبيل الظفر لسائر الأجانب ــ و منهم العرب ــ على ايران»[٢٠].

و يقول أيضاً:

«بين يدينا اليوم ثلاث كتائب: «نقش رجب و سر مشهد و لعبة زرادشت» بقيت

---

١٩ ــ بالفارسية: تاريخ اجتماعى ايران ج ٢ ص ١٩.

٢٠ ــ نفس المصدر ص ٢١ و راجع بالفارسية ايضاً: ايران در زمان ساسانيان، ترجمة رشيد ياسمى ص ٣٠٨.

بأيدينا من آثار «كريتر = موبد الموابدة» على عهد شاهپور الاول، يبيّن لنا فيها جزئيات ما اقدم عليه بقوة السلاح لنشر الزرادشتية فى مختلف نواحى البلاد».[٢١]

و نرى فى الفصل الخامس من كتاب «التمدن الايرانى» شرحاً عن هذه الكتيبة يقول:

«ظفرت هيئة الحفريات الشرقية الشيكية[٢٢] سنة ١٩٣٩ ميلادية في موضع: نقش رستم، قرب مركز تخت جمشيد، الى الشرق من البناء المسمّى: كعبة زرادشت، ظفرت بكتيبة طويلة يشرح فيها «الموبد كريتر» كيف انه تدرج الى الرئاسة الروحية الزرادشتية ابتداءً من عام ٢٤٢ حتى عام ٢٩٣ ميلادية. وتحكى احدى هذه الكتائب كيف أن هذا الموبد أخرج من ايران عدداً من المبشرين للاديان الآجنبية[٢٣] حينما لم يرالصلاح فى بقائهم؛ كاليهود «السمنا» والبوذيين، والبراهما والمسيحيين الناصريين (النصارى) و «الموكتكا» الهنود ــ كما نحتمل ــ و الزنادقة ــ اي اتباع ماني»[٢٤].

و لا نقول قطعاً بأن العهد الساسانى كان على سياسة واحدة من حيث المضايقات الدينية؛ كما لم تكن قدرة رجال الدين الزرادشت دائماً على شاكلة واحدة، و لم يكن ملوك ايران دائماً تحت نفوذهم؛ اذ كان لشاهپور الأول و يزدجرد الاول و انوشيروان ــ و على الآقل فى قسم من سياستهم ــ سيرة متحررة نسبياً عن هذه المضايقات على أتباع سائر الاديان و المذاهب فى ايران.

يقول هؤلاء المستشرقون فى الفصل الخاص الذي عقدوه بعنوان «الوضع الدينى فى غربي ايران على عهد الساسانيين» بعد ما نقلوا موضوع كتيبة «الموبد كريتر» والمضايقات التى كانت ترتكب على عهده، يقولون:

«... و من ناحية اخرى نرى أن «اليزه وارداپت» ينقل عن كتيبة تُنسب الى شاهپور، أمر فيها بحرية المغان واليهود والمانويين و اتباع كافة الآديان و المذاهب فى جميع نواحى ايران، و ان لا يضايقوهم فى أداء مراسيمهم الدينية. و هذه الكتيبة (الكتيبة الاولى) كتيبة الحرية التى اعطيت للأقليات الدينية فى ايران على عهد شاهپور الثانى بين سنى ٢٢٧ و ٢٩٣ ميلادية. و المرسوم الثانى أيضاً فى حرية الاديان والمذاهب، و ينسب

٢١ــ بالفارسية: تاريخ اجتماعي ايران. ص ٢٧

٢٢ ــ نسبة الى شيكاغو.

٢٣ ــ اي غيرالدين الرسمي للدولة.

٢٤ ــ بالفارسية: تمدن ايرانى، بقلم جمع من المستشرقين، و ترجمة الدكتور بهنام ص ١٧٨.

الاعتزاز به إلى شاهپور الاول (٢٤٢ ــ ٢٧٣م)[٢٥].

و حينما يشرح كريستن سن فى الفصل السادس من كتابه اوضاع النصارى فى ايران، نقول عن الوضع العام لهم اذ ذاك:

«من اجل أن يتضح لنا نوع العلاقة بين المسيحية و ديانة ايران الرسمية فى القرنين الرابع و الخامس ننقل هنا كلاماً عن «زاخو» اذ يقول: كانت المسيحية على عهد الساسانيين حرة حتى فى أشدأدوار التعذيب و التعدي، و ان كان بعض فرق المسيحية يقع موقع الأذى من لدن عمال بعض المدن و القرى الايرانية. و قد قرر المسيحيون اصول ديانتهم فى المجالس التى عقدوها فى عاصمة ايران بين سنة ٤١٠ الى ٤٢٠م بحضوررجلين ممثلين عن الامبراطورية البيزنطية: احدهما «ماروثا» اسقف ميافارقين، و الآخر «آكاس» اسقف آميدا. و قد كتب «افرعت» خطبه و مواعظه فى اشد أيام الظلم الذي كان يجرى على عهد شاهپور الثانى بالنسبة الى المسيحيين، و مع ذلك لانرى فى هذه الرسائل اثرا يحكى لنا عن عدم اجرائهم لمراسم دينهم فى ذلك العهد بصورة عادية و من دون موانع. نعم ان الضغط كان متوجها الى علماء دين المسيح، الا أنه لم يقل قائل أن ملوك ايران عذبوا عامة المسيحيين او اجبروهم على الارتداد عن دينهم. والظاهر أن المسيحيين سواء فى ايران او الروم كانوا يتبعون فى علاقاتهم الحقوقية فيما بينهم القوانين السوريانية و الرومية مع تعديل على العرف المحلى العام. و كان باستطاعة المسيحيين العيش تحت قيادة الآساقفة و الجاثليق بسلام غالباً، و لم تكن نصيبهم المذابح العامة الانادراً»[٢٦]

ان الدين المسيحى كان حراً بصفته اقلية دينية، و مع ذلك يتكرّرفى التاريخ ذكر الآذى عليهم فى فواصل زمنية مختلفة، و الظاهر أن اكثر هذا الآذى كانت له جذور سياسية؛ و ذلك حيث أن هذه الأقلية المسيحية الايرانية كانت تأخذ جانب اصحاب مذهبهم الرومان فى الحروب الايرانية الرومانية، و لهذا فهم كانوا يقعون بذلك موقع الغضب من قبل سلاطين ايران.

يقول كريستن سن بشأن يزدجرد الأول:

«ان السلام الذي كان يتظاهر به يزدجرد الاول فى علاقاته مع المسيحيين كان ناتجاً عن أسباب سياسية بلاريب؛ اذهو بتحكيمه الصلح بين ايران و الروم كان بامكانه أن يبذل مساعيه فى سبيل تحكيم قدرته وسلطته ولكن نضيف نحن الى هذه الضرورة السياسية

---

٢٥ ــ بالفارسية: تمدن ايرانى ص ١٧٨ ــ ١٧٩.

٢٦ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ٣٢١

القول بأن يزدجرد كان بطبعه يميل الى التسامح فى الامور الدينية»[٢٧].

و يقول فى شأن انوشيروان:

« و اتحد خسرو مع الروحانيين الزرادشت كى يجد طريقاً يتخلص به من المزدكية. و لكنه مع ذلك لم تكن طبقة الروحانيين ولاطبقة الآشراف ترجع فى عهده الى ما كانت عليه من القدرة السابقة. لا شك أنّ خسرو الاول كان زرادشتياً، الا أنه كان يمتاز عن سائر الملوك الساسانيين بأنه لم يكن له جمود فى امور دينه و لا تعصب، و كان يتسع مذاقه بالنسبة الى سائر العقائد المختلفة و المدارس الفلسفية ايضاً، و كان يستخدم المسيحيين فى المؤسسات العامة النفع، و لم يكن يدخل على نفسه الشك فى هذا»[٢٨].

الدين المسيحي:

ان مسألة ظهور الدين المسيحى فى ايران، والضغط عليه أحياناً، و مقاومة المسيحيين، و نفوذ هذا الدين فى ايران الى حد التأثير حتى على البلاط و حتى مال اليه بعض السلاطين الساسانيين فى اواخر عهدهم، و حتى اعتنقه كثير من البيوتات الزرادشتية الأصيلة و العريقة.. لهى قصص من التاريخ تستهوى الافئدة و تستدر العبرة، و هى فى نفس الوقت علامة على ضعف دين زرادشت فى اوساط الايرانيين آنذاك، على رغم قدرة رجاله فى ايران.

بحيث نستطيع القول بأنه لولم يأتِ الاسلام الى ايران لكانت المسيحية تعم جميع نواحى هذا البلد، و لكان دين زرادشت يتحطم على يد المسيحية، كما أن دينى المانوية و المزدكية اللتين كانتا قد ظهرتا فى اوساط ايران كانتا تعدان مناوئين شديدين لدين زرادشت و لهذا فالزرادشتية كانوا يضمرون له حقداً شديداً، و لهذا أيضاً كان الزرادشتية يعادون المانوية و المزدكية و حتى المسيحيين اكثر من المسلمين، و كثيراً ما نرى فى التاريخ أن الزرادشتيين و لاسيما رجال دينهم يساعدون المسلمين على المانويين و المزدكيين. ومن ناحية اخرى نرى أن المسيحيين فى ايران كانوا يقدمون المسلمين على الزرادشتية، و ذلك على أثر الآذى و المذابح العامة التى كانوا قد رأوها من قبل الزرادشتيين (على عهد شاهپور الثانى).

ان نفوذ المسيحية الى ايران و انتشارها فيها كان طبيعياً؛ فقد كتب كريستن سن عن سبب ظهور المسيحية فى ايران يقول:

---

٢٧ ــ نفس المصدر ص ٢٩٥.

٢٨ ــ نفس المصدر ص ٤٤٧.

«حينما استخلفت اسرة الساسانيين بعد الاشكانيين، كان للمسيحيين مركز تبشيرى هام فى بلدة «الرها» (فى آسيا الصغرى: تركية)... وفى الحروب الكبرى التى قامت بين ايران و الروم اسكنت الدولة الايرانية أسرا ها فى النواحي البعيدة عن ايران المركزي، و كان ملوك ايران حينما يجهزون جيوشهم الى سوريا (او تركية) احياناً يُرحّلون معهم فى منصرفهم من هناك أهل مدينة او قرية او ناحية بكاملها من محلهم الى احدى النقاط الداخلية؛ و حيث كان القسم الاعظم من هؤلاء المهجرين من مسيحيين كانت المسيحية تتغلغل بهم فى مختلف نواحى ايران»[٢٩].

و يقول جمع من المستشرقين:

«والحقيقة: ان المسيحية انما دخلت ايران على ايدى الآراميين الذين كانوا يقيمون بسورية، او المبشرين الذين اتوا الى ايران عن طريق مدينة «اورفة» (الرها ــ ادس) او على ايدى أسرى الحروب. و كان يعيش فى (اربيل) منذ المئة الاولى ــ الميلادية ــ جماعات من المسيحيين، و نرى اليوم في (كركوك) الحالى آثاراً لهم تعود الى ١٤٨ ــ ١٩١م. و نحن و ان لم نجد للمسيحية فى هذه الفترة من السنين آثاراً واجهزة رسمية فى ايران الا أنها كانت قد لفتت الى نفسها انظار كثير من الفرس، و نخص بالذكر منهم (مانى)»[٣٠].

و كتبوا تحت عنوان: «دين المسيح فى ايران على عهد الساسانيين» يقولون:

«كانت الروم البيزنطية مسيحية من الاميراطور و البلاط الى عموم الناس. و كانت الدولة فى ايران منذ بدء العهد الساسانى تحمى و تدافع و تدعو الى دين زرادشت بالاضافة الى أن القدرة كانت فى الواقع بايدى هؤلاء الزرادشتيين، و ان عدم وجود مظاهر التعصب في ايران بالنسبة الى المسيحيين لم يكن من بدء ظهور هذا الدين؛ بل كان وضع هؤلاء فى ايران على عهد شاهپور الثاني في غاية الشدة و الضيق؛ اذ كان شاهپور اذ ذاك عدواً سياسياً لقسطنطين... لقد وقع المسيحيون فى اوائل امرهم فى ايران فى اشد الآذى؛ اذ كانوا يقتلون اما من دون اية محاكمة او بعد محاكمة قصيرة، او يعذبون بطرق فى غاية الشدة، و قد وصل الينا شرح انواع التعذيب للمسيحيين فى ايران باللغة السورانية (السورية = الشامية) و نرى من خلاله كيف كان هؤلاء المسيحيون ــ الذين لانعلم نحن اليوم أسماءهم ــ يقتلون و هم على شجاعة واقتدار على الاستقامة فى دينهم. وسرعان ما ادركت الجهات الرسمية فى ايران أن هؤلاء المسيحيين ليسوا من الخونة من اتباع المناطق الخارجية او الفرعية، بل هم من الايرانيين

٢٩ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ٢٩٠.

٣٠ ــ بالفارسية: تمدن ايرانى ص ١٢٨.

الحقيقيين الذين كانوا فيما سبق يعدون من خواص المؤمنين بزرادشت و المنتصرين له، و ان البعض منهم كان من ذوي الشخصيات السامية و الشهيرة التى لم يكن يشك اذ ذاك في قوميتهم و وطنيتهم، الا آنهم كانوا ثابتين على عقيدتهم. ومنذ ذلك الحين صممت القوى العسكرية على العناية بهداية الضالين و المنحرفين بدلاً من تأديبهم و تعذيبهم، الا انها لم تستفد من هذه الطريقة ايضاًايـة نتيجة مفيدة.. و بعد اربعين عاماً من الآذى و العذاب وجدت المسيحية فى ايران موقعاً يركن اليه و يعتمد عليه و يعتد به.. و حينما انتهت ايام العذاب بسبب هجمات الهياطلة و الهيونيين فى المشرق، توصلت المسيحية فى ايران الى ايجاد الآجهزة الرسمية لنفسها واكتساب المواقف الثابتة، و توصل المسيحيون فى ايران بصورة سريعة إلى حياة معنوية و ثقافية قوية بحيث لم يبلغ منهم ذلك العذاب الذي وقع عليهم فى القرن الخامس بسبب يزدجرد الثانى و بهرام الخامس اي مبلغ و لم يكسر بهم اى شئ. و فى هذه الفترة نجد من (طيسفون = سلوقية) و نصيبين مكاتب دينية روحانية كألمع مدرسة شرقية، و بعث تأسيس الصوامع على تربية عدد كثير من المعلمين لاصول الديانة المسيحية فى تلك الصوامع، وصارت هذه سنة و سيرة دائمة حتى اليوم. ان الحياة الواقعية للمسيحيين فى ايران تظهر لنابوضوح من خلال نتائج تبشيرهم فى ايران اذ ذاك»[٣١].

ثم يشير كاتب هذا المقال[٣٢] إلى حياة المسيحية فى ذلك العصر والى قدرة التبشير لديهم اذ ذاك، ثم إلى الانكسار و الهزمة التى أصابت المسيحية فى المشرق من قبل الاسلام و المسلمين.. فيقول:

«بنظرة سريعة الى الخارطة التى نشرها مؤخراً الدكتور«ژدويليمه»استاذ كلية الحقوق بجامعة «نولوز» ضمن مانشره من نتائج اتعابه المفيدة؛ يتضح لنا: كيف كان المبشرون يخرجون من ولاية كلدة الى مدن البحر الابيض المتوسط وبحر الصين والهند الجنوبية وتبت والمغول، وكيف انهم ادخلوا الكثير من اهل هذه المناطق فى دين المسيح. ولم يكن هذا التبشير بين الدول بل بين الأمم الصحراوية الرحالة التى كانت كل يوم بمكان. وهكذا بقيت المسيحية فى هذه المناطق النائية الى مابعد القرن الثالث عشر الميلادي، وقدرأوا وجود اتباع المسيح فى هذه المناطق مبشرو فرانسيسكن من قبيل: ژان دو پلان كارپن، و روبرك، ورحالة من قبيل: ماركو پولو. وقد وجد المذهب النسطوري اتباعاً وهواة بين رؤساء طوائف المغول الرُحّل الذين كانوا قد توجهوا على اثر انتصاراتهم الى جهة المغرب وكانوا مترددين فى اختيار واحد من الأديان المختلفة التى وجدوها فى طريقهم من البوذية والمانوية والإسلام، وقد

٣١ــ بالفارسية: تمدن ايراني ص ٢١٦ ــ ٢١٨.

٣٢ ــ پ. ژ. دوميناشة.

كاد هذا المذهب النسطوري أن يتغلب على سائر المذاهب آنذاك، الا أن دخول المغول فى دين الاسلام شكّل هزيمة نكراء للمسيحية فى هذه النواحى»[٣٣].

وقد كادت المسيحية أن تنتصر فى ايران على عهد خسرو پرو يز اكثر من أي وقت آخر؛ وقد تنصّر كثير من اقرباء الملك الذين لم يكونوا الايرانيين اقحاح. ونعلم أن خسرو پرو يز اضطر الى أن يلتجىء إلى خصمه القوى مور يكيوس قيصر الروم، على أثر ثورة القائد الايرانى الشهير: بهرام چوبين، واستنصره پرو يز فنصره قيصر حتى ارجعه الى عاصمته.. فيقال: انه كان قدمال الى المسيحية منذ أن كان هناك..

و يقول كر يستن سن:

«ولم يفرح الموابذة برجوع خسرو پرو يز الذى اتفق عام ٥٨١ ميلادية؛ اذ كان يحمل معه من الروم ميلاً إلى خرافات و أوهام النصارى، والذي كان يقوي فيه هذا الميل امرأة مسيحية تسمى «شير ين» والتى اصبحت ملكة البلاط الايرانى فيما بعد».[٣٤]

وقدادعى البعض: أن خسرو پرو يز كان قد ترک دين زرادشت واعتنق دين النصارى رسمياً؛ الا أن كر يستن سن يقول:

«ان من المحقق أن مايقوله «اوتيكيوس»: من أن خسرو پرو يز كان قد اعتنق النصرانية، لا أصل له؛ الا أنّ علاقاته الطيبة الودية مع القيصر: مور يكيوس الذي كان قد نصره لاسترجاع عرشه، وزواجه بالملكة الرومية المسماة «مار يا» وغرامه بحبيبته المسيحية «شير ين» جعلته ينظر الى رعاياه المسيحيين بنظر الرحمة والعطف. واما هو فمن الممكن أنه كان قد اضاف بعض خرافات المسيحيين إلى اوهامه الزرادشتية السابقة..»[٣٥].

ثم يذكر كر يستن: نفوذ فرقتين من النصارى لدى البلاط هما: اليعقوبية والنسطور ية، و يذكر بعض تجاذب هاتين الفرقتين، و يذكر تنصر بعض القواد الايرانيين من قبيل: مهران گشنسپ، الذي غسله النسطور يون غسل التعميد وسموه باسم: گيوركيس، وآخر ين من هذاالقبيل..

و يقول:

«لما اعتنق مهران گشنسپ دين المسيح ذهب الى الصحراء ليتعلم حقائق الدين الجديد من الرهبان، وسأل اخته يوماً: ماذا كانوا يقولون بشأني فى البلاط بعد أن أصبحت مسيحياً؟ وأجابته اخته: ايت ولاتخف، ان الملک حينما سمع بک قال: لقد أسرع گشنسب الى جهنم! ثم لم يقل اي شيء، فأت اليه لعله يردّ عليک املاکک.. ولا قاها بعد مدة وقد

٣٣ــ بالفارسية: تمدن ايراني.

٣٤ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان، ترجمة: رشيد ياسمى ص ٤٦٦.

٣٥ــ نفس المصدر ص ٥١٠.

تزوجت بأحد الأشراف، فتقدم اليها ودعالها وعظّم، فقامت اليه اخته من مسندها بكل حنان ومدت يدها اليه وقالت وهى تضحک: بشراک: لقد تنصرت انا أيضاً»[٣٦]

وعلم مما ذكرنا الى الآن:

اولاً ــ ان المسيحية كانت فى تقدم واطراد فى ايران الزرادشتى بصورة طبيعية، ولو كانت الحالة باقية كما كانت لكانت المسيحية خطراً كبيراً على الزرادشتية.

ثانياً ــ انه كان للمسيحية تبشير عالمى على خلاف الزرادشتية، اي أن المبشرين النصارى لم يكونوا يعرفون حدوداً لدينهم، و لذلک فقد كانوا يسعون جاهدين فى نشر المسيحية فى ايران وغير ايران، وكانوا قد توفقوا فى هذا السبيل كثيراً.

ثالثاً ــ ان الاسلام لما قدم الى ايران هزم المسيحية المنتصرة اكثر مما هزم الزرادشتية المنكسرة، وانه لولا دخول الإسلام لكانت المسيحية تسرى الى الشرق كله، وأن الذي منع من انتشار المسيحية فى المشرق الأدنى والاقصى انماهو معنوية الإسلام العالية.

ان البابوات النصارى كانوا يتألمون من انتشار الإسلام فى ايران اكثر من رجال زرادشت؛ اذ كان النصارى يحسون بالغبن والغبطة اكثر من هؤلاء.

ولهذا أيضاً نرى أن جناب البابا يمنح الجوائز والمداليات لكاتب غير نزيه استخدم القلم ليتهجم ما استطاع على الاسلام باسم «ايران» و يقدره و يشكره على ذلک[٣٧] هذا وقد مضى على ذلک العهد اربعة عشر قرناً من الزمان!.

دين مانى:

ان دين مانى احد الأديان التى كانت حية نابضة على عهد الساسانيين. والكلام حول العقائد و الآداب المانوية كثير، ونحن نعرف بلاشک أن دين مانى معقد ومبطّن سواء بالنظر الى العقائدوالمناسک. والمعروف أنه عبارة عن عناصر دينية زرادشتية ومسيحية و بوذية بالاضافة الى بدع من نفسه. يقول السيد حسن تقى زادة فى خطابه التحقيقى الذي اورده فى «ندوة التعرف على ايران»:

«وقد مال جمع من المحققين الى القول بأنه كان لبعض العقائد الايرانية القديمة ولاسيما الزروانية و بعض الطرق والفرق الاخرى غير الرسمية والمبتدعة من الزرداشتية، فى

---

٣٦ ــ نفس المصدر ص ٥١٢ ــ ٥١٣.

٣٧ ــ جريدة «الاطلاعات» الايرانية، برقم: ١٢٧٤٤ و بتاريخ: ٤٧/٨/٢٨. ص ١١.

اواخر عهد الأشكانيين واوائل الساسانيين، اثر كبير فى العقائد المانوية.. وعلم بالتحقيق أن هذا ليس الا شبهاً ظاهراً نشأ من أن مانى كان يقتبس مصطلحات الأُمم التى كان يريد نشر دعوته فيها فيصب عقائده وتعاليمه فى قوالب تلك المصطلحات المعروفة لديهم. واهتم بعد ذلك جمع من المحققين بالعقائد المسيحية الموجودة بين عقائده وتحقق أن مانى كان مطلعاً على الدين المسيحى اكثر من سائر الأديان والمعتقدات الايرانية والهندية، الا أنه لم يطلع على المذهب الرسمي للمسيحية بل على الطريقة «الگنوسية» التى كانت خليطة بالفلسفة الشرقية متأثرة بالفلسفة اليونانية الاشراقية المتداولة في(سورية ومابين النهرين) بعداسكندروالتى كانت تختلف عن الفلسفة القديمة والأصيلة اليونانية، والتى كانت قد نشأت هناك فى القرون المتصلة بما قبل ميلاد المسيح، ولاسيما فلسفة «مرقيون» و «باردیصان» الگنوسيين واللذين كانت لهما عقائد ثنوية ايضاً».[٣٨]

و يقول السيد تقى زادة ايضاً:

«بالنسبة الى عقائد المحققين فى اصول دين مانى ينبغى أن يقال بناءً على التحقيق الصحيح: أن ماني وان كان قد اخذ افكاراً من جميع الاديان والمذاهب المعروفة لديه قليلاً او كثيراً (فمن البوذية قليلاً، ومن الزرادشتية والزروانية اكثر، ومن المسيحية اكثر منهما) ومن الطريقة الگنوسية اكثر من الجميع ولاسيما من فلسفة مرقيون.. الا أن دينه لم يكن تركيباً من اقتباسات فحسب؛ بل ان أُسس و روح الدين كان من نفسه و أن مؤسس هذا البناء العجيب كان هو لاغير، وأن ألوان سائر الاديان المعروفة آنذاك انما كانت عوارض، وعمدة القصد منها التسهيل لنشر دينه فى سائر البلدان والمدن و بين الأُمم والأقوام الهندية والزرادشتية والنصرانية».[٣٩]

ومهما كانت محتويات دين مانى وايا ماكان نفس مانى فلا يهمّنا الآن؛ وسنشرح قسماً من عقائد و آداب وشرائع مانى فى الفصول اللاحقة التى نبحث فيها في الثنوية وغيرها.. والذي يهمنا الآن هو وضع دين مانى عند ظهور الاسلام فى ايران، و أنه كم كان عدد أتباعه آنذاك وكيف كان نفوذه ومعناه؟ وهل كان فى اطراد وتقدم ام فى سبيل الزوال؟

والمقطوع به: أن هذا الدين كان ذادعوة عالمية، وأن مانى كان مدعياً للنبوة وأنه آخر الأنبياء ودينه اكمل الأديان! وانه كان للمانوية بعده دعاة مهرة بحيث استطاعت أن تعبر

---

٣٨ ــ بالفارسية: مانى و دين او ص ٢٨ ــ ٢٩.

٣٩ ــ نفس المصدر ص ٣٦.

حدود ايران ــ خلافاً للزرادشتية ــ فتشمل اناساً كثيرين من مدن اخرى. وقد بقيت المانوية على الرغم من الضغط و الضيق الذي لاقته من قبل رجال زرادشت حتى ظهور الإسلام، وقد ابدى المانويون أمام المسلمين مقاومة اكثر من مقاومة الزرادشتيين، وكانوا موجودين بعد العهد الإسلامي الى قرون عديدة، ثم انقرضوا بعد ذلك..

ان ظهور مانى كان فى اوائل العهد الساساني. وكانت ولادة مانى فيمابين النهرين ولكنه من اصل ايراني. وكان مانى قد ادرک عهد اردشير رأس الساسانيين، والظاهر أن ادعاءه للنبوة كان فى عهد شاهپور الاول ابن اردشير. و يقال: أن شاهپور كان قد تأثر بدعوته وتردد فى لحظة ما أن يجعل دين مانى الدين الرسمى للدولة، ولكنه ندم من هذه الفكرة[٤٠] و يقال: ان اتباع دين مانى كانوا باقين حتى القرن السابع الهجري. وعلى هذا يكون دين مانى قد طاول من ظهوره حتى انقراضه الف عام تقريباً.

ولقد حظى دين مانى فى اول أمره باستقبال وانتشار سريع بين الناس؛ يقول السيد تقى زادة:

«ان لتاريخ المانويين ودعاتهم واتباعهم حتى حملة المغول قصصا كثيرة، وابين فصولها التقدم السريع لهذا الدين، حتى أنه فى عام ٣٠٠ ميلادية اي بعد وفاة مانى بربع قرن كان قد تقدم دينه الى اراضى سوريا ومصر وافريقيا الشمالية الى أسپانيا وگال..»[٤١]

و يقول أيضاً:

«كان لدين مانى اتباع كثيرون فى طغارستان و مرو و بلخ، حتى أن «هوئن تسونگ» السائح الصينى فى القرن السابع المسيحى يقول: ان المانوية كان الدين المطلق لايران، و يعنى بذلک تلک النواحى من ايران خاصة، فقد كان لدين مانى فى حدود طغارستان قوة كبرى، وحتى تعيين الوالى عليها فى اوائل القرن الثامن المسيحى من اتباع دين مانى..»[٤٢]

و يقول كريستن سن:

«و بقى هذا الدين فى ايران على الرغم من الضغط و التشديد اللذين كان رجال الزرادشتية يمارسونها ضد هذه الفرقة المانوية، الا أنها كانت سرّية وفى تقية. وفى الكتب المانوية باللغة القبطية روايات عما لاقاه المانويون من الأذى والمطاردة على عهد نرسي وهرمزد الثاني. وكان عمرو بن عدي الملک العربي فى الحيرة يدافع عن هذه الفرقة ويحميها. وكان يعيش فى ولاية بابل الذى كان المنشأ الاول لهذه العقيدة وفى طيسفون العاصمة الايرانية كثير من

---

٤٠ ــ بالفارسية: تمدن ايرانى ــ بقلم جمع من المستشرقين ص ٢٢٢.

٤١ ــ بالفارسية: مانى و دين او ص ١٨.

٤٢ ــ نفس المصدر ص ١٩ فى الهامش.

المانويين، الا أنهم هاجروا إلى الشرق والشمال حيث تقطن الطوائف الايرانية الأصيلة بسبب مالاقوه من الضغط والعدوان من غيرهم من معاصريهم، وسكن جمع كثير منهم فى الصغد، الا أن هؤلاء الشرقيون فقدوا مايربطهم من العلاقات مع الغربيين من أهل دينهم».[٤٣]

ان دين مانى لم يدم كثيراً حتى انقرض؛ ومن المقطوع به أن الإسلام هوالعامل الأصيل فى هزيمة المانوية؛ حيث كانت المانوية ثنوية، ومن الطبيعى أن يفقد الشرك الثنوي مقوماته امام هذا الدين الجديد الذي كان له رصيد فطري وفكري، وكان اقدر على اجتذاب الافكار المستقيمة ولاسيما طبقة العلماء والفلاسفة بالاضافة الى أن دين مانى كان مبتنياً على نوع من الزهد والرياضة الروحية التى كانت غيرقابلة للتطبيق العملى فعلاً، ولاسيما ان مافيه من عقيدة بنجاسة وقذارة التناسل وتقديس للتجرّد كان عاملاً مهماً فى انصراف الناس عنه بالفطرة، خصوصاً فيما اذاواجه مدرسة تبتعد عن هذه الرياضة الروحية وهذا النوع من الزهد الرهباني، بل هى تقدس الزواج والتناسل وتحسبه سنةً دينية، مع أنها تحتوى ــ الى جانب ذلك ــ على معنوية وافرة ايضاً.

نعم؛ لوكان المسلمون يعدّون المانويّن من اهل الكتاب كاليهود والنصارى والمجوس الزرادشت و يعتبرون أن لدينهم اصلاً سماو ياًمن قبل الله تعالىٰ، لأمكن للمانوية أن تدوم بصورة اقلية دينية كاليهود والنصارى والمجوس، ولاسيما أن المانويين كانوا كثيرين حين ظهور الإسلام فى منطقة نفوذه.. ولكن المسلمين حيث عدّوهم زنادقة ملحدين مشركين ثنويّن فقد اطاحوا بكيانهم حتى بصورة اقلية دينية معاصرة.

المذهب المزدكى:

والمزدكية مذهب آخر ظهر فى اواخر عهد الساسانيين و وجد له اتباع كثيرون، و يرى الكثيرون أن المزدكية مذهب متفرع عن دين مانى. ادعى مزدك فى عهد قباد ابى انوشيروان نوعاً من القيادة الدينية، واعتنق مذهبه قباد عن عقيدة اوعن تدبير سياسي لتحطيم طبقة الاشراف الزرادشتيين، ولهذا فقد علاكعب مزدك وذكره، الا أنه لم يمتد به الزمن حتى قتل هو واتباعه فى مجزرة عامة على نفس عهد قباد اوعهد انوشيروان بتدبير منه واصبحت المزدكية مذهباً سرّياً. وقد بقى هؤلاء فى العهد الإسلامى الى قرنين اوثلاثة، وكانوا وراء كثير من الثورات الايرانية ضد الخلافة العباسية او ضد الإسلام احياناً، ولهذا كان الزرادشتيون يأتلفون

---

٤٣ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ٢٢٥.

مع المسلمين ضدهم.

قالوا: ان المؤسس الاول لمذهب مزدک رجل من أهل «فسا» من شيراز يدعى ايضاً زرادشت، وكان هذا يدعو الى نوع من المانوية يخالف المانوية الرسمية، وانه اظهر دعوته هذه فى اراضى الروم ثم سافر الى ايران وطفق يدعو الى مذهبه، وقد عرف هذا فى الروم باسم: بونديس. قال هذا كريستن سن، واضاف يقول:

«... وعلى هذا فان دين مزدک هو نفس دين: «درست دين» الذي نشره بونديس فى الروم، ومن سفره الى ايران بعد بدءدعوته الجديدة فى الروم نظن أن أصله كان من ايران. وكلمة «بونديس» وان كانت لا تشبه الاعلام الايرانية الا أنا نستطيع أن نعدّه لقباً رومياً له. وليست الكتب الإسلامية التى اخذت معلوماتها حول المزدكية عن «خداى نامک» بل حتى كتاب «الفهرست ــ لابن النديم» الذي له مصدر آخر، جميعاً يرون أن مؤسس المزدكية شخص آخر قبل نفس مزدک، وقد جاء اسمه فى «خداى نامک»: «زردشت» ومن هنا انتشر عنهم اسم: «زردشتكان»... وعلى هذا فبا لتحقيق نستطيع أن نقول أن بوندس و زردشت اسم رجل واحد، وأنّ زردشت هوالاسم الأصلي لمؤسس هذاالدين فهومسمىً باسم نبيّ مزديسنا. والنتيجة: أن فرقة المزدكية هى احدى شعبالما نوية وقد تأسست منذ قرنين قبل مزدک فى الروم، وأن المؤسس رجل ايرانى باسم زرادشت بن خورگان من أهل «فسا». ... و يستفاد من محتويات الكتب العربية: أن زرادشت الفسائى كان قائداً دينياً تتسم دعوته بسمة نظرية، الا أن مزدک الذي كان رجل العمل اكثر من النظر عرف عند العوام بانه خليفة زرادشت ــ كما يقول الطبري ــ واستطاع هذا أن يجعل اسم المؤسس الأصلى لهذا الدين تحت شعاع اسمه و يعرف فرقته فى حياته باسمه، ومن هناوهم من بعده انه هو المؤسس الحقيقى لفرقة المزدكية».[٤٤]

وهنا كلام كثير حول ماهية العقائد المزدكية وعلل ظهور زرادشت الفسائى ومزدک من بعده. ومن المقطوع به أن اصول عقائد المزدكية ثنوية مشركة مثل مانى، بتفاوت سنتكلم عنه فى الفصل الآتى، اما من حيث الآداب و المقررات فهى تبتنى على نوع من الزهد و سوء النظرة الى الحياة.. و يقول كريستن سن:

«الأصل عند هذه الطائفة ــ كما فى المانوية ــ هوتقليل علاقة الانسان بالماديات، والحذر مما يقوي هذه العلاقة المادية. ولهذا فقد حرموا اكل اللحوم واتبعوا فى طعامهم قواعد معينة تبتنى على رياضة روحية... و يروى الشهرستانى فى الملل والنحل: «وحكى عنه أنه امر بقتل الانفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة...» ويمكن أن يكون المراد من هذا القتل

٤٤ ــ نفس المصدر ص ٣٦٣ ــ ٣٦٤.

الذي كان يأمر به مزدک هو قتل الشهوات والميول التي هي موانع في طريق الفلاح والنجاح؛ فان مزدک كان ينهى الناس عن الخلاف والحقد والقتال، وحيث كان يعتقد أن السبب الأصيل للخلاف والحقد في البشر هو عدم التساوي بينهم في الحاجات؛ كان يقول: لابد أن نرفع عدم المساواة بين الناس كي نرفع الحقد والنفاق من بين امم العالم. وكان قد أمر «الصفوة» من اتباعه بأن يتجرّدوا فلايتزوجوا، ولايدّخروا اكثر من طعام يوم واحد و لباس سنة واحدة فقط. وحيث كان لدى المزدكية هذا النوع من الزهد وترک الموجود، نستطيع القول بأن ما كان لدى طبقة «الصفوة» من المزدكية من القواعد كان موجوداً لدى نفس الطبقة من المانويين أيضاً. الا أن أئمة المزدكية حيث ادركوا أن الناس العاديّين لايستطيعون أن يفلتوا من قيد الرغبة في اللذات والمتع المادية من قبيل تملک الثروة والنساء او المرأة الخاصة المرغوب فيها لديهم؛ فلابدّ من أن يمكّنوا من اقناع او اشباع ميولهم هذه بحرية و بلامانع! ولذلک فقد تبنّوا هذه الافكار مبانى لعقائدهم ونظرياتهم وقالوا: ان الخالق خلق جميع وسائل العيش في الارض كي تكون في متناول البشر فيقسّمونها بينهم بالمساواة، بحيث لايكون لاحد منهم شيء اكثر مما لسائر ابناء نوعه الانساني؛ وانما فقدت المساواة في الدنيا بين الناس من حيث اراد كل واحد منهم أن يشبع ميوله و رغباته من كيس اخيه الانسان الآخر؛ بينما ليس لأحد الحق في أن يتملک من المال والنساء وسائر الحاجات شيئاً اكثر مما لسائر ابناء نوعه؛ وعلى هذا فيجب أن تؤخذ هذه الاضافات من الأثرياء لتعطى للفقراء كي تسود المساواة مرة اخرى بين البشر في هذا العالم».[٤٥]

وليس فيما بايدينا اخبار صحيحة مقبولة عن شخصية مزدک ولاعن دعوته، الا أن شهرته بافكاره الاشتراكية الشيوعية. و يدعي كريستن سن أن اصول افكار مزدک هذه ترجع الى افكار اخلاقية انسانية.

ومهما كانت دوافع مزدک، وأياً ما كان هدفه من اقتراحاته الاشتراكية هذه؛ فما ينبغي لنا البحث حوله من ناحية تاريخية هو البحث عن الارضية المساعدة لقبول افكاره الاشتراكية في المجتمع الايراني يومذاک. وقد تصدى كريستن سن في فصل «النهضة المزدكية» من فصول كتابه لشرح النظام الطبقي في ايران يومذاک، وأنه هو الذي هيّأ الأرضية المساعدة لتوسع نطاق القبول العام لدعوة مزدک، وسنشير نحن في البحث حول الانظمة الاجتماعية يومئذ الى كلام كريستن حول هذا الموضوع.

وهنا نقول: ان الانظمة الاجتماعية لايران يومئذٍ كانت او كوّنت ارضية مساعدة لنموّ امثال هذه الافكار الاشتراكية..

---

٤٥ ــ نفس المصدر.

والسيد سعيد نفيسى بعدما يشرح فى كتابه انظمة الارث والزواج والطلاق وحقوق المرأة فى العهد الساساني، يقول:

«ان الامتيازات الطبقية التى كانت تسبب حرمان-عدد كثير من الناس عن حق الملكية كانت السبب فى ايجاد اوضاع خاصة متأزمة؛ ولذلک لم يكن المجتمع الايرانى فى العهد الساساني ذا كلمة واحدة، بل كان يعيش فيه جماعات عظيمة من الناس فى حرمان وقلق وكراهية. ولهذا فقد تحققت فى هذا العهد ثورتان كانت تتبنى هذه الاوضاع أسباباً للثورة. وتجعل ايصال الناس الى حقوقهم الإلهية المشروعة هدفاً لها. الثورة الاولى: فى عام ٢٤٠ للميلاد يوم تتويج شاهپور الاول، اي بعد مضىّ اربعة عشر عاماً من ظهور اسرة الساسانيين و وضعهم أساس ملكهم؛ هنا اعلن «مانى» دينه الذي كان مأوىً لهؤلاء المحرومين، وتقدم فى دعوته كثيراً. والثانية: بعد مضىّ خمسين عاماً من ظهور «ماني» اعلن رجل آخر من أهل «فسا» فى فارس يدعى «زرادشت» اصولاً اخرى لايدرى كم كانت هى أيضاً اشتراكية. وحيث لم يتقدم هذا كثيراً فى دعوته؛ ظهر بعد مئتى عام تقريباً «مزدک بن بامداد» وتقدم الى الناس بنفس تلک الاصول السابقة. وكان لابدّ أخيراً من أن يتقدم الاسلام الى ايران فيحطّم هذه الاوضاع اللاانسانية ويحقق لفقراء المجتمع ــ وهم اكثره ــ حقوقهم المشروعة، اذ كان ديناً متحرراً متطوراً رائداً للمساواة..»[٤٦]

وعلى هذا فنجد أن مذهب مزدک انما شاع بين الناس شيوعاً عاماً لانه كان يقف الى جانب الطبقة الفقيرة فى ذلک المجتمع الطبقى.. و يقول كريستن سن بهذا الصدد:

«ان دين مزدک وان كان قد ظهر بمظهر مذهب سياسى ثورى بعد دخوله الى الطبقات السفلى من المجتمع الايرانى الطبقى؛ لكنه كان قد بقيت فيه اصوله الدينية، ولذلک فنحن نجد له اتباعاً حتى فى الطبقات العليا من المجتمع. و بلغ الأمر بهم من حيث القدرة الى أن بدأوا يرتبون لانفسهم مراتب روحانية و ينتخبون رئيساً روحانياً..»[٤٧]

و يقال: ان مزدک وأتباعه كانوا الى جانب «كاووس بن قباد» أخ «انوشيروان» حيث كان كاووس مزدكياً دون انوشيروان، فكانوا يحاولون أن يصلوا بكاووس إلى الملک على الرغم من أن قباد كان قد جعل ابنه انوشيروان ولياً لعهده؛ ولهذا فقد خطّط قباد وابنه انوشيروان لدفعهم عن البلاط بل عن البلاد خطة عظيمة.. يقول عنها كريستن سن:

«وهنا أيضاً عمل البلاط خطّته المجرّبة: فدعا جمعاً من رجال زرادشت ومزدک واتباعه، ودعا جمعاً عظيماً من الناس ليحضروا مجلس البحث العام، وكان قباد يدير المجلس

---

٤٦ ــ بالفارسية: تاريخ اجتماعي ايران ج ٢ ص ٤٦ ــ ٤٧.

٤٧ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ٣٨٢.

بنفسه، الا أن خسرو انوشيروان الذى كان قد عيّن لولاية العهد وكان يرى أن منصبه هذا اصبح فى خطر مؤامرة اخيه كاووس مع المزدكيين، صرف كل همّه وجهده فى أن يختم البحث بما يسبّب ضرب فرقة المزدكيين ضربة قاطعة مهولة.. فاختار لذلك عدداً من مجادلى المباحث العقائدية من بين الموابدة: «موبد الموابدة: گلونازس»... وكان «بازانس» اسقف المسيحيين الذى كان رافق الزرادشت فى هذه الحادثة حاضراً فى هذا المجتمع أيضاً، وكان بازانس هذا محترماً لدى قباد لما كان له من معرفة بالطب. وكان من الطبيعى أن غلب رجال زرادشت مزدک والمزدكيين.. و حينئذٍ هجم عليهم حرس القاعة الخاصة بهم بسيوفهم وحرابهم واسلحتهم، وقتل اندرزگر (اي: الواعظ، والظاهر انه هو مزدک). ولا يعلم عدد المقتولين فى هذه الحيلة، اذ ليس للعدد الذي يذكره المؤرخون العرب والفرس مبنى صحيح، الا أن الظاهر أن رؤساء الفرقة قتلوا هنا جميعاً، بحيث لم يبق للمزدكية بعد هذه الواقعة رئيس مطاع، ولذلک لم يبدوا أية مقاومة حينما صدر بشأنهم حكم القتل العام، فاضمحلّت الفرقة، واحرقت كتبهم، وصودرت املاكهم... واصبحت المزدكية بعد هذا فرقة سرّية بقيت على قيد الحياة، وظهرت فى الإسلام بعد الساسانيين مراراً عديدة».[٤٨]

تحطمت فرقة المزدكيين بالقوة العسكرية فى الظاهر، ولكنها بقيت كالجمر تحت الرماد. ونقطع أن لولم يظهر الإسلام لكان يظهر هذا الدين المزدكى مرة اخرى؛ وذلک لما فيه من خواص اشتراكية، اذ كانت تلک العلل التى سببت ظهور هذا الدين والتفاف الناس حوله بتلک السرعة باقية لا تزال. ان دين مزدک لم يكن يختلف عن دين زرادشت في شيء بالنظر الى الاصول الفكرية والعقائدية في خلقة الإنسان والعالم، كان على نفس المستوى ان لم يكن اعلى، ولهذا فلم تكن الجاذبية فيه باقل منها عما فى الزرادشتية وسائر الاديان السائدة، أمامن ناحية التعاليم الاجتماعية فقد كان دين مزدک على عكس دين زرادشت الذي كان يقف دائماً الى جانب الأقوياء والمقتدرين، ولهذا فقد كان لدين مزدک بين عموم الناس جاذبية اكبر واكثر. ان اثر القوة العسكرية اثر مؤقت لايدوم، فلا يمكن أن يكون هوالعامل الأصيل فى انقراض المزدكيين، بل ان العامل الأصيل فى ذلک هو الإسلام بصفته ديناً توحيدياً اتى باصول و مبانى خاصة فى خلقة الإنسان والحياة والخالق، لم تكن طرف قياس بالنسبة الى اصول مزدک، وكان فى تعاليمه الاجتماعية مستنداً الى العدل والمساواة من دون أن يشتمل على ما فى المزدكية من افراط متطرّف؛ ولهذا فقد كان يحتوى على جاذبية اكبر واكثر من المزدكية فكرياً واجتماعياً؛ ولهذا فقد توجه عامة الايرانيين الى اعتناق الإسلام عوضاً عن المزدكية. ووجدت الارضية المساعدة جاذبية المزدكية على عهد خلفاء الجور

---

٤٨ — نفس المصدر ص ٣٨٤ — ٣٨٦.

الامويين والعباسيين الذين اتخذوا سنة قيصرية وكسروية؛ الا أن التفاف عامة الناس الى الفصل بين حساب الإسلام وهؤلاء الخلفاء لم يفسح المجال للمزدكية. ولهذا فنحن نرى على راية أبي مسلم الخراساني-إذ اعلن هؤلاء الايرانيون ذو والاعلام السوداء نهضتهم لانقاذ الإسلام من شر خلفائه الجائرين فى اواخر أيام الامويين و بالضبط فى يوم عيد الفطر-الاول من شهر شوال سنة ١٢٩ هـ-فى قرية «سفيدج» من نواحى «مرو»ـــ نرى على رايتهم هذه الآية الكريمة: «اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا، وان الله على نصرهم لقدير»[٤٩] وتقدم سليمان بن كثير احد قواد النهضة بأمر أبي مسلم الخراسانى لاقامة صلاة الفطر والخطبة واعلن الثورة ضدالخلفاء الأمويّين فى خطبة صلاة العيد. فلوكان لدين مزدك بين الايرانيين اذ ذاك جاذبية لما كانت هناك فرصة مؤاتية احسن من تلك الفرصة التاريخية لظهور الاتجاه نحو المزدكية، الا أننا حينما نلاحظ التاريخ نجد أن ثورات التحرر الايرانية على عهد الإسلام كانت تستند الى الإسلام نفسه دون المزدكية وغيرها.

والسبب فى انقراض المزدكية بصورة نهائية كالمانوية، وعدم بقائها ولو بصورة اقلية دينية كالزرادشتية؛ هو ما قلناه فى سبب انقراض المانويين: وهو أن المسلمين لم يكونوا يحسبون المزدكيين من أهل الكتاب ولم يعتبروا المزدكية أصلاً سماوياً، بل كان يعدونها نوعاً من الزندقة كالمانوية. ولهذا فلم تتمكن المزدكية من البقاء حتى بصورة اقلية دينية كالزرادشتية. من دون ان ننكر انّ التطرف الافراطى فى المزدكية سواء من الناحية الأخلاقية والمعنوية والروحية كالرياضة الروحية والزهد المزدكي، وسواء من النواحي الاجتماعية والاشتراكية الاباحية المطلقة، ... كان عاملاً آخر لانقراض هذا الدين.

الدّين البوذيّ:

ولد قبل حوالى ٢٥ قرناً من الزمان في سفوح جبال هملايا من الهند، و بين الناس يعرفون باسم: «سياكيا» وليد لاحد ملوكهم، كان ربيب نعمة وترف حتى الثلاثين من عمره، وقد تعرف فى هذه المدة على علوم زمانه ولاسيما تعاليم الكتاب المقدس للهنود الذي يعرف باسم: «وودا». ثم اعتزل كل هذه النعمة والترف للرياضة الروحية على اثر ثورة روحية لديه. وكان الذي يشغل باله هوالفكر فى مصدر آلام البشرية؟ وكيف يستطاع التوصل الى حياة سعيدة؟ و بعد سنين من الرياضة الروحية توصل أخيراً تحت شجرة التين الى اكتشاف فكرة اعتقد بأنها هى سر الحياة السعيدة، وترك بعد هذا الاعتزال والخلوة وانكر الرياضة و بدأ بتعليم الناس وارشادهم. والذي اكتشفه ليس الا قانوناً طبيعياً ساذجاً بسيطاً

---

٤٩ ــ سورة الحج: ٣٩.

هو: ان هذا العالم يحكمه قانون الثواب والعقاب؛ وأن الخير يولد الخير والشر يولد الشر!.

هذا الوليد الجديد لملوك الهند الذي كان يدعى «سيداتا» وتلقب بعد دعوته باسم «بودا» انكر بعد كشفه هذاالقانون سنة القرابين والأدعية والبكاء والتضرّع والخضوع للالهة واثرها فى مصير الانسان، بل انكر الالهة و آمن بقدم العالم والقانون الازلي لهذه الحياة، وانكر كتاب «وودا» الذي كان يدعو الى القرابين والادعية وغيرها، والذي كان يفترض تفاوتاً بين البشر بحسب اصل الخلقة، و ينتقد ذلک.

ان طريقة بودا اشبه بالفلسفة من الدين، الا أن اتباعه جعلوا طريقته ديناً يعتنقونه، وصعدوا به ــ وهو ينكر العبادة والدعاء ــ الى رتبة إله يعبد دون الآلهة! اذ صنعوا لانفسهم معابد اقاموا فيها تماثيل بودا، وجمعوا اقواله فى كتاب سموه «سلال العلم الثلاث».

ووجد بودا اتباعاً كثيرين وهو على قيد الحياة، اذ تبعه اهل ولايتين من ولايات الهند يومذاک احداهما عاصمة ابيه، ثم توسع نطاق دينه بعد ذلک. واعتنق دين بودا في القرن الرابع الميلادي احد سلاطين الهند باسم «آشوكا» أحيا تعاليمه و بنى لاتباعه صوامع كثيرة، فاشتهر دين بودا وكثرأتباعه فى الهند. الا أنه حينما ظهر الإسلام فى الهند بدأ هذا الدين بالتقلص من موطنه الاصلي، واخذ بالنفوذ بدل ذلک فى الأمم المجاورة للاراضى الهندية. والآن دين بودا احد الاديان العالمية الكبرى وله اتباع فى: سيلان و سيام و فيتنام و جزائر فرموزة و بورما و كورية والتبت والصين واليابان ومنغوليا وغيرها..

وتسرّب دين بودا الى ايران؛ و يقول كريستن سن بهذا الصدد:

«ونفذ دين بودا بعد حملة الإسكندر وعلى عهد سلطة اليونانيين فى الولايات الشرقية لايران، وبعث «آشوكا» الذي كان قداعتنق البوذية سنة ٢٦٠ قبل الميلاد دعاة الى ولاية «گندره» (حوالى كابل اليوم) للدعوة الى البوذية... فبنوا فى تلک الولاية في القرون الاولى الميلادية صوامع كثيرة، وتوجد اليوم فى آثار تلک المعابد البوذية هناک نقوش ناتية على الطريقة الهندية اليونانية... وفى «باميان» الى الغرب من كابل تماثيل عظيمة لبودا منحوتة فى الجبال... و يظهر من رحلة هيون تسانگ الصينى أن الصوامع البوذية كانت لا تزال قائمة فى ايران حتى القرن السابع الميلادي، و يروى أنه كانت تقيم فى الولايات الشرقية لايران جماعات من اتباع سائر الديانات الهندية».[٥٠]

و يقول ايضاً:

«واعتنق دين بودا فى اوائل القرن الاول الميلادي وأواخر القرن الثانى «مناندر» ملک كابل و هندوستان الذي سخر قسماً كبيراً من الهند، واكتسب بذلک شهرة عظيمة بين

البوذيين».[٥١]

و يقول أيضاً:

«ودخل ولاية قندهار و پنجاب عام ١٢٥ للميلاد تحت قدرة ملك يدعى: «كاسنيكا» له شهرة عظيمة فى الاداب البوذية، و يعد مبلغاً كبيراً لدين بودا».[٥٢]

وتقلص دين بودا من هذه المناطق المذكورة آنفاً.. وقد نقلنا سابقاً: أن البودائيين والمانويين الذين كانوا من الأقليات الدينية فى ايران قاوموا المسلمين مقاومة تذكر، واختلفوا فى هذا عن الزرادشتيين الذين انهزموا أمام الإسلام من دون مقاومة تذكر. ونقلنا أيضاً: أن اسرة البرامكة كانوا قبل اسلامهم سدنة معبد بوذي فى «بلخ» وماوراءالنهر من خراسان.

ومع ذلك لم يتمكن هذا الدين البوذي من المقاومة أمام الإسلام طو يلاً، بل تقلص من هذه المنطقة شيئاً فشيئاً، كما تقلص عن موطنه الاصلى «الهند».

وكتب جمع من المستشرقين بهذا الصدد يقولون:

«نقل لناهيون تسانگ عمران و عظمة الأبنية الدينية فى باميان (ناحية من افغانستان قرب كابل) فى القرن السابع الميلادي.. ومرّ على نفس الناحية راهب من أهل كوريا فى القرون التالية فنقل لنا: أن الملك هناك كان رجلاً ايرانياً من اتباع مذهب بودا، وله جيوش قوية.. وفي القرن الثالث الهجري تملك أمر تلك الناحية يعقوب بن الليث الصفار الثائر المسلم الايرانى..».[٥٣]

والخلاصة: أن الاوضاع التاريخية تدلنا على أن دين بودا ــ الذي كان قد دخل الى ايران من الشرق اي الهند ــ كان يتدرج فى التسرب والتقدم الى سائر المناطق، كما أن دين المسيح ـ الذي كان قد دخل الى ايران من الغرب و بين النهر ين ــ كان فى تقدم واطراد؛ دين بودا كان يتقدم الى غرب ايران، ودين المسيح الى شرقه.. والدولة الايرانية ــ التى كانت قد جعلت الزرادشتية الدين الرسميّ لها وكانت تحميه وتدافع عنه و تخوّل رجاله قدرة فائقة ــ كانت هى التى تحاول عرقلة التقدم السر يع لهذين الدينين وكانت تتوفق فى ذلك الى حدّ كبير.. وقد نقلنا قبل هذا كتيبة الموبد كر يتر الذى كان يصرّح فيها قائلاً:

«.. اخرجنا عدداً من مبشري المذاهب الأجنبية الذين لم نرالصلاح فى بقائهم فى ايران؛ كاليهود (سمناها): (شمن ها) او الرهبان البوذيين، والبراهمة، والناصر يين (النصارى) والمسيحيين».

الا أن الذي انهى النشاط البوذي فى ايران وجعل المسيحية فى اقلية قليلة، ومنع من

---

٥١ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ٤٢.

٥٢ ــ نفس المصدر ص ٤٤.

٥٣ ــ بالفارسية: تمدن ايرانى ص ٤٠٧.

تقدم البوذية الى طرف الغرب والمسيحية الى طرف الشرق، بحيث يتحسّر لذلك القسس والمستشرقون حتى اليوم.. انما هو الإسلام..

وعلى أي حال؛ فالبوذية كانت احدى الأديان الكبرى آنذاك فى ايران؛ الا انه حيث لم يكن لها دور فعال من الناحية السياسية فى ايران، كاليهودية، وعلى العكس من المسيحية والمانوية والمزدكية.. لم يتعرضوا لها الا قليلاً.

العقائد الآرية:

اطلعنا بالاجمال على الوضع الدينى لايران القديم، وعلمنا أنه كانت هناك يومذاك اديان و مذاهب مختلفة، وانه لم تكن فى ايران يومذاك وحدة دينية. ونحن وان لم نكن نقدر على التخمين بالنسبة المئوية لكل من هذه الأديان، الا أن من المقطوع به أن الاكثرية انما كانت للزرادشتيين اتباع الدين الرسمي للدولة، وان كان اتباع ساير الأديان كثيرين أيضاً.

نحن نريد أن نعرف ما الذي اخذه الاسلام من ايران وما الذي اعطاها فكريا وعقائدياً، ولايفرق فى هذا أن نعرف نسبة اتباع كل من هذه المذاهب الى مجموع الأُمة من حيث العدد اولا نعرف. وانما الذي يهمنا أن نعرف ماذا كان لهؤلاء من عقائد وافكار فى خلقة هذا العالم.

وليس بايدينا علم بالعقائد اليهودية فى ايران آنذاك، الا أن من الطبيعى أن يكونوا كسائر اليهود اتباع التوراة و تلمود. ومعهما كانت عقائدهم فانهم كانوا اقلية ولم يكن لهم كبيرشأن دينى او سياسي فى المجتمع الايرانى يومذاك. بينما كان للمسيحية شان عظيم، وهى كما تعلم كانت تقول بالتثليث وربوبية عيسى بن مريم. ولانرى هنا حاجة الى البحث حول التثليث المسيحى وأنها بعيدة عن التوحيد؛ وذلك لوضوحه اولاً، وثانياً حيث لم تكن المسيحية فى ايران الا أقلية على أي حال، وان الذين اعتنقوا الإسلام منتقلين اليه من المسيحية لم يكونوا كثيرين على أي حال، اذ كانت الاكثرية للزرادشتية.. وقد كانت للمانويين والمزدكيين عقائد تشبه عقائد الزرادشتيين. ولهذا فنحن نقتصر فى بحثنا هذا بالكلام حول اصول عقائد الزرادشتيين و بعض عقائد المانوية والمزدكية، و بعبارة اخرى نخص بحثنا بالعقائد الآرية وتطورها؛ فنتساءل: ماذا كانت عقيدة الزرادشتيين والمانويين والمزدكيين فى مبدأ الوجود وعبادته حين ظهورالإسلام؟ فهل انهم كانوا موحدين او مشركين ثنويين؟:

لاشك أن الزرادشتيين والمانويين والمزدكيين كانوا حين ظهور الإسلام مشركين

ثنويين، وأنهم كانوا قد احتفظوا بهذه الثنوية فى الأدوار التالية لظهور الإسلام أيضاً، وأنهم كانوا يجادلون علماء المسلمين فى هذا الموضوع و يدافعون عن عقائدهم الثنوية. و انه انما ادعى الزرادشتيون عقيدة التوحيد وانكروا ماضيهم رأساً فى هذا النصف من القرن الأخير.

وما أسعدنا أن يدع الزرادشتيون خرافاتهم الثنوية و يعبدوا الله وحده سبحانه؛ الا أن سن لوازم عبادة الله الالتزام بالصدق والحق، ونبذ العصبيات؛ وعلى هذا فلاينبغى لمن يدعى عبادة الله الواحد أن ينسى ماضيه و يبديه على خلاف ما كان عليه.

ولانريد أن ندعى أن زرادشت كان فى الاصل ديناً ثنوياً، وأن زرادشت كان يكذب فى دعواه النبوة. كلا لاندعى نحن هذا؛ فقد تعامل المسلمون مع الزرادشتيين منذ الصدر الاول معاملة «أهل الكتاب» ومعنى هذا أنهم كانوا يعترفون بأن هذا الدين كان فى الأصل ديناً توحيدياً سماوياً، وأنه انما انحرف عن اصله فيما تلاعهده الاول الى الثنوية والشرك، كما انحرفت المسيحية الى القول بالتثليث والاقانيم الثلاثة. وعلى هذا فنحن نقدر شخص زرادشت ونحترمه. وانما الذي ندعيه هو أن هذا الدين كان حين ظهور الإسلام ثنوياً مئة بالمئة، وانه لم يكن ديناً توحيدياً ولامنسجماً مع التوحيد، وأن هذه السيرة المشركة كانت مستمرة حتى هذا النصف من القرن الأخير.

فعلينا أن نتابع بحثناهنا ضمن فصول ثلاثة:

١ ــ ماذا كانت عقائد آريا قبل ظهور زرادشت؟

٢ ــ ماذا جاء به زرادشت من الاصلاح والتطور الاصلاحى لتلك العقائد.

٣ ــ ماذا طرأ على دين زرادشت فى عهود ما بعد الإسلام من الانحراف والتغيير؟

عقائد آريا قبل زرادشت:

ان عقائد طوائف آريا القديم كانت تبتنى على نوع من عبادة ثنوية مشركة لبعض مظاهر الطبيعة؛ فقد كانت هذه الطوائف تعبد بعض عوامل الطبيعة سواء النافعة والضارة بحسب الظاهر؛ كالماء والتراب والنار، والرعد والبرق والصواعق، و بعض الحيوانات الضارية الكاسرة، تعبد العوامل النافعة لجذب عطفها وخيراتها، وتعبد العوامل الضارة ظاهراً كى تكون فى أمن من شرها. وكأن هذه الطوائف الفارسية كانت تزعم أن لهذه العوامل الطبيعية روحاً وادراكاً ومشاعر وأحاسيس. وعلى أي حال؛ فالعوامل الطبيعية التى كانت تعبد فى هذا العهد كانت على نوعين: عوامل نافعة وعوامل ضارة ظاهراً. فالحقيقة أنها كانت منذ البدء تقول بنوع من الثنوية فى الآلهة، وتعبدها بغايتين.

وكانت فى العهود التالية تقول لكل نوع من هذه الانواع بربّ نوع معين، فكانت تعبد

هذه الأرباب عوضاً عن نفس الموجودات الطبيعية، فتعبد رباً للنار ورباً للهواء، و رباً للمطر ورباً للرعد ورباً للصاعقة، وهكذا.. وفى هذا العهد تقسمت الالهة التى كانوا يتصورونها ارواحاً وأشباحاً الى قسمين: ارباب خيّرة ونافعة وارباب شريرة وضارة! او ارواح خيرة وارواح شريرة.. اي أن الثنوية كانت تسود عقائد آريا فى هذه العهود ايضاً.

وكتب الاستاذ سعيد نفيسى بهذا الصدد يقول:

«.. و بعد أن استراح الآريون الايرانيون من فترة رحلاتهم وتنقلاتهم و بنوا بيوتاً وقرى وسكنوها، اخذوا يبدون الاعتقاد تدريجياً بعدد من العوامل الضارة والنافعة، خيرة وشريرة، جميلة وقبيحة من مظاهر الطبيعة.. وكان أهم العوامل الخيرة النور والمطر، واهم العوامل الشريرة الظلام والشتاء والقحط والمرض والموت والآفات الاخرى. فكانت تعبد العوامل الخيرة والجميلة بالصلاة والدعاء والنذر والعهود، وتعبد عوامل الشرلكى تنجومن شرها باوراد واذكار خاصة.. وتدرج الأمر بهم الى الاعتقاد بالسحر والطلسمات، وكانت عقيدتهم بالسحر متأثرة بجوارهم للأُمم السامية البابلية والآشورية وغيرها، اذ كانت هذه الأُمم السامية البابلية والآشورية تعتقد بالسحر عقيدة راسخة ثابتة اثرت فى الايرانيين ايضاً.. وهنا قام زرادشت بين الايرانيين بوجه جميع هذه الخرافات».[٥٤]

و يقول المستشرق كريستن سن بهذا الصدد:

«كان الدين القديم للآريين يبتنى على عبادة قوى الطبيعة والعناصر والاجرام السماوية، وتجد عمدة هذه القوى الطبيعية آلهة لا تعدم بعض الصفات الخلقية والاجتماعية. و يبدو أنه كان هناك بين فخذي الجنس الآري: الهندي والايراني قبل أن ينفصلا تفاوتا فى آلهتهم؛ فقد كان هناك قسم من الآلهة الطبيعية تدعى لدى الهنود «ديوها» اي: «الأجنة» وعلى رأس هذا القسم اله يدعى «ايندرا» و يوصف بصفات حربية، وأما القسم الآخر من الآلهة فقد كان الايرانيون يطلقون عليه اسم «آهور= آسور» وكان على رأس هذا القسم إله يدعى «ورون» و «ميترا» و يذهب اكثرالعلماء الى أن «مزدا» الذي يعنى لدى الايرانيين: العالم و اكبر «آهورا» هو نفسه «ورون» القديم الذي نسى الايرانيون اسمه الأصيل»[٥٥]

ان الثنوية بمعنى العقيدة بمبدأين للخير والشر، كان من فكر الآريين منذ القديم، بل ان أقدم وأهم شيء كان يشغل بال هذا الجنس ليس الاثنوية الموجودات خيرها وشرها.

و يقول الدكتور محمد معين بهذا الصدد:

«ان الايرانيين كانوا منذالقديم يقولون بمبدأين للخير والشر، فكانوا يقولون بآلهة وشياطين آلهة «آهريمنان» وكانوا يعزون الأُمور الخيرة كالنور و المطر الى الآلهة، والأُمور

---

٥٤ ــ بالفارسية: تاريخ اجتماعى ايران ج ١ ص ٢٧ ــ ٢٨.

٥٥ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ٥٥.

الشر يرة كالظلمة والجدب الى «آهريمن»، و كانوا يعدون النار بنت السماء بصورتها الاولية وهى البر يق السماوي عاملاً مساعداً فى كفاح الارواح النورانية التى تحمل النور والضياء والحرارة والحياة مع الارواح النجسة التى تحمل الظلام والجدب».

ثم استشهدالدكتور معين بكلام المستشرق دومز يل تحت عنوان «اديان ايران القديم» حيث يقول: «يقابل الله والملكوت (النار والخصب والتقدم) عالم الشرو الظلام الذي يحكمه الأجنة «ديو= دئو». ان العقيدة الثنو ية من خصائص الفكر الايرانى القديم. وانت لا ترى لديهم فى عالم أهريمن سوى الظلام والشروالفساد والهدم.. ان هذا العالم الشريحكمه روح نجس يسمى «أهريمن= أهر مئنيو».

وآضاف الدكتور معين يقول:

«ان ميدان هذا الكفاح بين السماء والارض هوالجوّ؛ ان التقلبات الجو ية التى لا تتجلى لنا الا بصورة ظواهر فضائية لا تفكر فيها الا قليلاً، ان هذه التقلبات كانت لدى الآر يين القدماء ذوي الافكار المصورة والارواح الحساسة مظهراً لكفاح شديد يقع بين الموجودات التى تفوق البشر والقادرة على الخير والشر للبشر. وكان هؤلاء يصورون هذه المشاهد بصور مختلفة على شاشات مخيلاتهم». [٥٦]

اصلاحات زرادشت:

وقبل ان نبحث فى هذا الموضوع يلزمنا أن نقول: ان الابهام حول زرادشت[٥٧] نبىّ «مزديسنا» وكتابه «آوستا» الكتاب المقدس لمزديسنا، كثير:

فهل أن زرادشت شخصية خيالية مثل رستم و اسفنديار، اوشخصية واقعية؟ واذا كان شخصية واقعية فمتى كان يعيش؟

والاختلاف فى زمانه يمتدمن ٦٠٠ سنة قبل الميلاد الى ٦ آلاف من السنين!

---

٥٦ ــ بالفارسية: مزديسنا و ادب فارسى ص ٤٣ الطبعة الثانية.

٥٧ ــ تلفظ هذه الكلمة فيا بعد الإسلام بالفارسية: زردُشت او: زرتُشت، و قد تلفظ بصور اخرى، و تكتب بالعربية: زرادِشت. و يرى المحققون ان اصلها. زرتُشتر، اي صاحب الجمل الاصفر. و كتب الدكتور رضازادة شفق فى الفصل الثانى ص ١٣٣ من كتابه: ايران لدى المستشرقين (ايران از نظر خاور شناسان) ملخصاً الفصلين السابع و التاسع من كتاب: تار يخ شاهنشاهى ايران، تأليف المستد، البروفيسور فى تار يخ الشرق بجامعه شيكاغو ــ يقول: «بدأ زرتشت رسالته السماو ية فى اواسط القرن السادس قبل الميلاد فى الشمال الغربى لايران. و كان اسمه: زرتُشتر بمعنى صاحب الجمل الاصفر، و اسم ابيه: پور وشسب اي صاحب الفرس الرمادي، و اسم أُمه: دوغدوا اي حالبة البقر البيض، و اسم اسرته: سبيتمه اي البيض؛ و هذه الاسماء تحكى كلها عن حياة الرعي و الآنعام ــ المؤلف.

ومن كان يعاصر من الملوك الايرانيين؟ هل كان يعاصر «گشتاسب= و يشتاسب»؟

واين ولد؟: في آذربايجان او بلخ او فارس او الري او خوارزم او مرو او هرات او فلسطين؟ كما يقولون.. و اين بدأدعوته؟.

هذه اسئلة تاريخية هامة.[٥٨]

و يرى اكثر المحققين: أنه هو شخصية تأريخية واقعية، ولد في آذربايجان، حوالي ٦٠٠ سنة قبل المسيح. كتب الاستاذ تقي زاده يقول:

«يظن قو ياً أن زردشت كان يعيش حوالي ٢٥٨ سنة قبل استيلاء اسكندر على ايران وقتل دارا (٣٣١ــ ٣٣٠ق م) او ٣٧٢ سنة قبل هلاك الاسكندر (٣٢٣ق م) والذي ينبغى أن يبحث حوله هو أن هذه الفترة هل هي لتار يخ ميلاد زرادشت او بدء دعوته او ايمان گشتاسب؟ وعلى هذا فيجب أن نقرر أن ميلاد زرادشت كان فى عام ٥٨٨ق م او ٦١٨ او٦٣٠ق م. واذا فرضنا أن فترة ٢٧٢ سنة الى قبل موت اسكندر هوالصحيح اصبحت الارقام السابقة هكذا: ٦٣٧ و ٦٢٥ و ٥٩٥».[٥٩] والابهام حول اوستا ايضاً كثير.

فهل أن اوستاهو الكتاب المقدس لمزديسنا وهو كتاب زرادشت؟ وهل أنه لم يكتب بل نقل بالرواية الشفو ية عن ظهر قلب، وأنهم انما كتبوه بعد دخول الإسلام الى ايران ليدخلوا انفسهم فى زمرة اهل الكتاب عندالمسلمين؟ ام أنه كان مكتوباً قبل هذا ومدوناً مجموعاً؟ وان كان ذلک ففى اي زمان و مكان؟..

يزعم البعض أن اوستا كان مكتوباً فى العهد الهخامنشى وانه انما تلف فى حملة الاسكندر الرومي على ايران او انه هو الذي احرقه. وهذا هوالمشهور بين المؤرخين الشرقيين، الا أنه ليس مسلماً به لدى المحققين الغربيين[٦٠] و يقتصر عدد منهم على القول بأن اوستا اصيب بالتفرق والضياع بحملة اسكندر. وجمعوه مرة اخرى فى العهد الاشكاني. الا أن من المسلم به أن اوستا لم يكن مجموعاً مدوناً حينما بدأ عهد الساسانيين، وأن اردشير الساسانى هو الذي أمر احد رجال الدين الزرادشت أن يرتب اوستا من جديد. ولايعلم أن عمل هذا الرجل كان مبتنياً على اي اساس او مدرک؟ ولا مدى توافق اوستا الجديد مع القديم او اختلافه معه؟ الا أن من المعلوم أنه كان بينهما اختلاف كثير.. وايضاً لايدرى لما ذا لم يبق هذا الجديد سالماً وانما

---

٥٨ ــ انظر: مزديسنا و ادب پارسي ص ٧٦ ــ ٨٩.

٥٩ ــ نقلاً عن مزديسنا و ادب پارسي ص ٨٨.

٦٠ ــ بالفارسية: مزديسنا و ادب پارسى ص ١٨٥ نظرية گيرشمن.

بقى قسم منه الى اليوم؟[٦١]

و يقول كريستن سن بهذا الصدد:

«قد يفكر الانسان فى سبب انعدام اوستا الساسانى على العهد الإسلامي؟ ونحن نعلم أن المسلمين كانوا يعدون الزرادشتيين من اهل الكتاب، وعلى هذا فلانستطيع أن ننسب انعدام كتابهم المقدس الى تعصب المسلمين.. ورأينا أن اكثر اقسام اوستا الساسانى كان باقياً حتى القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) او كانت بايديهم الترجمة البهلوية له مع تفسيره الشهير بزند اوستا ــ على الاقل.. ومن المسلم به أن الضيق المادي الذى كان قد اصاب الزرادشتيين فى ذلك التاريخ لم يكن يسمح لهم بأن يكتتبوا كتابهم المقدس جيلاً بعد جيل.. ومن هنا نعلم أيضاً انه لماذا بقيت مناسكهم المالية والحقوقية فى زوايا الاهمال والنسيان؛ اذ لم تكن اذ ذاك دولة زرادشتية تستوفى منهم هذه الحقوق المالية،فكانت عارية من الأهمية والاعتبار و بلافائدة.. اما أنهم لماذا لم يحفظوا افكارهم فى المبدأ والمعاد والخلق والتكوين وسائر الافكار الاساسية؟ فهناك قرائن نستطيع منها القول بأن الشريعة والعقيدة الزرادشتية تغيرت بنحو من الاصلاح فى القرن الاول بعد سلطة العرب (المسلمين) وأن الزرادشتيين قد رغبوا فى حذف بعض القصص والأساطير الشايعة والعادية و بعض العقائد التى اثبتت فى بعض فصول اوستا».[٦٢]

و ينقل كريستن سن اسطورة الخلقة وفقاً للمثبت فى اوستا الساساني هكذا:

«ان عمر الدنيا تبلغ الى ١٢٠٠٠عام، فى الثلاثة آلاف الاولى كان اوهرمزد (اوعالم النور والضياء) واهريمن (اوعالم الظلام) يعيشان بسلام جنباً الى جنب. وكان هذان العالمان لاينتهيان من ثلاثة اطرافهما وانما كانا يتحدد ان من الطرف الرابع احدهما بالآخر كان عالم النور اعلى وعالم الظلام اسفل والهواء بينهما. وكانت مخلوقات اوهرمزد فى هذه الثلاثة آلاف من السنين فى حال الامكان، ثم رأى أهريمن النور فتصدى لاعدامه. فاعلن اوهرمزد الحرب معه تسعة آلاف من السنين وهو مطلع على المستقبل، و رضى اهريمن بهذا وهو غير مطلع الاعلى الماضى فتنبأله اوهرمزدبان هذا الجدال سينتهى بهزيمة عالم الظلام، فاستوحش اهريمن من سماع هذا النبأ كثيراً و رجع الى عالم الظلام و بقى هناك ثلاثة آلاف من السنين بلا اية حركة. و بدأ او هرمزد فى هذه المدة بخلق العالم، وحينما انتهى امر الخلقة خلق ثوراً يسمى الثور الاول، ثم خلق انساناً عظيماً باسم «گيومرد= كيومرث» فكان نموذجاً لنوع الانسان.

---

٦١ ــ راجع: بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ١٦٢ ــ ١٦٣ و صفحات ٤٥٩ و ٥٣٨. و انظر بالفارسية ايضاً: مزديسنا و ادب پارسى صفحات ١٨٠ ــ ١٨٥ و ص ٢٢٤.

٦٢ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ١٦٣ ــ ١٦٤.

فهجم اهريمن على مخلوقات اوهرمزد ولوّث مخلوقاته وخلق بينها الهوام والحشرات الضارة. وحفر اوهرمزد عندالسماء خندقاً [لنفسه] وهجم عليه اهريمن كراراً حتى قتل فى النهاية الثور الاول و گيومرد، الا أنه نبت من بذر گيومرد الذي كان مخفياً فى بطن التراب بعد اربعين عاماً نبات خرج منه اول زوج من البشر يسمى «مشينگ وميشانگ» فبدأ عهد اختلاط النور و الظلام الذي يسمى «گميزشن» وأصبح الانسان فى هذه الحرب من اعوان النور اوالظلمة بنسبة اعماله الخير اوالشر». [٦٣]

والآن لنرجع الى موضوع اصلاحات زرادشت:

يعترف جميع الذين يحسبون زرادشت شخصية حقيقية و تاريخية بأنه كانت له اصلاحات اجتماعية وعقائدية واقتصادية فى مجتمعه...

فمن اصلاحاته العقائدية: منعه الناس عن عبادة الجن والشياطين، ودعوته لهم الى عبادة اهورامزد، واعلانه أن الشياطين ملعونة ونجسة فهى غير مستحقة للعبادة.

ومن اصلاحاته العقائدية الاقتصادية: منعه عن ذبح البقرواي حيوان للقربان.

و يكتب دومزيل فى مقال له فى كتاب «تمدن ايرانى» يقول:

«ان اصلاحات زرادشت كانت تامة وكاملة، انه لم يكن يأت بطريقة جديدة للبناء الاجتماعي، الا أن الجانب الاقتصادي لاصلاحاته كان قوياً جداً» و يزعم عامة المحققين أن اصلاحات زرادشت تحققت حينما بدأت الاقوام الآرية تنتقل من حالة البداوة الصحراوية الى الحضارة البلدية والقروية، وتبدل الرعي فى المراتع الطبيعية العامة الى الرعي فى اراض تخص كل قبيلة، ولهذا فقد تقررت لديهم حرمة خاصة للثور والبقر، واهتموا فى بنائهم البلدي والقروي الجديد بالسماد الحيواني، وحتى انهم بالغوا فى الاهتمام ببول البقرالى درجة أن عدوه طاهراً بل مطهراً». [٦٤]

و يقول دومزيل ايضاً:

« حذف زرادشت قبل المسيح بالف أو ٦٠٠ سنة ذبح الحيوان للقربان، ومنع الناس من شرب المايع المسكر «سومه» الذي كانت له اهمية خاصة فى دين الهنود القديم ولدى الايرانيين ايضاً. وكانت العبادة لديه هي: الفكر الخير والقول الخير والعمل الخير، وكان هذا هوالعامل النشيط الذي كان يشرك الانسان فى الحرب الابدية بين الخير والشر. وكان يقول: كيف يمكن لمشروب مسكروسخ أن يمدالخير فى معترك الحياة؟! او يقول: اليس الأحسن أن يعمل ثور الفلاح القروي فى الاعمال النافعة فى المزارع عوضاً عن أن يقدم قرباناً

---

٦٣ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ١٦٨ ــ ١٦٩.

٦٤ ــ بالفارسية: تمدن ايرانى ص ٨٦ ــ ٨٧.

لربّ غير جسم لايحتاج الى الطعام؟!»

ان شراب سوم او هوم الذي شجبه زرادشت بشدة عبارة عن عصير مسكر لنوع من النبات لم يعلم بوضوح اي نوع كان هذا النبات، كان الايرانيون القدماء يستعملونه فى بعض طقوسهم ومناسكهم الدينية..

يقول الدكتور معين:

«ان الفدية كانت فى نظر الآري القديم بحكم ضيافة تهيّأ لضيوف اعزاء، والآلهة تقبل دعوة احبائها، وكما يقوى الانسان بطعامه كذلك تقوى الآلهة بهذه الضيافة؛ وان هذا الأثر يوجد بقوة فى عصير نبات «سومه» او «هومه» المقدس الذي يفرح الروح و يبهجها... ان هذا النبات الجبلى «سومه» له ساق لطيف تحوطه ألياف لطيفة وله عصير ابيض بلون اللبن، و يدعى فى كتب الطب العربية القديمة بهوم المجوس... انهم كانوا يغلون عصير هذا النبات الى أن يتلون. وكان شرب هذا المايع عند تقديم القربان من اقدم واعظم(!) طقوس العبادة الآرية. انهم كانوا يصبّون من هذا الشراب على النار، فكانت الكحول الموجودة فيه توجب اشتعالاً شديداً للنار. وكان رجال الدين ايضاً حينما يريدون اجراء بعض طقوس العبادة يشربون منه ما يكتفون به. لم يكن هذا النبات محترماً ومقدساً فقط بل ان من غريب العقائد الآرية انهم كانوا يزعمون له درجة من الربوبية والالوهية».[٦٥]

اما زرادشت فانه نسخ هذه الخزافة.. ولكنها اعيدت مرة اخرى فى العهد الساساني، بل اصبحت جزءاً من السنن الزرادشتية! فقد جاء فى اوستا الساساني فى البند الثامن من يسنا العاشر: «هوم يشت»:

«نعم! إنّ سائر المسكرات يعقبها غضب السلاح الدموي، الا «هوم» فانه يصحبه سكر صادق(!) ان سكر هوم يخفف اولئك الذين يلاطفونه كطفل صغير؛ فان هوم يهيىء نفسه ليكون بلسماً لاجسامهم».

ولنرجع مرة اخرى الى موضوع اصلاحات زرادشت:

كتب جان ناس فى كتابه «تاريخ اديان» بترجمة الاستاذ على اصغر حكمت الى الفارسية يقول:

«ان الخير والصواب بنظر زرادشت أن يزرعوا الارض و ينبتوا الخضر والغلات، وأن يقتلعوا الاعشاب المضرة، وأن يعمروا بذلك الاراضى البائرة و يرووا الاراضى القاحلة. وأن يدجنوا الحيوانات النافعة ولاسيما البقرة التى تفيد للزراعة بالعطف والشفقة. والانسان الخير هوالذي يبرأمن الكذب و يصدق دائماً، والانسان الشرهو الذي يعمل على خلاف هذه الأمور

---

٦٥ ــ بالفارسية: مزديسنا و ادب پارسى ص ٤٩ ــ ٥٠.

ولايحاول الزرع أبداً، فان «انگرامئنيو= الروح الشريرة عدوة للزراعة والفلاحة..»

وكتب يقول:

كان الزرادشتيون القدماء يقولون فى مناجاتهم: أنا اعادى الشيطان «ديو» واعبد مزدا، انا اتابع زرادشت رسول «يزدان» وعدو الشيطان «ديوان» انا اثنى على الارواح المقدسة «امشاسپندي» واعاهد الرب العليم أن اتعهّد الخير والعمل الصالح، واختار الصدق والحق، واتبع ببركة «ايزد» خير الاعمال، و أن اكون رؤوفاً بالبقر الذي هو من العطاء الخير لمزدا، وان احترم قانون العدل وأنوار الفلك والفضاء التى هى منابع الفيض اليزداني. انا اختار ملاک «ارمى تى= سپندار مذ» الطاهر الخير وآمل أن يكون هُوَلي ايضاً، واعاهد أن احاذر السرقة والفساد واذى الحيوان واهلاک المدن والقرى منازل عباد يزدان..».

أن أهم شيء فى اصلاحات زرادشت هوما يتعلق بمسألة الخلقة والخالق. فما الذي كان يصوره زرادشت بشأن خالق العالم؟ هل كانت دعوة زرادشت دعوة توحيدية او غير توحيدية؟. سنجيب على هذه الأسئلة فى فصل خاص بعنوان «زرادشت والثنوية».

التطور فى عقائد اريا بعد زرادشت:

لاينكر احد من المؤرخين والمحققين أن عقائد آريا اتجهت بعد زرادشت ولاسيما فى العهد الساسانى ــ الذى نبحث فيه ــ الى التردي والانحطاط، وأن الجوانب العالية والجميلة من تعاليم زرادشت تبدلت الى افكار منحطة وقبيحة! وتعلقت بدين زرادشت فى العهد الساسانى آلاف الخرافات. لايختلف احد فى هذا، بل يعترف به الجميع.

كتب «دومزيل» المستشرق المتخصص فى مسائل ايران، تحت عنوان «رفورم زرتشت» يقول:

«الحق أن افكار و تعاليم زرادشت كانت متطورة وشجاعة، الا أن دينه ابتلى بعده بمصير سائر الاديان والمذاهب. و بوضوح نقول: ان تعاليم الاستاذ زرادشت تغيرت بتأثير من سنن الكون وحاجات الحياة وميول المؤمنين؛ فتبدّل التوحيد بنوع من الشرک والثنوية، وَاصبح اسم الملائكة المقربين يقترن بالرب الاكبر، واضيفت الى مناسک القربان طقوس عجيبة، واستبدلت الاخلاق بمحاولات روحية..».[٦٧]

---

٦٧ ــ بالفارسية: تاريخ تمدن ايرانى، بقلم جمع من المستشرقين ص ٩٤ بترجمة جواد محبى، و ص ٨٩ بترجمة الدكتور عيسى بهنام.

وكتب المستشرق پ.ژ.دوميناشة يقول:

«ان الدين الخرافيّ والقصصي الاسطوري القديم ظهر مرة اخرى على الرغم من اصلاحات زرادشت الأساسية، بل ظهر وهو يدعى أن زرادشت كان منه ومن اتباعه! والحق «گاتها = النشيد الديني الزرادشتي» بالطقوس المتعلقة بـ «هئومة» مع ماكان بينها من تضاد وتنافر و تغاير! وهكذا اصطف الرب الاكبر «آهورا مزدا» مع الارباب الخالدة ــ التي كان دين مزدا قد طردها ــ في صف ربوبي واحد».[٦٨]

و يعترف پورداود والدكتور معين بالفرق الفاحش بين اوستا العهد الساساني مع اوستا الاصل، وأن اوستا الساساني كان قد جدد التعاليم الخرافية السابقة على زرادشت.. و يدّعون:

«يجب علينا أن نفتش عن دين زرادشت الحق و الأصيل في «گاتاها» اذ تصرف الناس بعد زرادشت بدينه حتى بعد دين زرادشت في العهد الساساني عن مبدئه كثيراً...».[٦٩]

ان «گاناها» الذي يستند اليه الاستاذ پورداود والدكتور معين، هو قسم من «يسنا» وهو جزء من خمسة اجزاء من اوستا العهد الساساني، وهو من حيث نسبته التاريخية الى زرادشت اقوى اقسام اوستا اعتباراً، فان لدى المحققين قرائن كثيرة تدل على أنّ گاتاها ــ وهو نشيد شعر للمناجات ــ انما هو نشيد نفس زرادشت، وهو أيضاً اقرب اقسام اوستا الى العقول، فليس فيه ما في سائر الأقسام من الخرافات او هي فيه قليلة على الاقل بل يوجد فيه احياناً مايضاد بعض الخرافات في سائر الاقسام. وعلى هذا يستند من يرى أن زرادشت كان موحداً، و يرى أن سائر اقسام اوستا ملحقات غير اصيلة.

و على اي حال، فلا شك في أن دين زرادشت اتجه الى الانحطاط بعد زرادشت و لاسيما في العهدالساساني، سواء من حيث اصول العقائد او من حيث الاحكام و المقررات. و اي دليل ادل على هذا من أن «آهورامزدا» وجد لنفسه في الادوار التالية لزرادشت شمائل و اشكالاً وتواجدت تماثيله في كل مكان!.

و سبق أن نقلنا شيئاً مما ينسب اليه مما يفهم منه أنه كان يقول بتجرد الرّب و لاجسميته و لذلك فهو ينهى عن القربان و يقول: «ان الرب ليس جسماً حتى يحتاج الى الغذاء»[٧٠] بينما نرى أن للرب في العهد الساساني شمائل و اشكالاً ولحية و عصا ورداءاً! ان

---

٦٨ ــ بالفارسية: تمدن ايراني، ص ١٤٤ بترجمة الدكتور بهنام.

٦٩ ــ بالفارسية: مزديسنا و ادب پارسي ص ١٩٨.

٧٠ ــ أما القرآن الكريم فيقول أيضاً: «لن ينال الله لحومها ولا دماؤها و لكن يناله التقوى منكم» و لايمنع من القربان بعنوان الاطعام اذيقول: «فكلوا منها و آطعموا القانع و المعتر» و «أطعموا البائس الفقير» (الحج: ٣٦).

النقوش التي بقيت لنا من العهد الساساني في «نقش رجب» و «نقش رستم» و «نقش طاق بستان» و نرى فيها أن اهورامزدا يهب تاج الملوكية الى اردشير اوشاهپوراوخسرو، ان هذه النقوش ترينا كيف أن الموابذة الساسانيين كانوا قد صنعوا من اهورامزدا صنماً او وثنا يعبد، بعد أن كان قد تجرّد في فكر زرادشت.

و يشرح لنا كريستن سن «نقش رستم» فيقول:

«نرى فيه ان اورهرمزد وضع على رأسه تاجاً ذا اضلاع، يبدوشعره المجعّد من فوق رأسه من وسط فتحة التاج، له هيئة قديمة من حيث حلقات خصائل شعره و لحيته الطويلة و المربعة، و لكنه لايختلف كثيراً من حيث الملابس مع الملك الشاهنشاه؛ فله شرائط مجعّدة مدلاّة من تاجه كماللملك، و اما السرج والعُدة (لفرس مزدا والملك) فهي سواء، الا آن اللوح الذي وضع في مقدم سرج الملك نقش عليه صوراُسود ناتئة، اما سرج مزدا ففيه نقوش من الاوراد»[٧١].

و نرى نحن الآن على لوحات بعض المؤسسات المجوسية الزرادشتية صوراً لآهورامزدا بنفس تلك اللحية و العصا كعلامة وطنية و قومية! وليست للدلالة على الانحطاط الفكري في العهد الساساني. ان المجوس اليوم يدعون من ناحية أنهم موحدون و يدعون أن اهورامزدا عندهم هو الله الذي «لا تدركُه الابصار و هو يدرك الابصار و هو اللطيف الخبير»[٧٢] و هم من ناحية اخرى يصورون له شكلاً و تاجاً و عصا كانما هوصنم يعبد.

انه لمن المخجل حقاً آن يصور ربّ له جسم و جناح و لحية لنا نحن الايرانيين بعد أن حظينا ببركة الاسلام باسمى المفاهيم التوحيدية و قلنا و نظمنا في ذلك اجمل المقالات و الابيات، ثم يصرون علينا أن نقبل هذه الصور كانها علامات و شارات وطنية و قومية! فان لم يكن هذا من الانحطاط والرجعية فما هي الرجعية اذن وما هوالانحطاط؟! و ان لم يكن هذا من عبادة الوثن فما هو معنى عبادة الاوثان و الاصنام؟!

ان الايرانيين حينما ترجموا التعابير الاسلامية الى اللغة الفارسية ترجموا لفظة (الله) الى (خدا) و الظاهرانها مخففة عن (خود آي) اي (غيرالمخلوق ــ او ــ واجب الوجود) ولم يترجموا (الله) الى (اهورامزدا) حيث أن هذه الكلمة كانت قد وجدت مفهوم التجسم لدى المجوس الى درجة أن اولئك العقلاء لم يروا من المناسب أن يترجموا (الله) إلى (اهورامزدا).

ان احد المفاهيم الدينية في العهد الساساني مصطلح «فرّ ايزدى» و الظاهر أنه من

---

٧١ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ١١٢، و يراجع ص ١١٠ بعنوان شمائل الله في نقش رجب، و ص ٢٥٧ شمائل الله في نقش رستم، و ص ٤٨١ شمائل الله في طاق بستان ــ تطلق كلمة: شمائل في الفارسية على التمثال.

٧٢ ــ سورة الانعام: ١٠٣.

منشآت السياسة الساسانية، و قد يبدو لاول نظرة أن هذا المصطلح مفهوم مجرد معنوي، و لكنه يظهر بأدنى تامل و ملاحظة أن هذا المصطلح أيضاً كان قد وجد جانباً مادياً و جسمانياً:

كتب الدكتور معين بهذا الصدد يقول:

«... انهم كانوا يصورون «فره» بصورة طير (كالشاهين و العُقاب) و فقاً لما في اوستا... و صوروا ان جمشيد حينما نطق بالكذب طارعنه الفر الملوكي في صورة طير طارعنه... و صور «فر» فى «كارنامة اردشير» بصورة «خروف»[٧٣].

و هنا ينقل لنا الدكتور معين اسطورة هرب اردشير والوصيفة و مطاردة اردوان لهما فيقول:

« كان اردوان كلما سأل جماعة عنهم اجابوه: أنهم رأوهما فى النقطة الفلانية يسرعون فى سيرهم و رأوا خلفهما «خروفاً» يتبع اثرهم. فتعجب اردوان من تعقيب الخروف لهما و يسأل الدستور (رجل الدين الزرادشتى) عن هذا فيجيبه: ان ذلك الخروف هو (فره الربانى = الملوكى) و لكنه لم يصل اليهما بعد، فلنذهب الى صوبهما لعلنا نستطيع أن نأخذه قبل أن يصل اليهما»[٧٤].

و فى هذا العهد الساسانى أيضاً تعرف النار بأنها بنت الرّب اهورامزدا[٧٥].

و فى هذا العهد ايضاً يجعل اهورامزدا الى جانب اهريمن و فى عرضه، بعد أن كان في بعض تعاليم زرادشت فوق جميع الموجودات و خالقاً للعقل المقدس (سپنت مئنيو) و للروح الشريرة (انگره مئنيو= اهريمن)! و توجد طبقة فى هذاالعهديرون بالاستناد إلى نفس اوستا: أن اهورا مزدا و اهريمن كليهما مخلوقان لموجود آخر باسم «زروان =الزمان غير المتناهى = الدهر» و هكذايقولون:

«ان زروان الرب القديم الاصيل، قدم قرابين كثيرة جداً عساه يلد مولوداً يسميه اوهرمزد، و بعد أن قام بتقديم هذه القرابين طوال الف عام شك حتى فى اقوى قرابينه و احسنها، و لهذا فقد ولد فى بطنه مولودان: احدهما: اوهرمزد الذي كان قدقدم القرابين له، و الثانى: اهريمن وليد الشك والترديد. و وعد زروان ولاية عهد العالم الى من حضر لديه اولاً، فشق اهريمن بطن والده و ظهر أمامه، فسأله زروان: من أنت! و اجابه اهريمن: انا ابنك! و قال زروان: ان ابنى يكون نورانياً و معطراً وأنت عفن و مظلم! و ظهرهنا اوهورمزد معطراً نورانياً، فعرفه زروان و اعترف ببنوته و قال له: كنت انا اقدم لک القرابين حتى اليوم، و

---

٧٣ ــ بالفارسية: مزديسنا و ادب پارسى ص ٤٢٠.

٧٤ ــ بالفارسية: مزديسنا و ادب پارسى ص ٤٢١.

٧٥ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ١٦٨.

يجب عليك أن تقدم لى القرابين من الحين»[٧٦]

ان كتاب «وندیداد» الذي هو جزء من خمسة أجزاء من اوستا الساسانى الموجود، يشتمل على احكام و آداب الزرادشتية فى ذلک العهد. و قسم من هذاالكتاب يشتمل على ادعية و اوراد لحبس الجن و الشياطين (ديوها) بل ان كلمة «وندیداد» و أصلها «وندیو داد» تعني جعل (الجن = الديو) فى محكمة العدل؛ فان «وند» يعنى: الجعل، والديو: الجن والشياطين بالمعنى المجوسى الزرادشتى الخاص، و «داد» يعنى: العدل. و تكفى هذه الكلمة بهذه المعانى مرآة لاسلوب الفكر المجوسى الزرادشتى فى ذلک العهد، و ان محتويات هذا الكتاب تصورلنا العقائد فى ذلک العهد ايضاً و قد بسط المحقق المتخصص فى مسائل ايران المستشرق كريستن سن، بسط لنا شرحاً وافياً فى موضوع العقائد والآداب الزرادشتية فى ذلک العهد، فى الفصل الثالث من كتابه[٧٧] و عن مناسک تخص عبادة النار، و حول جعل الطعام و الشراب للأموات على سطح البيوت، و حول احتفال «سده» و ارسال الحيوانات الضارية و الطيور غير الداجنة الى النار، و عن احتفائهم بالنار و شربهم المسكر الخاص «هيوم = سيوم» و رقصهم حولها، و غيرها...

و كتب هذا المستشرق المحقق فى الفصل الثانى من كتابه يقول:

«وكانت لرجال الدين الزرادشت وظائف و تكاليف مختلفة تتعلق بعلاقاتهم مع المجتمع؛ من قبيل: اجراء احكام التطهير، والاصغاء الى اعترافات المذنبين والعفوعنهم، وتعيين موازين الكفارات و الجرائم، وعمل بعض التشريفات للولادة، و العرس، و شدالمنطقة المقدسة «كستيک» و تشييع الجنائز، و القيام بالاعياد الدينية... و كان يجب عليهم أن يثنوا على الشمس و يتضرعوا للقمر فى كل يوم اربع مرات... و كان عليهم أن يتلوا اوراداً خاصة حين النوم و القيام من النوم و الوضوء و الغسل و شد المنطقة و الحزام و اكل الطعام و قضاء الحاجة و العطسة و تقليم الاظفار و الخصائل و ايقاد السراج و امثال ذلک ... ان نار الموقد يجب أن لا تنطفئ فى البيت و نور الشمس يجب أن لايصل الى النار، و لايجوز أن يوصل الماء الى النار، والاوانى النحاسية لايجوز أن لا تصدأ اذ النحاس من انواع الفلز و هو مقدس عندهم. و كانت عليهم تشريفات خاصة على من يمس جسدالميت او الحائض اوالنفساء ولاسيما اذا

---

٧٦ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ١٧٣، و تاريخ ايران باستان ج ٦ ص ١٥٢٤ ط بالقطع الصغير، و باختلاف يسير.

٧٧ ــ ايران در زمان ساسانيان ــ الترجمة الفارسية نقلها عن البيرونى.

٧٨ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ١٤١.

كان وليدها قدمات قبل الولادة، تشريفات متعبة جداً... ويعدّ ارداي ويراز[٧٨] من اولياء دين زرادشت، فيمن شاهده من المعذبين فى جهنم من القاتلين و الفاعلين والكافرين و الظالمين: افراداً جعلوا فى رديف هؤلاء فى جهنم بسبب استحمامهم فى الماء الحار، و تلويثهم النار و الماء بالنجاسات، و الكلام فى اثناء الطعام، و البكاء على الاموات، و المشى بدون نعال..»[٧٩]

و كان البقر و لاسيما الثور قد تقدس لديهم كثيراً...و كان قبل زرادشت يذبحون هذه الحيوانات للآلهة بدون أن يقصدوا من ذلك اطعام الفقراء و المساكين بل بقصد تقوية و تأييد الآلهة فقط، و منعت التعاليم الاصيلة لزرادشت عن قربان البقر وأي حيوان آخر، و أكدزرادشت على أن هذاالحيوان يستفادمنه للزرع اكثر من الذبح. و لعل هذه التعاليم اوسوابق الفرس فى عبادة مظاهر الطبيعة سبب فى تقديس البقر بعد زرادشت؛ فقد فرض فى قصة الخلقة الاولى أن البقراول مخلوق على الارض، و أنه قتل مع اول رجل هو «گيومرد = كيومرث» و عدبول البقرمن المطهّرات المقدسة! و كما يقول كريستن سن:

«وفي كتاب «وندیداد» شرح مفصل عن الماء وتأثيره فى التطهير، وعدّ بول الثور اقوى تأثيراً فى التطهير...»[٨٠]

و يقول ابوالعلاء المعري الشاعر العربي الشهير فى شعره المعروف الذي ينتقد فيه الاسلام و اليهود و المسيح و المجوس بكلمة واحدة:

عجبت لكسرى و أشياعه ... و غسل الوجوه ببول البقر!
و قول اليهود: إلّه يحب ... رسيس العظام و ريح القتر!
و قول النصارى: إلّه يضام ... و يظلم حياً و لاينتصر!
و قوم: أتوا من اقاصي البلاد ... لرمي الجمار و لثم الحجر![٨١]

وفي اوستا الساسانى حكم آخر اكدعليه كثيراً هو المنع عن دفن الاموات و تلويث الارض بهم، و قداكد على هذا الحكم فى كتاب «وندیداد» اكثر من اي حكم آخر. و كان الزرادشتيون فى ايران و الهند لايدفنون موتاهم حتى النصف الأخير من هذا القرن كما نعلم، بل كانوا يضعون موتاهم على برج مشيد يدعى «برج خاموشان = برج الهامدين» كى تاكلهم الطيور، ثم منعتهم الحكومات من هذا العمل حفظاً للصحة العامة، و تيقظت و تنورت افكار

---

٧٩ ــ ارداي و يراز صاحب رسالة فى معراجه او مكاشفته تدعى: ارداي و يرازنامه.

٨٠ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ١٦٧.

٨١ ــ أحاله الاستاذ المؤلف على مروج الذهب بدون تعيين الموضع، و لم اجده فى مظانه.

كثير من شبابهم فامتنعوا عنه بل منعوه. و بقى بعض ابراجهم قائماً الى الآن حوالى مدينة يزد.

و يقول الدكتور معين فى هذا الموضوع:

« و نرى كثيراً من المعتقدات الهندية البوذية تظهر فى دين زرادشت ايضاً، و العامل الأساس هنا النار، فالنار تتقد دائماً فى محرابها و الهدايا المتتالية تمنع من خمودها... و مع ذلك نرى أن العبادة و التضرع و الخضوع تبدو فى الدين الايرانى اكثر و اكثر، و لهذا يمنع هذا الدين من إحراق الاموات و دفنهم ايضاً، اذ تقول العقيدة: ان الميت يلوث الارض و النار وهما طاهران، و لهذا فهم يذهبون بأمواتهم الى الصحاري و يجعلونها بين يدي الريح»[٨٢]

و نرى هنا أن دين زرادشت توجه الى طهارة الماء والتراب، و لكنه لم يلتفت الى انهما طاهران و مطهران ايضاً...

و يقول كريستن سن:

«يقول آگاتياس: ان جعل الاموات فى غارة فى الجبل كان من عادات و تقاليد الفرس على عهد الساسانيين. و يشير هيون تسانگ الزوار البوذي الصينى الى أن الايرانيين كانوا يعلقون امواتهم غالباً (بيل، ٢ ص ٢٧٨) و كتب اينوسترا نتزف رسالة فى عمل الفرس القديم بموتاهم، بالروسية»[٨٣]

و كتب فى قصة طرد القائد سياوش من بلاط قباد، يقول:

«كان من بين الجرائم الهامة التى اخذت على سياوش من قبل «انجمن بزرگ» المحكمة العالية برئاسة موبد الموابذة: أن قالوا: ان سياوش حاول أن لايعيش كما يعيش سائر الايرانيين و يحفظ المنشآت و التقاليد الايرانية، فعبد ارباباً مبتدعة، ودفن زوجته المتوفاة حديثاً، على خلاف دين زرادشت حيث يقرر أن يجعل الموتى فى غارة فى الجبل كى تأكلهم الطيور الكاسرة»[٨٤]

و يقول الاستاذ رشيد ياسمى مترجم هذا الكتاب:

«لم يعلم أن الهخامنشيين كانوا يتابعون فى جميع اعمالهم احكام زرادشت؛ و يرى البعض أن عبادتهم لآناهيتا (الشمس و الزهرة) و دفنهم امواتهم فى المقابر دليل على خلافهم لشريعة زرادشت»[٨٥]

و هو يحاول أن يدعى بكلامه هذا أن منع دفن الاموات كان قد سبق عهد الساسانيين الى عهد الهخامنشيين.

---

٨٢ ــ بالفارسية: مزديسنا و ادب پارسى ص ٥٣ ــ ٥٤.

٨٣ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ٥٢ فى الهامش.

٨٤ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ٣٨٠.

زرادشت و الثنوية:

هل كان شعب ايران عند ظهور الاسلام بهاثنوياً مشركاً؟ ان الاجابة بتفصيل النظام الفكرى و العقائدى الفارسى الساسانى يتكفل الاجابة على هذا السؤال، نظام المجوس الزرادشت دون الآقليات الاخرى كاليهودية و المسيحية و البوذية، اذ لم تكن هذه الا أقليات تعيش ضمن الاكثرية المجوسية. و علينا أن نرى ماذا كان وضع ايران من هذه الناحية في الأدوار السابقة للعهد الساسانى.

و قد بحثنا فى الفصول السابقة حول الادوار السابقة على زرادشت و تبيّن لنا: أن عقيدة الثنوية كانت راسخة فى الروح الآرية حتى فى عهود عبادة الطبيعة و ارباب الانواع، و كانوا كما يقول دومزيل: «ان العقيدة الثنوية من خصائص الفكر الفارسى الايرانى».

و يجب أن نعلم أن زرادشت ماذا كان يفكر بالنسبة الى هذا الموضوع و قد حاول الاصلاح لعقائد الآريّين؟ فهل كان هو موحداً ام ثنوياً؟:

انا اذا جعلنا ملاكنا للحكم فى ذلك كتاب اوستا الساسانى لم نشك فى انه كان ثنوياً، و لكنا قلنا قبل هذا ان المحققين يرون أن قسماً قليلاً من «گاتها» قديم و من نفس زرادشت و أما سائر الاقسام فليس الاجديداً و حادثاً الحق به بعد زرادشت. و محتويات هذا القسم القديم «گاتها» اقرب الى التوحيد من الثنوية، و ان كانت غير صريحة فى ذلك.

ان التوحيد فى الإسلام (والعقل) ينقسم الى مراتب اربع: توحيد الذات، و توحيدالصفات، و توحيد الافعال، و توحيد العبادة.

فأما توحيدالذات: فهى عبارة عن القول بقدمه و وجوب وجوده، و ازليته و ابديته و سرمديته، و استقلاله و عدم النظير له. و القول بأن ماسواه ممكن و حادث بالذات و قائم به و محدود، سواء الماديات والمجردات... «ليس كمثله شئ» و «له المثل الاعلى».

و اما توحيد الصفات: فهو عبارة عن القول بأن صفاته عين ذاته، فهو العلم و القدرة والحياة والنور؛ اذمن لوازم وجوب وجوده و سرمديته عدم افتراض عروض شئ عليه و عدم افتراض ثان غيره فى رتبته. و بعبارة اخرى: ان من لوازم كمال ذاته القول بأن صفاته عين ذاته؛ اذ القول بكون صفاته غير ذاته يستلزم محدودية ذاته، و انما يفترض القول بمغايرة

---

٨٥ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ٣٤٩ فى الهامش.

الصفات للذات فى الاشياء المحدودة.

و آما توحيد الأفعال: فهو عبارة عن القول بأن الفاعل و المؤثر الحقيقى فى نظام الموجودات ليس الاهو سبحانه، و آن كل فاعل انما يؤثر بفاعليته ومؤثريته و مشيئة و ارادته؛ إذلااستقلال لاي موجود مادي اومجرد، مر يد او غيرمر يد، و ان نظام العلية هوالمجرى الطبيعى لارادة اللّه و مشيئته. فالوجود له ولاشر يک له «لم يتخذ ولداً ولم يكن له شر يک فى الملک ولم يكن له ولي من الذل و كبره تكبيراً» (الاسراء: ١١١).

و أما التوحيد فى العبادة: فهويرتبط بعلاقة العبد بر به، و يعنى كما أن الله واحد فى ذاته و صفاته و افعاله كذلک يجب على العبد آن لايعبد رباً سواه و لايستعين بسواه: «و ما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين» (البينة: ١٥).

والذي لاشک فيه أن زرادشت كان يدعو الى التوحيد فى العبادة، فآهورامزدا وحده الذي يدعو الى عبادته زرادشت، و هو اسم يطلقه زرادشت على خالق الانسان و العالم وحده، و كان ينهى الناس عن عبادة الجن و الشياطين «ديوها» و يرى نفسه رسولاً من قبل أهورامزدا فقط.

و ينكر الدكتور معين أن يكون الآر يّون قبل زرادشت يعبدون القوى الطبيعية الضارة او الجن و الشياطين و الارواح الشر يرة «ديوها» و يدعى أنهم كانوا يعبدون فى عهد عبادة الطبيعة القوى و الارواح الخيرة و النافعة لا الارواح و القوى الضارة، و يقول:

«انهم (الآر يون) كانوا بعيدين عن عبادة الارواح الضارة بل يلعنونها، ولم يحاولواقط أن يطلبوا رضاها بتقديم القرابين لها و آن يبدلوا غضبها بالرحمة بالاوراد و العبادات المختلفة. و هذا هو احد وجوه الاختلاف الأساسية بين عقائد الأقوام الآر ية و عقائد الا تراک والمغول؛ اذكان هؤلاء يحاولون ارضاء القوى الضارة و دفع ضررها و جلب رضاها بالعبادة و تقديم القرابين»[٨٦]

و نحن ان قبلنا مقالة الدكتور هذه كان علينا آن نقول: انّ زرادشت لم يحاول اصلاحاً من هذه الناحية؛ اذلم يكن الآر يون يعبدون الجن و الشياطين «ديوها» حتى ينهاهم زرادشت عن عبادتها. و الظاهر أن الدكتور يخطئ فى دعواه هذه و يخالف فيها مقال جميع المحققين، و من نفس التأكيد الشديد المنقول عن زرادشت على النهى عن عبادتها يعلم آن عبادتها كانت شائعة اذ ذاک بين الآر يين.

كتب جان ناس فى كتابه[٨٧] بترجمة الاستاذ على آصغر حكمت، بعد بحث حول التطور

---

٨٦ ــ بالفارسية: مزديسنا و ادب پارسى ص ٣٦.

٨٧ ــ بالفارسية: تار يخ جامع اديان ص ٣٠٦.

الذي طرأعلى مفهوم كلمة «آهورا» و كلمة «ديو» بين الهنود و الفرس، يقول:

«ان زرادشت... اعلن بالصراحة: آن هذه «الديو» (الذي كان يعبده التورانيون و المفان) انما هى ارواح شريرة و ضارة، و هى فى حرب سجال مع الارواح الخيرة و النافعة. و هى آباء للكذب على الارواح الطاهرة و خداعها، و هى مصادر الشرور و القبائح، و هى التى تمنع الانسان عن عبادة آهورامزدا. فمنع عن عبادتها»[٨٨]

ثم يلخّص جان ناس دعوة زرادشت فى مايلى:

أ ــ اعلان نبوته و دعوة الناس الى قبولها و الاعتراف بها.

ب ــ لم يعترف الابروح واحد خير و نافع هو آهورامزدا ــ بين كل تلك الارواح الشائعة اذ ذاك ــ و قال انه اكبرو أعلى الآلهة، و هو الخالق العالم و اعلى الارواح العلوية، و قال: ان جميع الموجودات انما خلقت بارادة آهورامزدا ومشيئته ــ على خلاف مايقول به بعض الزرادشتيين المتأخرين ــ بل صرح ــ كما في الآية الأخيرة من «گاتها» ــ بأن اهورامزدا هوموجد النور و الظلمة كليهما...

ج ــ ان اهورامزدا كان يفعل مايريد بارادته العلوية المقدسة بواسطة روح مقدس نافع و خير دعاه: «سپنت مئنيو = العقل المقدس» (كما يقول قدماء الفلاسفة بالعقل الاول).

د ــ ان زرادشت كان يقول: ان لاشريک و لاضد ولاندّلآهورامزدا، ولكنه كان يقول: ان مع كل خير شر، فالصدق و الحق «اشا» يقابله الكذب «دروغ» و الباطل، والحياة يقابلها الموت... و هكذا يقابل الروح الطاهر والمقدس «سپنت مئنيو» روح خبيث شرور «انگرامئنيو»... و حينما ظهر هذان الروحان اوجداحدهما الحياة و الآخر الموت... و الجنة الدائمة تكون نصيب اصحاب الصدق و الحق، و الى جهنم الخالدة تكون عاقبة اتباع الكذب و الخداع... و قال الروح الطاهر الخير لعدوه الآخر: اننا لن نتصالح ابداًلا فى عالم الارواح و الاجسام و لا فى الاقوال و الافعال و ردود الافعال.

هـ ــ ان أساس الأخلاق فى دين زرادشت يبتنى على قاعدة: آن نفس كل انسان هوميدان حرب سجال دائم بين الخير و الشر، و أن صدر البشر تنور نار لهذه الحرب تشتعل فيه. و ان اهورامزدا حينما خلق الانسان و هبه حرية العمل و الاختيار ليختار عمله بنفسه، اى جعله ذاقدرة على الاختيار والانتخاب ليختار بين طريق الخطأ والصواب ايأّشاء منهما»[٨٩]

و ليس الأمر فى «گاتاها» بهذه الصراحة التى يدعيها جان ناس، فقد يفيد بعض

---

٨٨ ــ بالفارسية: تاريخ جامع اديان ص ٣٠٦.

٨٩ ــ بالفارسية: تاريخ جامع اديان ص ٣٠٦ ــ ٣٠٨.

فقراته هذا الآمر وقد يفيد غيرها خلاف ذلك. مما يوجب الترديد فى أن يكون جميع «گاتاها» من زرادشت. و نفس الاستاذ جان ناس يتردد أخيراً: هل أن زرداشت كان يرى أن اهورامزدا خالق انگرا مئنيو (أهريمن) او يراه أنه هو كاشف له لا خالق؟ و لهذا فهو يقول:

«... ان نصوص كتب زرادشت فى حدود مسؤولية اهورامزدا فى ايجاد الروح الشر يرة (اهريمن) مبهمة كثيرة الابهام، و لا يعلم منها: هل أن انگرا مئنيو اي الروح الشر يرة وجد من اول يوم مع اهورامزدا أو أن اهورامزدا خلقه بعد؟ و بعبارة اخرى: هل أن أهورامزدا هو الذى خلق الروح الشر يرة (اهريمن) او أن انگرامئنيو كان موجوداً شر يراً و أن أهورامزدا انما كشف عن وجوده، و أنه عين الشر أمام كل خير، و كل ظلمة امام كل نور؟»[٩٠]

و يدعى الاستاذ جوزف گير فى كتابه[٩١]: أن زرادشت بعد أن ذهب الى بلاط گشتاسپ فى بلخ و حصل بحث بينه و بين علماء البلاط سألوه: من هذا الخالق الكبير؟

فأجاب: هو أهورامزدا، الرب العالم والحاكم الاعلى على العالم.

سألوه: انت على القول بأنه هوالذى خلق جميع اشياء العالم؟

فأجاب: انه خلق كل شئ خير؛ اذ هو لايقدر على شئ سوى الخير!

فسألوه: فالشرور و الأرجاس مخلوقات من؟

أجاب: ان الشرور و الأرجاس جاء بها انگرمئنيو = أهريمن.

فقالوا: اذن فانت تقول بإلهين للعالم؟

قال: نعم؛ ان للعالم خالقين...»

و لكن الظاهر: أن مصادر جوزف گير روايات زرداشتية غير تاريخية. و نحن ان اردنا أن نعتمد على الروايات الزرداشتية لزمنا أن نرى أن زرادشت كان ثنو ياً بدون اي شك، فاى مصدر اوثق من كتاب «وندیداد» الذى هوجزء من اوستا الساسانى؟ و قد جاء فى هذا الكتاب حتى تقسيم الارض بين الالهين، فالاراضى الخيرة و المباركة مخلوقة لأهورامزدا، والاراضي الجرداء و غير المباركة مخلوقة لأهريمن.

وبسبب اختلاف مفاد «گاتها» اختلفت انظار العلماء فى توحيد زرادشت وتنو يته: كتب گيرشمن المستشرق المتخصص بمعرفة ايران فى كتابه[٩٢] يقول:

«ان دين زرادشت لم يكن مبنياً على اساس التوحيد، الا أنه فى العهد الساساني تقبَّلَ

---

٩٠ ــ نفس المصدر ص ٣٠٨.

٩١ ــ بالفارسيه: دينهاى بزرگ نقلاً عن كتاب: مزديسنا و ادب پارسى ص ٢٦٤.

٩٢ ــ بالفارسية: ايران از آغاز تا اسلام ــ نقلاً عن مزديسنا و ادب پارسى ص ٢٦٤.

التوحيد تأثراً بنفوذ الاديان الكبرى كالمسيحية».

وعلى العكس منه يعتقد دومزيل ــ كما قلنا سابقاً ــ أن زرادشت كان يدعو الى التوحيد.

ويرى الشهرستاني في «الملل والنحل»[٩٣] ان زرادشت كان موحداً، ويفسر مسألة الخير والشر في الزرادشتية بنحو ينطبق على التعاليم الاسلامية لا الزرادشتية، وذلك بتأثير من العقائد الفلسفية والكلامية الاسلامية.

والحقيقة: أنا لو نظرنا الى التوحيد من جهات متعددة، اشكل علينا كثيراً أن نرى دين زرادشت ديناً توحيدياً.

ويبتني البحث حول توحيدية دين زرادشت وثنويته على أن زرادشت هل كان يقول ان اهورامزدا خالق الأهريمن وأن اهريمن مخلوق له؟ او يقول بأن اهريمن ازلي وقديم ويجعله في عرض اهورامزدا؟ و افترضوا أنه اذا ثبت أن اهريمن مخلوق لآهورامزدا فقد تم المطلوب وثبت أن دين زرادشت دين توحيدي.

وهذا انما يصح بالنظر الى توحيد الذات فحسب، ولا يصح بالنظر الى التوحيد في الافعال؛ اذ من المعلوم بناء على الآثار الموجودة ومنها «گاتاها»: أن الشرور كانت تشغل بال زرادشت كثيراً تماماً كسائر قدماء الآخرين، وان زرادشت كان يقول: ان نظام هذا العالم ليس على وفق النظام المعقول الذي يجب أن يكون، اذ نجد في هذا العالم حقائق شريرة، والوجودات المقدسة كآهورامزدا او «سپنت مئينيو» اعظم وأجل من ان ينسب خلق هذه الشرور اليها؛ اذن فلابد أن نفترض وجوداً آخر يكون شراً ذاتاً وتنسب هذه الشرور المخلوقة اليه.

وان أساس التوحيد لا يستقر على هذا الاسلوب من التفكير، سواء كان آهريمن مخلوقاً لآهورامزدا أو لا يكون؛ اما اذا لا يكون فواضح، واما اذا كان مخلوقاً له فنقول:

اولاً: اذن يبقى السؤال الأساس على حاله، وهو انه: اذا كان آهورامزدا يفعل الشر أيضاً فما الداعي لافتراض وجود «انگرامئينيو» قبال آهورامزدا أو «سپنت مئينيو» بل ننسب الشرور الى نفس آهورامزدا أو «سپنت مئينيو» بعنوان انه هو الصادر الأول لواجب الوجود.. وأما اذا كان نسبة الشر الى آهورامزدا من غير الممكن فكيف يمكن أن يكون آهورامزدا قد خلق اهريمن او «انگرامئينيو» الروح الشريرة ومبدأ كل الشرور؟!

وثانياً: وبعد أن افترضنا خلق «انگرامئينيو» فما دوره هو؟ فهل هو يخلق مباشرة؟ او أنه يكون منفذاً لارادة آهورامزدا ومشيئته؟. فان كان يخلق مباشرة فقد وجد لآهورامزدا شريك في الفعل والخلق، وهذا هو شرك عيناً. وان لم تكن له مباشرة واستقلال في الخلق؛ فلا أثر لافتراض وجوده في نفي نسبة الشرور الى آهورامزدا.

---

٩٣ ــ الملل والنحل ج ٢ ص ٧٧ و ٨١ ط مصر ١٣١٧ هـ.

ان جذور الثنوية تنشأ من تصور البشر أن الأشياء على نوعين: خير وشر، ولهذا كان يقول بوجود مبدأ للخير ومبدأ آخر للشر، ويقول الخالق الخير بأسمى الصفات والكمالات، ويبرّيه من التدخل في خلق الموجودات الضارة! وينكر أن تكون مخلوقة لهذا المبدأ.. واذن فلا بدّله من أن يفترض مبدأ آخر للشرور، فانكار الانسان لإمكان خلق مبدأ الخير للشرور هو الذي جرّه الى افتراض مبدأ آخر في عرض وجود مبدأ الخير.

أما اذا فرضنا أن المبدأ الآخر الذي خلق الشرور ليس في عرض الخالق، بل افترضناه أنه مخلوق له.. فنحن و ان انكرنا بذلك وجود أصل قديم قائم بذاته في قبال الخالق، الا أنه يبقى الموضوع الأساس ــ و هو انكار امكان نسبة خلق قسم من المخلوقات التي تسمى شرّاً الى ذلك الخالق ــ على حاله. و بعبارة اخرى: لم نقل بوجود شريك للخالق في عرض ذاته، الا أنا جعلنا احد مخلوقاته شريكاً له في الخالقية.

وقد برهنت الحكمة الإلهية على أن الشرك في الخلق يستلزم الشرك في الذات مآلاً، هذا بالاضافة الى أنه مناقض لتعاليم جميع الأنبياء والرسل.

والحقيقة: أن هذا الاسلوب من الفكر الذي يحار في مسألة الخير والشر، ليس من شأن نبيّ بل ولا فيلسوف، وانما هو من شأن متفلسف ناقص في الفلسفة والفكر والبرهان. ان النبيّ الذي ينظر الى الوجود من أعلى لا يرى سوى النور والخير والرحمة والحكمة البالغة، التي جعلت نظام الوجود على أساس نظام العلية والاسباب... ويستحيل أن يشغل الفكر في هذه الأُمور ألباب الأنبياء. اما الفيلسوف الكامل: فهو يرى الشرور اموراً عدمية واضافية نسبية، وأن نفس هذه الأُمور النسبية و الاضافية على حالها هذا هي ركن من اركان النظام الاكمل، وهي على أساس حكمة بالغة إلهية، و أنها لو لم تكن لورد النقص على نظام العالم.

ان الخالق المتعال في الدين التوحيدي: كامل مطلق مبرأ من كل نقص، وجدت بارادته وحكمته البالغة جميع الموجودات وتفنى، و ان ليس شئ من الموجودات خلق لغواً وعبثاً، وأن لا حقيقة لوجود الشرور، وأن كل شئ حسن وجميل: «الذي أحسن كل شئ خلقه» هو الذي «يحيي ويميت و يميت ويحيي» وهو الذي «يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل» وهو الذي «خلق السموات و الارض وجعل الظلمات والنور».

وقد نقلنا قبل هذا محاورة زرادشت من قول جوزيف گير في كتابه[٩٤] و كان يقول فيها: ان اهورامزدا خالق الخير فقط وينسب الشرور والموذيات الى موجود آخر، حيث لا يراها تناسب آهورامزدا. ونحن وان شككنا في صحة هذه المحاورة الا أنها تبين اسلوب فكر زرادشت اومن ينتسبون اليه. ونقارن هذه المحاورة بمحاورة نقلها القرآن الكريم بين موسى بن عمران و فرعون الزمان:

---

٩٤ ــ بالفارسية: دينهاى بزرگ نقلاً عن كتاب: مزديسنا و ادب پارسى ص ٢٦٤.

«قال: فمن ربكما يا موسى ؟

قال: ربنا الذي اعطى كل شئ خلقه ثم هدى»[٩٥]

يقول موسى عليه السلام فى هذه الجملة القصيرة: ان الله هو الذي خلق كل شئ وفق حكمته البالغة، ولا شئ فى الوجود يخالف ما ينبغى أن يكون هو عليه، و كل شئ فى حد ذاته حسن وجميل، و ان لا واقع للشرور فى العالم كى يقال: من خلق الشرور؟ نعم هذا ما يقوله الانبياء والرسل سلام الله عليهم اجمعين.

وقد علم مما قلناه: أن افتراض «انگرامئنيو» بعنوان انه هو خالق الشرور واللامعقولات فى هذا العالم، مما يخالف الاصول التوحيدية ومنطق الانبياء والمرسلين سلام الله عليهم اجمعين، حتى وان قلنا بأنه هو بدوره مخلوق لآهورامزدا.

وعلى هذا ينبغى أن نقول: ان دين زرادشت ليس ديناً توحيدياً ناقصا كما يقول كريستن سن[٩٦] بل هو فلسفة ناقصة؛ اذ هو اشبه بمقال متفلسف ناقص فى الفلسفة لا فيلسوف كامل فضلاً عن مقالات الأنبياء والمرسلين سلام الله عليهم اجمعين.

وينقل الدكتور محمد معين عن المستشرق پ. ژ. دومناشة انه يقول:

«يوجد فى القرآن الكريم اشارات الى منشأ ذنوب البشر ووجود الشر.. وان دين مزدا قد اجاب على هذه المسألة اجابة بسيطة اصولية خاصة؛ اذ نسب الشرور الى وجود يقابل وجود آهورامزدا ويشابهه فى القدم والازلية. ولا كلام فى أن الروح الشريرة لا تقابل مزدا من حيث القوة والقدرة و العظمة بل تنهزم امامه لا محالة؛ ولكنها مع ذلك تحدّد مجالات اعماله... فالاجابة التى يعطيها دين مزدا لمسألة الخير والشر تبرّى آهورامزدا من مسؤولية الشرور التى نراها فى نظام هذا العالم»[٩٧].

لا شلت يمينك! و أدام الله ظل الدكتور پ. ژ. دومناشة و دين مزدا على رأس الدكتور معين و اضرابه!

ان دين مزدا لو كان ينكر وجود الخالق من الأساس لكان يبرّيه عن مسؤولية الشرور التى يراها الدكتور دومناشة اكثر وابعد!. ان دين مزدا أراد أن يكحل عين مزدا فأعماها! اراد أن لا ينسب الشرور ــ التى هى سلسلة من امور اضافية و نسبية و هى فى التحليل العلمى النهائى تعد عدمية ــ الى الخالق، فعزل الخالق عن ربوبيته فى نصف من المخلوقات!. ان دين مزدا عمى عن الالتفات الى عدمية الشرور و ضرورتها و عدم امكان انفكاكها عن طبيعة نظام هذا العالم، و عن فوائد هذه الشرور و آثارها و الحكمة فى وجودها. و هو لكى ينجو من

---

٩٥ ــ سورة طه: ٤٩ ــ ٥٠.

٩٦ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ٥٠.

٩٧ ــ بالفارسية مزديسنا و ادب پارسى ص ٢٥ نقلاً عن كتاب: تاريخ تمدن ايرانى، بترجمة جواد مجى.

الاشكال قطع الأصل من الأساس!

ولا نستطيع نحن هنا آن نرد موضوع ابحاث الخير والشر، العميقة والدقيقة التى قد غرقت فيها آلاف السفن بحيث لم تنجُ حتى خشبة منها... و سفينة زرادشت هى احدى السفن.

الشيطان:

و هنا نقطة يلزمنا آن نوضحها: من الممكن آن يخال البعض آن لافرق بين اهريمن فى دين زرادشت و الشيطان فى دين الإسلام، اي آنا اذا حسبنا آن اهريمن مخلوق لاهورامزدا فهذا يساوى الشيطان الذى يقول فيه الإسلام آنه مخلوق لله و هو فاعل لكثير من الشرور؟

و ليس الأمر كذلك؛ اذليس للشيطان فى الإسلام دور فى خلق الشرور، بل لاينسب الاسلام خلق اي شئ من الشرور الى الشيطان الرجيم. بل لايوجد فى الاسلام فكرة تقول بوجود موجودات غير موغوب فيها فى نظام الخلقة و يجب آن لا تكون، و حيث هى موجودة فلابد أن تكون من موجود رجس غير خالق الخير، بل الاسلام يقول: ان جميع الاشياء وجدت بارادة الله تعالى و كلها خير «الذي احسن كل شئ خلقه»[٩٨] «ربنا الذي اعطى كل شئ خلقه ثم هدى»[٩٩] و ان مجال تسرب الشيطان انما هو التشريع لاالتكوين، يعنى آن الشيطان انما يستطيع آن يوسوس لابن آدم و يرغبه فى المعاصى و الذنوب، و لا سلطان له على الانسان اكثر من الدعوة و الدعاية «و ما كان لي عليكم من سلطان الا آن دعوتكم فاستجبتم لي»[١٠٠]

و مهما كانت ماهية الشيطان؛ فان انسانية الانسان انما هى بامتلاكه العقل و الارادة والاختيار، و انما يمكن الاختيار بعد وجود العقل و التميز ثم وجود طريقين آمام الانسان، فان لم يكن احد هذين الركنين فى الانسان لم تكن له انسانية واقعية: «انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً. انا هديناه السبيل اما شاكراً و اما كفورا»[١٠١]

ان وسوسة النفس الأمارة و وجود الشيطان لذلك شرط فى تحقق اختيار الانسان و بالتالى انسانيته، فكما آن هناك فى الانسان الهام بالخير و من الخارج الدعوة له اليه؛ كذلك يجب آن تكون وسوسة فيه للشر كى يختار هو آحد هذين، و بذلك يخطو خطوة اخرى فى طريق

---

٩٨ ــ سورة السجدة: ٧.

٩٩ ــ سورة طه: ٥٠.

١٠٠ ــ سورة ابراهيم: ٢٢.

١٠١ ــ سورة الدهر: ٢ ــ ٣.

الانسانية.

«ان فى الدنيا نداءين لنا ... يدعوان الأتقيا و الأشقيا
فلتكن تصغى و تختار الندا ... ولتكن ترضى طريق الا تقيا»[١٠٢]

ان الجن و الشياطين جعلت فى القرآن فى عداد الموجودات الطبيعية لا الملائكة؛ فان الملائكة هم رسل الله و عماله فى نظام هذا العالم، بينما لا دور للجن والشياطين فى امور الخلق اطلاقاً، و هم فى هذا كسائر الموجودات الارضية... و من هنا نعلم: آن فكرة وجود مخلوقات شريرة لاينبغى آن تكون و آن فى نظام الخلق نقصاً من هذه الجهة... هذه الفكرة لامجال لها فى الفكر القرآنى فى الإسلام.

و لا تفوتنا الفرصة هنا آن نقول: قد تترجم كلمة «الشيطان» فى القرآن الكريم بالترجمة الفارسية الى كلمة «ديو» او «اهريمن». و هذه الترجمة غيرصحيحة البتة؛ فلا معادل لكلمة الشيطان فى اللغة الفارسية، و على هذا فيجب أن يؤتى فى الترجمة ايضاً بنفس الكلمة او كلمة «ابليس» فان مفهوم «ديو» او «اهريمن» يختلف عن مفهوم كلمة الشيطان فى القرآن، بل لا وجود فى الحقيقة لمفهوم هاتين الكلمتين لدى القرآن الكريم اطلاقاً.

دين زرادشت فى الفقه الاسلامي:

و نذكر فى ختام هذا البحث بأن تشكيكنا فى توحيدية دين زرادشت انما كان فى البحث السابق من ناحية تاريخية؛ اي انا اذا جعلنا ملاك الحكم على دين زرادشت بالتوحيدية او عدمه محتويات المصادر التاريخية الموجودة لدينا الآن و قابلناها ووازنّاها بالموازين العلمية للتوحيد؛ لم نستطع بالتالى آن نرى دين زرادشت ديناً توحيدياً صحيحاً؛ اذ آن فرضية زرادشت بشأن نظام الخلقة كما فى هذه المصادر والاسناد على نحو لاينسجم مع التوحيد، حتى اذا افترضنا «انگرامئنيو» مخلوقاً لآهورامزدا!...

الا انّا نحن المسلمين نستطيع آن ننظر الى هذا الدين من زاوية اخرى، و آن نحكم له او عليه بملاك آخر غير ملاك المصادر و الاسناد التاريخية الموجودة لدينا الآن من نفس هذا الدين. تلك الزاوية الأخرى هى زاوية الفقه و الحديث الاسلامى، و ذلك الملاك الآخر هو ملاك اسلامى خاص يتميز بالجانب التعبّدي المعتبر حجة لدى المسلم المؤمن. فلا مانع من هذه الزاوية و بهذه النظرة آن نرى دين زرادشت ديناً توحيدياً، اي ان نراه ديناً كان فى

---

١٠٢ ــ تعريب تقريبى لبيت من المولوي المثنوى الرومي جلال الدين شمس التبريزى اذيقول:

«در جهان دو بانگ مى آيد به ضد ... تا كدامين را تو باشى مستعد
آن يكى بانگش نشور اتقيا ... و آن دگر بانگش نفور اشقيا»

و التعريب للمعرب.

اصله توحيدياً، و آن نرى الشرك فيه ــ بمختلف نواحيه: الثنوية و العبادية و غيرها ــ بدعاً الحقت به فيما بعد... ان الاسناد التاريخية لو بلغ اعتبارها الى مرحلة القطع و اليقين لكانت تصبح ملاكاً فقهياً كافياً ايضاً؛ الا آن عدم التوحيد فى دين زرادشت ليس مقطوعاً به بحسب الأصل، و لذلك فلو ألزمتنا الموازين الفقهية بأن نحسب هذا الدين توحيدياً و آن نرى الزرادشتيين من «اهل الكتاب» كما فى المصطلح الفقهى الاسلامي، لم يكن هناك اى مانع من ذلك. و المسلمون الاوائل حيث عدوهم فى عداد «آهل الكتاب» انما كانوا يستندون الى هذه المصادر الفقهية. و ان كان هذا من موارد الخلاف بينهم ايضاً، ولم يكن الفقهاء المسلمون الفرس أقلَّ خلافاً من غيرهم فى عدّهم من أهل الكتاب. و البحث التفصيلى بشأن المدارك الفقهية و الحديثية لهذه المسألة خارج عن اغراض هذا الكتاب موكول لوقت آخر. و سنبحث فيها شيئاً عندما نبحث فى «النظام العائلى» عن الزواج بالمحارم، انشاء الله.

الثنوية الزرادشتية بعد زرادشت:

و الشك ان كان فانما هو فى شأن نفس زرادشت و دينه الأصلى، و أما الأدوار التي تعصب زرادشت ولا سيما عهد الساسانيين الذى انتهى بدخول الإسلام الى ايران فلا مجال لاى تشكيك فى ان الزرادشتية فيها كانت ثنوية حتماً. و الذين يرون أن زرادشت نفسه كان موحداً يعترفون و يأسفون على انحراف الزرادشتية الى الثنوية فيما بعد زرادشت.

يقول المستشرق جان ناس ــ و هو ممن يرى زرادشت موحداً ــ:

«ان العقيدة بمبدأ للشرور و فاعل للفساد و الخطأ تطوّرت على مرور الأيام حتى قلبت دين زرادشت الى دين ثنوي من الناحية الأخلاقية و العبادية... فقد اصبح «انگرامئنيو» على مر الأيام ابليساً قوياً يقاوم أهورامزدا، حتى أصبحا فى حرب على قدم المساواة. ان فى قطعات و اجزاء اوستا التى هى من آثار القرون المتأخرة عن زرادشت، يحسب «انگرامئنيو» و آهورامزدا متساويين فى الألوهية والشأن..»[١٠٣]

أما الذين يرون ان زرادشت كان ثنوياً فهم يقولون: ان الثنوية استحكمت و ترسخت بعد زرادشت. يقول پ. ژ. دوميناشة:

«تبدلت الثنوية التى كانت فى «گاتها» لزرادشت الى ثنوية اقوى تقسم جميع موجودات العالم بين آلهى الخير و الشر»[١٠٤]

١٠٣ــ تاريخ جامع اديان ص ٣١٥.

١٠٤ ــ بالفارسية: تمدن ايرانى ص ١٨٨ بترجمة الدكتور بهرام.

ان كتاب «وندیداد» الذي هو جزء من اوستا الموجود الآن و المطبوع، يصف انگرامئنيو بأنه خالق لنواحي الشر فى الارض: لصقيع الارض فى الشتاء و رمضائها فى الصيف، و للأفاعي و الحيات..

ان الزرداشتيين تظاهروا بعقائدهم الثنوية فى العهد الإسلامي بكل حرية، و كانوا يحامون عنها و يجادلون فيها مع الأئمه الأطهار عليهم السلام و جميع علماء الإسلام و متكلميهم بكل صراحة و وضوح، و قد نقل الينا قسم من هذه البحوث والمجادلات فى كتب الحديث للشيعة : كالتوحيد للصدوق(قده) و الاحتجاج للطبرسى (قده) و عيون اخبار الرضا عليه السلام للصدوق(ره) و بحارالأنوار للعلامة المجلسى (قده) ــ و هذا هو مما يؤيد أن الزرادشتيين كانوا فى العهد الساسانى ثنويين و أنهم حافظوا على عقيدتهم هذه فى العهد الإسلامي و دافعوا عنها.

يقال: «ان «دينكرد» احد الكتب الزرداشتية الشهيرة ــ الف فى القرن الثالث الهجري ــ يشكل نصفه دفاعاً للثنوية امام ساير الأديان والمسيحية والإسلام»[١٠٥]

و يرى كريستن سن أن العقائد «الزروانية» التى اشرنا اليها فيما قبل ترسخت فى اوساط الزرادشتيين ولاسيما فى العهد الساسانى[١٠٦] و العقائد الزروانية مجموعة خليطة و خرافية.

و يرى كريستن سن أيضاً أن الزرادشتيين بعد ظهور الإسلام رفضوا المواد الزروانية من بين عقائدهم و كتبهم، و أخذوا يقولون بنوع من الثنوية فيها من الفلسفة ما يمكنهم معها الدفاع بها عن ثنويتهم. يقول:

«ان شريعة زرادشت التى كانت على عهد الساسانيين الدين الرسمى للدولة، كانت تبتنى على اصول كانت فى اواخر هذا العهد قدخوت من كل شئ، و كان لابدلنا من الانحطاط قطعاً. فلما اطاح الإسلام بالدولة الساسانية التى كانت قد تبنت الدفاع عن رجال زرادشت، ادرک هؤلاء أن لابدلهم من سعي حثيث لحفظ شريعتهم من الانحلال التام. و قد تحقق هذا السعى الحثيث: فقد رفضوا من عقائدهم العقائد الزروانية و الأساطير الصبيانية المتعلقة بها، و جعلوا سنتهم دين زرادشت من دون الشوائب الزروانية، و بالتالي تبدلت القصص التى كانت ترجع الى قصة الخلقة للعالم، و الغيت عبادة الشمس و جعلوها عندهم كما كانت فى «مهريشت» العتيق، كى يتظاهروا بالتوحيد اكثر من الثنوية، و حذفوا كثيراً من الروايات الدينية لديهم او غيّروها، و تناسوا أقساماً من اوستا الساسانى و تفاسيره الخليطة

---

١٠٥ ــ تاريخ تمدن ايران، بقلم جمع من المستشرقين، و ترجمة جواد محي ص ٢٦٩ ــ ٢٧٠، و ص ٢٤٩ بترجمة الدكتور عيسى بهنام.

١٠٦ ــ ايران در زمان ساسانيان، الفصل الثالث.

بالأفكار الزروانية. و جدير بالملاحظة آن نقول: ان «يشت ها» المربوطة بقصص التكوين و التى قد بقى قليل منها فى «دينكرد» قدلخّصت واختصرت واوجزت الى درجة ان تحلل كثير منها حتى لم يبق مما بقى منها سوى اسطر يسيرة لايفهم منهَا شئ بوضوح! و قد وقع جميع هذه التصرفات و التغييرات فى القرون المظلمة بعد انقراض الساسانيين. ولم يصرح بل لم يشر اي كتاب فارسى بهذه الاصلاحات، بل تظاهروا بما اصلحوا من دين زرادشت و كأنه هو نفس ما كان فى ماسبق من الزمان»[١٠٧]

و سنقول نحن: ان خدمات الإسلام لدين زرادشت لم تكن باقل من سائر خدمات هذا الدين الحنيف. و ان هذه الاصلاحات و ان كانت بصورة غير مباشرة و لكنها اثرت اكثر حتى من اصلاحات نفس زرادشت.

الثنوية المانوية:

كان البحث الى هنا فى ثنوية زرادشت، و قد سبق القول أن كان اذ ذاك دينان آخران هما: دين مانى، و دين مزدك، و هما ثنويان ايضاً. و نقول: ان ثنوية مانى اصرح من ثنوية زرادشت، و ان ثنوية مزدك هى نفس ثنوية مانى باختلاف يسير. و الشهرستاني فى كتابه «الملل و النحل»[١٠٨] ينسب الثنوية الى مانى لا زرادشت. و قد حقق المستشرقون فى العصر الأخير تحقيقات كثيرة حول مانى و دينه. و لكى نعطى نموذجاً من هذه التحقيقات ننقل هنا مختصراً من كلمات الاستاذ تقى زاده احد اوائل المحققين فى هذا الموضوع اذيقول:

«... ان دين مانى يبتنى على اصلين هما: الخير و الشر، اوالنوروالظلمة، و على ادوار ثلاثة هى: الماضي و الحال والاستقبال. ان اصل الوجود و منشأهُ فى هذا الدين وجودان: أحدهما النور و الآخر الظلام. و قد اطلقت المصادر الفارسية على هذين الاصلين «دوبُن» و كان هذان الاصلان فى الازل و قبل حدوث خلقة الدنيا منفصلين و مستقلين و منفكين احدهماعن الآخر، و يسميهما المانويون بلحاظ حالهما إذ ذاك: الماضي و كان نفوذ النور فى العالم العلوى و الى الشرق و الغرب و الشمال و الظلمة فى العالم السفلي و الى الجنوب، و هما و ان كان بينهما حدود مشتركة الا آن بينهما فاصل كبير بحيث لم يكن بينهما اتصال ابداً. و تفيد بعض كلماتهم أن قسماً من الجنوب أيضاً كان من منطقة نفوذ النور، و على هذا تكون منطقة نفوذ النور أوسع من الظلمة بخمسة اضعاف. و كان كل من هذين الآصلين ساكنين على حالهما فى مقرهما. و كان لعالم النور جميع الصفات الحسنة و يسوده النظام والسلام و الوئام و

---

١٠٧ ــ ايران در زمان ساسانيان ص ٤٥٨ و ص ٤٥٩.

١٠٨ ــ الملل و النحل ج ٢ ص ٥١ و ص ٧٧ ط مصر ١٣١٧ هـ.

السعادة و الثقافة. و كان يسود عالم الظلام فقدان النظام و الوسخ و الاضطراب! و يدعونها احياناً بالشجرتين: احداهما: شجرة الحياة و الاخرى شجرة الموت. و يسود عالم النور ابوالعظمة، و يسود عالم الظلام ملک الظلام. و ان منطقة نفوذ النور تتشكل من خمسة نواح هي الاعضاء الخمسة للرّب و هى: الفهم و الفكر والتأمل والارادة و يسكنها موجودات خالدة هى مظاهر بوجود للربّ الاكبر. و تتشكل منطقة الظلام من خمسة طوابق متراكبة بعضها فوق بعض، هى: دخان و نار و ريح و ماء آسن و ظلمات من الاعلى الى الاسفل»[١٠٩]

و يكفينا هذا لاثبات مانحن بصدده من ثنوية مانى، و للمزيد يراجع نفس الكتاب.

الثنوية المزدكية:

عدّوا دين مزدک شعبة منشقة من دين مانى، و هذا فان جميع الخرافات المانوية موجودة فى شريعة مزدک باختلاف يسير.

يقول کريستن سن:

«ان شريعة بوندس ــ و هو زرادشت الفسائى ــ و مزدک انما هى فى الواقع اصلاح لشريعة مانى، فانها مثلها تماماً تبدأ الكلام حول العلاقة بين الاصلين القديمين: النور و الظلام و انما تفترق هذه عن تلک بأن بوندس ومزدک يقولان: ان حركة الظلام لم تكن عن ارادة الظلمة و علمها المسبق بالحركة، بل كانت تتحرک عشوائياً حسب الصدفة والاتفاق، و انما كانت حركات النور ارادية و عمدية مقصودة. و على هذا: فما نراه من الاختلاط بين الظلام و النور فى هذا العالم المحسوس و المادي ليس ناشئاً عن هندسة و تصميم مسبقين بل عن صدفة عمياء... اذن فدين مزدک و بوندس يؤكد على تفضيل النور على الظلام أكثر من مانى...»[١١٠]

عبادة النيران:

ان من احدى المسائل الهامة و التى ينبغى الالتفات اليها بشأن النظام الفكري و العقائدي و العملى للزرادشتية عند ظهور الإسلام، هى مسألة تعظيمهم للنار و تقديسهم و عبادتهم لها.

و لهذا العمل عندهم سوابق زمنية منذ اقدم الادوار التاريخية و هى باقية حتى اليوم!

يقول الشيخ الرئيس ابوعلى الحسين بن على بن سينا الفيلسوف فى الفصل السابع من

---

١٠٩ ــ بالفارسية: مانى و دين . ص ٣٩ ــ ٤٠.

١١٠ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ٣٦٤ ــ ٣٦٥.

الفن الثانى من فنون «الشفاء»:

«..و طبقات من القدماء المائلين الى القول بالأضداد و بأن الضدين مبدءان للكل، و الواقفين في ذلک الى جنبة القول بالخير و الشر و النور و الظلمة.. أفرطوا في تمجيد النار و تعظيم شأنها و أهلوها للتقديس و التسبيح، و كل ذلک لنورها و اضاءتها، و رأوا أن الأرض مظلمة لايستضيئ باطنها بالفعل و لا بالقوة فأهلوها للتحقير و الذم».[١١١]

و نحن اذا اعتمدنا على قول هذا الفيلسوف رأينا: أن عبادة النيران انما نشأت من فكرة الثنوية فى الوجود و فلسفة الخير و الشر والنور و الظلمة... أما اذا قبلنا مايدعيه المحققون المتأخرون قلنا: ان سوابق عبادة النيران ترجع الى ادوار عبادة مظاهر الطبيعة، و كان الانسان اذ ذاک يعبد كل شئ مفيد كى يفيده اكثر و يعبد كل شئ مضر كي يأمن من شره، و كان المعنى: أن الانسان قبل أن يلتفت الى مسألة الخير و الشر بشكلها الفلسفى، اي قبل أن يرى كل شئ مزيجاً من عنصري الخير و الشر و النور و الظلام، قبل هذا كله كان يعبد النيران، و ان الانسان فى تلک العهود انما كان يقسم جميع الاشياء الى قسمين هامين: احدهما حسن جميل، والآخر: شر مضر، و يجعل لكل قسم من هذين ربّاً خاصاً:خيراً أوشراً! أما أن يرى انّ كل موجود مركب من عنصر ين مزيجين ضدين، فانما هذا من افكار عهود التكامل الفكري للانسان القديم... و على أي حال؛ فمن المسلّم به أن لعبادة النيران سوابق قديمة لدى الايرانيين، و أنها كانت مثار اعجابهم اكثر من اي عنصر آخر...

يقول الدكتور محمد معين:

«...و مع قطع النظر عن اوستا و لاسيما قسم «گاتها» الذي اختلف فى تاريخه من ٧٠٠ الى ١١٠٠ عام قبل الميلاد... فقد بقى من الآثار الايرانية القديمة نقش قديم من عهد قوم «ماد» فى اسحاق آوند جنوب بهستان «بيستون» يدعى اليوم «دكان داود» يرجع تاريخه الى ٨٠٠ عام قبل الميلاد، و هو عبارة عن قبر محفور فى الجبل و عليه صورة رجل واقف امام النار بخشوع. و يقول گر يشمن: نحن نعرف ثلاثة قبور من عهد الهخامنشيين، احدها فى «پاسارگاد» قد حفر بأمر كورش، و الثاني جزء من نقش رستم فى كتيبة مقبرة دار يوش، يحتمل أن يكون هوالذي أمر بحفره و صنعه. و الثالث فى شوش، و يظهر منه أنه من عهد اردشير الثانى...»[١١٢].

والذى ينبغى النظر فيه هو أن نرى كيف كان موقف زرادشت من هذا العمل؟ فهل انه كان قد نهى عنه و لكنه عاد بعده مرة اخرى حتى اصبح العمل ركناً من دينه؟ او انه لم يكن يخالف الناس فى تقديسهم و تعظيمهم للنار على ما كانوا عليه من ذلک؟

---

١١١ ــ الشفاء، قسم الطبيعات ص ١٧٧ ط قديم.

١١٢ ــ مزديسنا و ادب پارسى ص ٢٧٨.

نحن ان جعلنا اوستا والروايات الزرادشتية ملاكا للاجابة عن تساؤلنا هذا، كان الجواب، أن زرادشت نفسه كان يوافقهم على هذا العمل...

يقول الدكتور المعين:

«ان اسم «آذر» انما هو اسم لأحدأرباب مزديسنا، وهوربّ النوع للنار او الملاك الخاص الموكل بها: «آذر ايزد = ايزدان» و يدعى فى اوستا انّه: ابن آهورامزدا[١١٣] و انما ارادوا بهذا التعبير عن عظمة النار عندهم، كما دعوا «سپندارمد» او الملاك الموكل بالارض: ابنة آهورامزدا نظراً الى كثرة منافع الارض و طيباتها[١١٤] و قد جاء فى البند لامن يسنا ٢٥ من اوستا: «انا نعبد آذر ابن أهورامزدا، و نثنى عليك يا آذر المقدس و ابن آهورامزدا و سيدالحق والصدق، و نعبد جميع انواع النار» و قد جعل «ايزد آذر» فى البنود ٤٦ ــ ٥٠ من «زاميادشت» خصماً لآژدى هاک، اي «الضحاک» بعثه «سپنت مئنيو» عدواً على الضحاک كى يحجبه عن التوصل الى «فر» السلطان[١١٥].

و لا نستطيع أن نحصل على قرائن تاريخية تفيد أن زرادشت كان مخالفاً لتعظيم و تقديس النار... بل نجد فى «گاتها» الذي هو القسم الاكثر اعتباراً من اوستا الساساني من حيث النسبة الى زرادشت: كلاماً عن رفع الحاجة الى آلهة النار... بل و يدعي البعض: أن عقيدة نفس زرادشت تختلف مع مانراه و نجده عنه فى يسناها و يشتها.

يقول جان ناس:

«لم يبق من الاعمال و العبادات و الآداب و التشر يفات الدينية الزرادشتية الأصيلة شئ يذكر، و انما يعلم أن زرادشت قد نسخ مناسک و مراسيم الايرانيين القدماء المبنية على العقيدة بالسحر و عبادة الاوثان، و التى كانت هى قبل نسخ زرادشت فى طر يقها الى الزوال. و انما بقى من مذهب زرادشت مرسوم عبادة واحد فقط ، و هو ــ كما قيل ــ أن زرادشت قتل و هو واقف فى محراب عبادته للنار المقدسة! و قد جاء فى احد أنا شيد «گاتاها» أن زرادشت كان يقول: «انى حينما ارفع يد الضراعة الى النار المقدسة ارانى براً صحيح العمل» و قد عدّ النار فى موضع آخر من عطايا «يزدان» التى وهبها «آهورامزدا» للانسان تكريماً له و تعظيماً! وليعلم أن زرادشت نفسه لم يكن يعبد النيران، بل لم يكن يعتقد فيها ما كان يعتقد به آباؤه فى شأن هذا العنصر المقدس، و هو يختلف فى عقيدته بشأنها مع ما

---

١١٣ ــ كما قالت النصارى: المسيح ابن الله!.

١١٤ ــ كما قالت العرب: الملائكة بنات الله!

١١٥ ــ بالفارسية: مزديسنا و ادب پارسى ص ٢٧٦ و كر يستن سن ص ١٦٨.

يعتقده فيها عباد النار المتأخرون عنه و انما كان يرى أن النار رمز مقدس و شارة ثمينة من آهورامزدا يستطيع الانسان أن يتوصل بها الى ماهية الحقيقة العلو ية للرّب العليم»[١١٦].

و سواء كان زرادشت يقدس النار اولايقدسها، و على فرض تقديسه لها فعلى اى صورة كان يفعل..؟ الذي نقطع به أن تعظيم النار و تقديسها و تكريمها و عبادتها شاع بعد زرادشت بين اتباعه بحيث اصبح اكبر شعار الزرادشتية وهو بعدُ باق الى اليوم، فبيوت النيران تبنى بين المجوس كما تبنى الكنائس فى النصارى و الكنيست فى اليهود و المساجد بين المسلمين.

وعرف الزرادشتية فى عهد الساسانيين باسم «عبدة النار» وكان النصارى ــ الذين وجدوا لأقدامهم مواضع فى بلاط الساسانيين ــ يجادلون مع هؤلاء بشأن عبادتهم للنار. و كتب كريستن سن يقول: اوجب تقدم دين المسيح فى أراضى الأرمن اضطراباً للدولة الايرانية، فشاور مهر نرسى ملك ايران مع علماء الزرادشتية، ثم كتب مرسوماً ملكياً دعافيه النصارى فى ايران الى ترك دين عيسى و قبول دين زرادشت، و طلب فيه منهم أن يكتبوا له اصول دينهم. فكتبوا اليه كتاباً تجاسروا فيه عليه و ذكروا فيه يقولون: «اَما اصول ديننا فبالاجمال نقول: انا لسنا نعبد العناصر و الشمس و القمر و الرياح و النيران كما انتم تعبدون»[١١٧]

و كتب فى الفصل الثامن من كتابه يقول:

«...ان رجال دين زرادشت كانوا يتقهقرون كل يوم قدماً الى الوراء، ولم يبق لهم ما كانوا يتمتعون به من القدرة فى البلاط و الدولة حتى يستطيعوا أن يصدوا ما يحدث بضدهم من حوادث دينية مضادة، و لهذا فقد تخفف ماكانوا يحمّلوه على الناس من ظلم و تجاوز باسم الدين... و تقدمت الحكمة و الفلسفة فى الاوساط العلمية على احكام الدين، و كلما توسّع افق الفكر لديهم كانت الشكوك و الوساوس تتسع فى اذهانهم شيئاً فشيئاً... و اخذت السذاجة و البساطة للأساطير القديمة التى كانت فى بعض اجزاء مزديسنى تقلق حتى علماء الدين و تؤذيهم، و لهذا فقد اخذوا يصنعون لها تأو يلات استدلالية لتوجيه الحكايات القصصية و حاولوا أن يوجهوها بالطرق العقلية... يقول احد «المغان» فى حواره مع «گيورگيس» المسيحى: «نحن لانرى النار إلهاً من دون الله، بل مانعبدها إلالكى نعبدالله، كماتعبدونه انتم بواسطة (الخاج)». فاجابه گيورگيس المسيحى الذي كان هوأحد رجال دين زرادشت و قد ارتد الى المسيحية بتلاوة بعض العبارات من اوستا اثنى فيها على النار بمايثنى على الله، فقلق ذلك «المُغْ» و حاول الاجابة فقال: «نحن انما نعبد النار لانها و آهورامزدا من عنصر واحد» فسأله گيورگيس: «فهل فى النار مافى اهورامزدا» أجابه المغ: نعم! فقال

---

١١٦ ــ بالفارسية: تاريخ جامع اديان ٣٠٩ ــ ٣١٠.

١١٧ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ٣٠٩.

گيورگيس: ان النار تحرق الانجاس و الأرجاس و الارواث و كل ما تجده، فهل ان اهورامزدا أيضاً يحرق هذه الاشياء؟! فلما بلغ الكلام الى هنا عجز المغ عن جوابه فسكت»[١١٨].

ان المغان الزرادشت حينما واجهوا علماء الإسلام حاولوا الدفاع عن انفسهم ايضاً، و لكنهم حينئذلم يقولوا: انانعبد النار لانها و أهورامزدا من جنس واحد و طبيعة واحدة، بل انكروا عبادة النار رأساً، و ادّعوا: انا نعبد اهورامزدا الذي هو الله المتعال، و انما نجعل النار قبلة لنا، كما يقف المسلمون حينما يعبدون الله المتعال و يصلون له الى طرف الكعبة المعظمة من دون أن يعبدوا نفس الكعبة. ان الزرادشتيين حينما يتكلمون عن تعظيم النار و تقديسها يأتون بلفظة العبادة «پرستش» كما كان يقول آباؤهم، و لكنهم لكى يتخلصوا من تحامل المسلمين عليهم كانوا احياناً يبدلون كلمة العبادة بعبارة انها قبلة لنا!

فمثلاً: نرى الدقيق الشاعر المجوسى الايرانى الفارسى، الذي كان امام الفردوسى فى نظم «شاهنامة» بمعنى أنه هو اول من بدأ بنظم شاهنامة ثم عقبه الفردوسى و اكمل عمله و أمله! فى نظمه كلام الملك لزرادشت بشأن النيران يأتى بكلمة العبادة «پرستش» حيث يقول:

«اذهب برسالتى هذه إلى الملك گشتاسب.
فقل له: يا ربّ الارض و الزمان.
اوكلت اليک امر كل نار...
كلما رأيت منها بأى مكان كان
لايسعون فى اطفاء النيران
لابالماء اللطيف و لا بالتراب الثقيل.
و قل للموابدة و رجال الدين...
لاولئک الطاهرى القلوب من الهر بدان
ليغلقوا المغان و يسعوا فى
«عبادة» جميع النيران»[١١٩]

و قد اتبع الفرودسى فى تعبيراته نفس هذه الطريقة الزرادشتية وجاء بكلمة العبادة «پرستش» فى كثير من موارد شعره، منها ما قاله فى اسطورة كشف النار:

«ان هوشنک رأى يوماً حية عظيمة اوثعباناً فحمل حجراً كبيراً و هجم عليها ليضربها، لم يصبها بالحجر بل أصاب الحجر حجراً آخر فانقدح النار من بينهما... و هكذا

---

١١٨ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ٤٥٦ ــ ٤٥٧.

١١٩ ــ نقلاً عن مزديسنا و ادب پارسى ص ٢٨٣.

اكتشف النار... بقول: بدا نور من الحجرين، و تنور قلب الحجر من النور، و لم يقتل الثعبان ولكن ندت النار من ذلك الحجر، و كل من يضرب الحديد بالحجر يظهر منها النار... فأخذ الملك يدعو الخالق و يحييّه، اذوهب له هذا النور، و جعل هذا النور قبلة لنفسه و قال: هذا نور ربانى، فينبغى أن تعبده ــ ايها الانسان ــ ان كنت من اولى الالباب».

الا أن الفردوسى يقول: انه جعل النار قبلة لنفسه، بينما هو يعبّر عن تعظيم النار و تقديسها بالعبادة: «پرستش» و هذا من تلك التعبيرات التى وجدت بعد الاسلام دفاعاً عن تعظيم النار و تقديسها.

و يعكس الفردوسى فى بعض اشعاره دفاعهم عن عبادة النيران فيدعى أنها انما هى محراب لهم و قبلة لعبادتهم و ليست معبوداً. فمثلاً يقول فى قصة ذهاب كيكاوس و كيخسرو الى معبد «آذرگشسب»:

«كانوا هناك اسبوعاً فى عبادة ربهم...
ولا تتوهم أنهم كانوا يعبدون نفس النيران...
انما كانت النار حينذاك محراباً لهم...
و هم كانوا يعبدون ربهم بعيون باكية
انما كانت النار لهم بجمالها...
كما يكون للمسلمين العرب محاريب الحجر».

هل النار محراب للعبادة ام معبود؟

ان مسألة الثنوية التى تكلمنا حولها في الفصول السابقة انما ترتبط بكيفية تفسير الانسان للوجود و العالم. و ان الفكر الثنوي يقابل الفكر التوحيدى سواء التوحيد الذاتى او التوحيد الأفعالي.

و ان تعظيم و تقديس النار لا ربط له بالتفسير العام لعالم الوجود و لا بمسألة الذاتى و لا الآفعالي، بل انما ترتبط بالتوحيد العبادي. و صورة المسألة هنا هى أن تقول: ما هو وضع الزرادشتيين فى عبادة النيران مع قطع النظر عن مسألة التوحيد الذاتى والآفعالي، و مع قطع النظر عن ثنويتهم اوعدمها... و بعبارة اخرى نقول: ماذا كانت سيرتهم من الشرك والتوحيد من حيث العمل اى من حيث رد الفعل العبادي امام خالق العالم؟ فهل كان توحيدياً او مشركاً؟

ان التوحيد فى الذات و الخالقية لايلازم التوحيد فى العبادة ابداً؛ فقد كان عرب الجاهلية يوحدون الله و يشركون به فى العبادة: «ولئن سألتهم من خلق السموات و الارض

ليقولن الله»[١٢٠] ولم يكونوا يذعنون بأنها هى خالقة السموات والارض وانما كانوا يخضعون لها بالعبادة. و ليس عرب الجاهلية فقط بل اكثر عبّاد الاصنام فى العالم... وعلى هذا فلو افترضنا أن دين زرادشت دين توحيدى بالنظر الى التوحيد الذاتى والافعالي، لم يكن معنى ذلك أن نراه توحيدياً من حيث العبادة أيضاً.

ان عبادة الزرادشتيين كانت منذاً قدم الأيام فى معابد النيران و فى محضرها، فما هى حقيقة هذه العبادة؟ هل أنهم يعبدون اهورامزدا فى محضر النيران؟ ام نفس النار؟. ان العربى الجاهلى كان يقول: «هؤلاء شفعاؤنا عندالله...[١٢١]» و فى نفس الوقت كان يقر بعبادته لها فيقول: «ما نعبدهم إلاليقربونا الى الله زلفى...»[١٢٢].

يقول الدكتور معين:

«ان المسلمين الايرانيين كانوا يدعون الزرادشتيين: عبدة النار، نظراً الى تقديسهم للنار. فى حين لم تكن النار عندهم آلهة خاصة او ربّ نوع من ارباب الانواع كما كان كذلك لدى الفرس قبل زرادشت. بل انما كانت النار محراباً لهم كما تكون الكعبة قبلة للمسلمين»[١٢٣]

و يقول أيضاً:

«ان النار تكمن فى جميع الموجودات الطبيعية، و ان جوهر حياة البشر و جميع الأحياء هى تلك الحرارة الباطنية او الغريزية، و ان النار لهى منبع جميع النشاطات الانسانية... بل هى موجودة معنوياً حتى فى النباتات و الجمادات أيضاً...

و قد عبرعن هذاالمولوي المثنوي الرومي اذقال:

«ان صوت الناى من نار الغرام...

ان لون الخمر من نار الغرام..

ان صوت الناي نار لاهواء..

لايكن من لم يكن ذا النار فيه»!

و قد اخطأ الدكتور المعين هنا نفس الخطأ الذي اشرنا اليه من ذي قبل، إذالتبس عليه الأمر بين الشرك فى العبادة و الشرك فى الخالق، فتخيّل، أن الذي يعبد يجب أن يكون له مقام فى الخلق و الايجاد، و حيث أن المجوس لايقولون بهكذا مقام للنار فليسوا مشركين. بينما

---

١٢٠ ــ سورة لقمان: ٢٥.

١٢١ ــ يونس: ١٨.

١٢٢ ــ زمر: ٣.

١٢٣ــ بالفارسية: مزديسنا و ادب پارسى.

لوكان الأمر كذلك لم يكن عرب الجاهلية أيضاً مشركين؛ اذلم يكونوا يعملون للأصنام شيئاً سوى ماينبغى أن يكون لله اي الصلاة و تقديم القرابين، و لم يكونوا يرون أن هبل او عزىٰ اوغيرها ارباب انواع مستقلة فى الربوبية. و الخطأ الآخر الذي وقع فيه الدكتور هو زعمه أن الشئ لوكان مفيداً جداً لم يكن بد من عبادته و تقديسه!.

ان قياس تقديس النار بالتوجه الى الكعبة حين الصلاة قياس باطل؛ إذ مامن مسلم ــ مهما كان عامياً ــ يخطر بباله وهو يقف الى الكعبة للصلاة أنه يريد أن يعظم بها الكعبة و يقدسها، و الاسلام حينما قرر أن تكون الكعبة قبلة لم يقصد أن يقدس الناس الكعبة حين الصلاة، بل الكعبة فى جعلها قبلة ليست إلامثل نقطة الجنوب لوقيل للمسلمين أن يقفوا اليها للصلاة، فلا مفهوم لهذا او ذاك سوى الأمر بأن يكون لهم حين الصلاة وضع واحد. و ليس فى الاسلام ما يشير الى أن هناك بين الله و الكعبة رابطة وجودية خاصة، بل قد علم القرآن المسلمين عكس ذلك اذقال: «اينما تولوا فثم وجه الله»[١٢٤] اذن فالوقوف الى الكعبة ليس إلاحكمة و فلسفة اجتماعية، هى: اتحاد المسلمين فى الجهة التى يختارونهاحين عبادتهم، و عدم تفرقهم فى ذلك ، و ثانياً: ان تكون نقطة وحدة المسلمين هى اول بيت وضع للناس للعبادة، و هذا أيضاً يرجع الى تعظيم عبادة الله سبحانه.

بينما عبادة المجوس ليست الا تقديساً لنفس النار، حسب اعترافهم و الدكتور المعين. فكيف يمكن أن يكون تعظيم النار تعظيماً لآهورامزدا؟!

ان للعبادة فى قاموس المعارف الإسلامية مفهوماً واسعاً؛ اذ انَّ طاعة نبعت من طاعة الله هى عبادة فى الإسلام، و كل طاعة لم تنبع من طاعة الله هى شرك بالله،وسواء كانت طاعة لانسان آخر اوحتى للنفس الآمارة، الا أنه شرك ضعيف لايستلزم الخروج عن ربقة الإسلام. أما الاعمال التى تتحقق بقصدانشاء العبادة و اظهار العبودية، التى لامعنى و لامفهوم لها سوى التقديس و التنزيه و اظهار العبودية؛ كالركوع و السجود و التضحية و غيرها فلاتجوز فى الإسلام لغير الله قط، لا للنبىّ و لاللامام و لا للملائكة و لا لأي شئ آخرمما سوى الله سبحانه، و اذا تحقق شئ من هذه الاعمال لغير ذات الله كان شركاً بالله تعالى،سواء كان عن عقيدة بالشرك اوعن عقيدة بالتوحيد:توحيد الذات و الصفات.

و لتوضيح هذا المعنى نقول: ليس كل خضوع لأي شئ شركاً او عبادة له. بل انما الخضوع الذي يحتوي على التقديس و التنزيه، اذلو كان الخضوع نابعاً من تصغير النفس أمام الآخرين فقط كان تواضعاً، و أما ان كان لاكرام الغير و تعظيمه كان ذلك اكراماً و احتراماً، و ليس التواضع والاكرام عبادة للغير. و الفرق بين التواضع و التعظيم فى أن معنى

---

١٢٤ ــ سورة البقرة: ١١٥.

التواضع: هو اعلان تصغير النفس فقط، و أما معنى التعظيم: فهو اعلان اكرام الغير و تعظيمه.

أما لوكان خضوع الانسان أمام الآخر لتقديسه و تنزيهه عن النقص كان ذلک عبادة له، و هذا هو الذي لايجوز لغير الله سبحانه؛ اذهو وحده الذي يستحق التقديس و التنز يه عن النقائص فقط.

و التسبيح و التقديس نوعان: لفظى، و عملى:

فالتسبيح اللفظى كأن يقول «سبحان اللّه» اي اسبح اللّه و اقدسه و انزهه و ابرّ يه من كل نقص، او «الحمدللّه» اي انه هوالفاعل الحقيق لجميع النعم و هو منشأ جميع الخيرات و البركات و الكمالات، و لذلک فالحمد يخصه لاغير، او «اللّه اكبر» اي أن اللّه اكبر من كل ما يتصور بل هو أجل من أن يوصف او يوهم. فلايجوز مثل هذا لغير اللّه، سواء كان نبيّاً مرسلاً او ملكاً مقرباً.

و أما التقديس العملى: فهو ان ينشئ الانسان عملاً يعطى معنى تقديس ذلک الموجود الخاص الذي يقدس، كالركوع و السجود و تقديم القرابين. نعم لاصراحة في العمل فبالامكان أن تتحقق نفس هذه الاعمال للتعظيم بدون تقديس، و حينئذٍ فلا تحسب هذه الاعمال عبادة بل تعظيماً و تكريماً(؟) الا أن الاعمال التى تبدٰى أمام الاصنام او النيران او غيرها فلايمكن ابعادها عن معنى التقديس.

ان من فطريات الانسان أن يقف أمام موجود كامل مبرّأ من النقص فيقدسه، و الذي يجعله يقوم بهذا العمل هو غريزة فيه تبعثه على الثناء على الكامل المطلق؛ فالتقديس اذن نابع من احساس فطرى فى الانسان. و هو توأم فيه مع الاستشعار باستقلال ذلک المقدس فى الوجود سواء شعر بذلک الانسان ام لم يشعر! و بعبارة اخرى نقول: بما أن العبادة و التقديس نابعان من احساس غريزي فى الانسان، فلا يلزم أن يعتقد الانسان العابد فى شعوره الظاهر باستحقاق ذلک المقدس للتقديس ولا بتنزّهه عن النقائص ولابالاستقلال الذاتى أو الفعلى لذلک المعبود.

نعم، هذا معنى التقديس، و هذا هو الفرق بين التقديس و التواضع، و هكذا الفرق بين التقديس و التعظيم العادي، و هكذا الفرق بين التقديس وجعل الشئ قبلة.

و الشئ الذي يعمله المجوس فى مورد النيران هومن التقديس لا التعظيم العادي ولا التواضع ولاجعلها قبلة. و العمل اذا كان تقديساً كفى فى أن يعدّ عبادة للشئ، سواء كان توأماً مع العقيدة الصريحة بمقام الربوبية المطلقة لذلک الشئ اوربوبية نوعية اولاهذا ولا ذاک.

و فضلاً عن هذا، فلايقول المجوس للنار بمقام اقل من ربوبية نوعية على خلاف مايقوله الدكتور المعين، بل انهم كانوا يرون للنار قدرة خارقة و تأثيراً روحياً و معنو ياً. و لايزالون

يقولون بذلک. و قد نقلنا قبل هذا: أن النار لقبت فی اوستا «آذر ایزد» ای انها «ابن الله». و یقول کر یستن سن بهذا الصدد: «ان النار فی هذا الدین من أهم جمیع سائر العناصر الموجودة»[١٢٥] و یعلق علی هذا فی الهامش یقول: «یعتقد هرتل فی مقالاته التی کتبها تحت عنوان «منابع التحقیقات الهند و ایرانیة» یعتقد: «بأن الایرانیین کانوا یرون آن عنصر النار نافذ فی کل صغیر و کبیر فی هذا العالم» و یضیف کر یستن سن یقول: «و آنا آعتقد أن الذي یقوله هرتل لایخلومن حقیقة فی المقام».

و کتب نفس الدکتور المعین بشأن معبد «آذر برز ین مهر» احد معابد النیران الکبیرة و الآصیلة، یقول: «جاء فی البندالثامن من الفصل ١٧: ان معبد آذر برز ین مهر کان قائماً حتی عهد گشتاسب، و کان ملجأ للعالمین حتی آمن بزرادشت انوشیروان و گشتاسب، فحمل گشتاسب معبد آذر برز ین مهر الی جبل ر یوند الذي یدعی پشتاسپان و پشت أیضاً»[١٢٦] و ینقل عن خرده اوستا أنه یقول: «ان الفلاحین یصبحون اعلم و اطهر و انقی ثیاباً ببرکة هذه النار، و ببرکة هذه النار تساءل گشتاسب و تلقی الجواب»[١٢٧] و یقول بشأن «آذر فرنَبغ» الذي هو الآخر احد المعابد الأصیلة للنار: «کان هذا المعبد یخص الموابدة الکبار، و قد جاء فی البند الخامس من التفسیر الپهلوی لنار بهرام فی دعاء خرده اوستا: «ان هذا المعبد اسمه: آذر فرنبغ، و هی نار علیها یکون حمایة سائر النیران، و ببرکة هذه النار یجد الموابدة و الدساتیر العلم و الکبر و الجاه و الشان الرفیع، و هذه النار هی التی قاومت الضحاک»[١٢٨]

و جاء فی البندالثامن من الفصل السابع عشر بشأن «آذرگشنسب» التی هی ثالث المعابد الکبار و الأصیلة: «کانت آذرگشنسب حتی ملوکیة کیخسرو ملجأ للعالمین، و حینما خرب کیخسرو بحیرة چچست جلست هذه النار علی عرف فرسه فدفعت عنه الظلام و السواد و وهبته النور و الضیاء حتی استطاع ان یخرب معابد الأصنام، فبنی فی ذلک المحل علی جبل اسنوند معبداً للنیران و جعل تلک النیران فی ذلک المعبد»[١٢٩]. و فیه: «ان معبد آذر گشنسب هی احدی ثلاث شرارات من الجنة نزلت الی عالم التراب لامداد العالمین، و قد استقرت بآذر بایجان»[١٣٠].

---

١٢٥ ــ بالفارسیة: مزدیسنا و ادب پارسی ص ٣٣٢.

١٢٦ ــ مزدیسنا و ادب پارسی ص ٣٣٣.

١٢٧ ــ مزدیسنا و ادب پارسی ص ٣٣٤.

١٢٨ ــ مزدیسنا و ادب پارسی ص ٣٤٠.

١٢٩ ــ مزدیسنا و ادب پارسی ص ٣١١.

١٣٠ ــ مزدیسنا و ادب پارسی ص ١١٢.

و يقول فردوسى بشأن ذهاب كيكاوس و كيخسرو إلى معبد آذر گشنسب:

«نقوم عندالنار على قدم و ساق...

حتى يهدينا يزدان الطاهر...

فحيث يكون يزدان راقداً

يجد ممثل العدل الطريق اليه...»!

فليت شعري! آية طائفة من طوائف عبّاد الاصنام كانت تقول باكثر من هذه القدرة المعنوية الخارقة لأرباب انواع يقولون هم بها؟!

و قد كتبت مجلة «هوخت» اللسان الناطق بلسان ندوة الزرادشتيين فى طهران، مقالاً بقلم الموبد اردشير آذرگشنسب بعنوان: ردّ الاتهامات، ادعىٰ فيه الكاتب: أن الزرداشتيين لم يكونوا يعبدون النيران و لايعبدون، و يستمر يقول: «نحن نأتى بآيات من الكتب السماوية فنثبت بها ان الله هو نورالانوار و منبع جميع الانوار، و من هناك نعلم أن الزرداشتيين باقبالهم على النار و النور فى حين صلاتهم و دعائهم، انماهم يناجون ربهم و يستعينون منه بواسطة هذه الانوار، و أن هذا لايخل بتوحيدهم بأي وجه من الوجوه، كما يتوجه اتباع سائر المذاهب فى حين صلاتهم الى الكعبة و لا ينبزهم بذلك أحد بالشرک و عبادة الاحجار او التراب»[١٣١].

ثم يشرح الموبد اردشير آذرگشنسب فوائد النار الواضحة بعنوان أنها عنصر شريف و مقدس، و بعد ذلک يقول: «و على أى حال، فانما تيسر كل هذا التقدم للانسان القديم بمساعدة النيران الحمراء و المحرقة، و على هذا فهو كان على حق اذ اذعن للنار بحرمة فائقة و حسبها رسالة سماوية انزلت عليه لمساعدته، و بنى لها المعابد وجعلها مشتعلة دائماً لايطفئها بل يمنع من اطفائها»(١٢٢).

و نجيب الموبد اردشير آذرگشنسب فنقول: نعم ان الله هونور الأنوار، لكن لابمعنى أنا نقسم الاشياء الى قسمين: انوار و ظلمات، و نحسب أن الله هونور الانوار و ليس نوراً للظلمات! بل ان الله نورالانوار يعنى. بما أن الوجود يساوى النوربالنسبة الى الظلام الذي يساوى العدم، لهذا نقول ان الله هو نور الأنوار، و نقول: «الله نور السمٰوات و الارض»[١٣٢] و لا فرق فى هذا بين النور المحسوس كالنار و الشمس و القمر و المصباح و بين الحجر و التراب، و ليس معناه أنا اذا توجهنا الى النار نكون قد توجهنا الى اللّه أما اذا توجهنا الى الحجر نكون قد توجهنا الى غير نور الأنوار.

---

١٣١ ــ مجلة هوخت المجوسية الفارسية التى تصدر بطهران، العدد ٢ من السنة الثامنة ص ٢٩ اردیبهشت ١٣٤٨ هـ .ش.

١٣٢ ــ سورة النور: ٣٥.

يقول هذا الموبد المجوسى: «ان الزرادشتيين يتوجهون الى الله بواسطة النار»!

و أنا أقول: لكن التوحيد أن لايجعل الانسان لاقباله على الله واسطة بينه و بين الله اذ يقول: «و اذا سألك عبادى عنى فانى قريب»[١٣٣] فلا يلزم بل لاينبغى أن يجعل الانسان بينه و بين الله واسطة للاقبال عليه دائماً.

نعم لابأس أن يقبل الانسان ــ بعد اقباله على الله ــ على اوليائه و عباده، يجعلهم شفعاء له الى الله للدعاء و الاستغفار منه، اى يستمدمنهم ــ و هم أحياء يرزقون و عباد صالحون ــ أن يدعوا الله له كى يهب له النورفى بصره و البصيرة فى دينه مثلاً، او أن يغفرله ذنوبه بلطفه و كرمه.

و قلنا لابأس بهذا؛ لأن الواسطة هنا موجود حى يرزق قد طوى مراحل من العبودية لله سبحانه، فهو بامكانه أن يتوجه الى الله احسن و اجل و اكمل و ازكى وانمى و اطهر و أسنى و اكثر، فهو اقرب منا اليه سبحانه و ان كان هو اقرب الينا من حبل الوريد. و نقرأ فى زيارة رسول الله صلى الله عليه و آله: «اللهم انى اعتقد حرمة صاحب هذاالمشهد الشريف فى غيبته كما اعتقدها فى حضرته، و أعلم أن رسولك و خلفاءك عليهم السلام أحياء عندك يرزقون، يرون مقامى و يسمعون كلامى و يردون سلامى» و نقرأ أيضاً: «اللهم انك قلت «ولو انهم اذظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله و استغفرلهم الرسول، لوجدوا الله تواباً رحيماً» و انى اتيتك مستغفراً تائباً من ذنوبى، و انى اتوجه بك الى الله ربى و ربك ليغفر لى ذنوبى».

فالتوجه الى الله والتوسل اليه بأوليائه هكذا ليس من الشرك فى شئ، بل انما هومن عيون العبادات الحقة.

أما قياس هذا الموبد التوجه الى النار بالتوجه الى الكعبة؛ فقد بحثنا حوله قبل هذا و تبيّن أنه قياس مع الفارق.

و يقول هذا الموبد: ان فى النار فوائد كثيرة للانسان؛ و لذلك فهوعلى حق لواذعن لها بحرمة فائقة!

و نقول: هنا بيت القصيد؛ بل انما بعث الانبياء كى يعرفوا الانسان بمنبع الخيرات و البركات و النعم و الآلاء، و كى يعطوه بصيرة نافذة فى امثال هذه الأمور، وكى يوجهوه من الاسباب الى مسبّبها، وكى يفسّروا له: أن: الحمدلله رب العالمين، يعنى: أن كل ثناء و دعاء انما يخص ذات الله رب العالمين بالاستحقاق.

ثم نتساءل فنقول: هل ان النار رسالة سماوية نزلت لمساعدة الانسان فحسب؟! لوكان المقصود من السماء هذا الجو الذي على رؤوسنافلاشئ من النار ولا من سائر العناصر

---

١٣٣ ــ سورة البقرة: ١٨٦.

تنزل من السماء، ولوكانت فليست رسالة سماوية إلهية. أما لوكان المقصود من السماء عالم الغيب و الملكوت الاعلى فكل شئ نازل من السماء اذن، و على هذا فكل شئ رسالة سماوية ولايختص هذا بالنيران «و ان من شئ إلاعندنا خزائنه و ما ننزله إلا بقدر معلوم»[١٣٤].

الرسوم و التشريفات:

و ليس تقديس النار و تعظيمها و عبادتها ساذجاً بسيطاً، بل لها تشريفات عجيبة و غريبة، و نحن ننقل هنا قسماً من هذه التشريفات عن كتاب «مزديسنا و ادب پارسى» للدكتورمعين الذي يدافع عنها اوعلى الاقل عن تعظيمها وتقديسها، و يوجدقسم منها فى سائر الكتب المجوسية و التى تدافع عنهم، و هى بعد باقية بينهم الى اليوم.

يقول الدكتور معين:

«فى دين مزديسنا تشريفات كثيرة، كما فى الكاثوليک، و على خلاف الإسلام. أما التشريفات فى مورد معابد النيران: فينبغى أن يكون المعبد فى فسحة وسيعة. و يوجد فى كل معبد كانون خاص لايقاد النيران لايحق لاحد الدخول اليه الاللموبد المحافظ على النيران او «آتربان» و حينما يدخل «آتربان» الى النيران يجب أن يتلثم على فمه بلثام يُسمى «پنام» كى لا تتلوث النيران من أنفاسه. و فى الطرف الايمن من مقر النيران غرفة وسيعة مربعة تنقسم الى أقسام متعددة متساوية، كل قسم منها لوظيفة خاصة، تسمى هذه الغرفة «يزشن گاه»» اي محل تشريفات العبادة... و كان قد تقرر فى شريعة زرادشت: أنه لاينبغى أن تسطع الشمس على النار المقدسة[١٣٥] و لهذا فقد عملوا فى بناء هذه الغرفة طريقة خاصة: جعلوها مظلمة يتوسطها كانون النيران... و يوجد فى معابد النيران مشاعل مختلفة باختلاف درجات الاسر الايرانية: «آتش خانه: نارالاسرة» و «آتش قبيلة: نارالقبيلة» و «آتش قرية: نار القرية» و «آتش بلوک: نارالاقليم» و يسمى محافظ نار الاسرة «مانبذ» و كان قدتقرر لصيانة النيران رجلان من رجال الدين، و لصيانة نارالاقليم هيئة روحانية برئاسة موبد من الموابدة... و من نسک اوستا الساسانى منسک يسمى «سوزگر» و قد كتب بشأنه فى باب عبادة النيران تفصيل خليط بقصص و أساطير جاء فيه: كان المعبد مليئاً من ريح الكندر و غيره من المواد العطرية، و كان عند النار رجل من الروحانيين قد تلثم بلثام على فمه

---

١٣٤ ــ سورة الحجر: ٢١.

١٣٥ ــ عجيب أن الزرادشتيين و المدافعين عنهم يحاولون توجيه تقديس النار بعنوان أنها من جنس النور و النور عنصر مقدس لأن الله هو نور الأنوار، و هم من ناحية اخرى يرون أن سطوع الشمس على النار يسبّب تلويث النيران!!.

كى لايلوث بنفسه النار، و بيده عود قد طهر طبق الآداب الدينية يقلب به النار يوقدها. و كان هذاالعود غالباً من نبات موسوم به «هدانه اپتا» اجل، كان ذلک الرجل الروحاني يقلب النار كل حين بهذا العود الذي كان يسمى «برسمه» و كان قد قطع طبقاً لآداب خاصة، يشعل النار به و يدعو بدعوات خاصة، ثم كان سائر الروحانيين ينثرون «هئومه»[١٣٦] و كانوا فى اثناء تلاوة الأدعية او اوستا يدقون اغصان نبات «هئومه» فى هاون بعد تطهيرها... و كان يوجد فى «يزشن گاه= محل عمل التشر يفات» آلات و ادوات كل منها تفيد فى تشر يف خاص من التشر يفات، هى كمايلى:

١ و ٢ ــ هاون و مدقها، و هى بمنزلة ناقوس المسيحيين و تستعمل الآن عندهم كذلک، و كان فى الأصل لدق اغصان نبات هئومه.

٣ــ برسمه، الذي كان يقطع من شجر «هدانه اپتا» و هو شجر كالرمان، و اليوم يصنع من الفضة او البرونز. و يقلب به النار.

٤ــ برسمدان = محل عود برسمه.

٥ــ برسمچين، و هوسكين صغير يقطع به عود برسمه من شجر «هدانه اپتا».

٦ــ كؤوس لنبات هئوم و پراهئوم و المياه المقدسة.

٧ــ طوس صغار من نوع الطسوت لنفس نبات هئوم و پراهئوم، و هى فيها تسع ثقوب.

٨ــ الورس، و هو حبل صغير حيک من شعر البقر، و يشد به عود برسمه.

٩ــ حجر كبير باسم «أرو يس گاه» و هو حجر مربع، تجعل عليه تلک الآلات السابقة[١٣٧].

و يقول أيضاً:

«جاء فى القواميس الفارسية: برسمه: فروع رفيعة لاعقدة فيها، و هى بمقدار شبر، يقطع من شجر هئوم، و هو شجر يشبه شجر «گز» فان لم يكن هوم فمن الگز، فان لم يكن گز فمن شجر الرمان. و ادب قطعه: أن يطهر برسمچين ــ و هو السكين الصغير لقطعه ــ بالماء ثم يتلى عليه بعض الآدعية التى تتلى حين عبادة النيران و غسل الآبدان و اكل الطعام ــ و يجب أن يكون ممسكة المدية أيضاً من حديد ــ ثم يقطع بها عود برسمه»[١٣٨].

ثم يقول:

«حينما يشتغل موبد بقراءة الآدعية حالياً، يراقب النار موبد آخر يأخذ بيده فروع

---

١٣٦ ــ نبات هئومه نبات منع زرادشت عن استعماله و قال: انه نبات وسخ و قذرأونجس كماسيأتى هذا.

١٣٧ ــ ملخص عن كتاب: مزديسنا و ادب پارسى من ص ٢٩٧ الى ص ٣٠٥.

١٣٨ ــ بالفارسية: مزديسنا و ادب پارسى ص ٤٠١.

برسمه من برسمدان و يديرها ثم يعطيها من يمينه لشماله و بالعكس ثم يرجعها الى برسمدان».

و يقول:

«كتب دار مستتر فى زنداوستا يقول: لنا قسمان من معابد النيران: معابد كبار تدعى «آتش بهرام» و صغيرة تدعى «آدران» او «اگبارى». و يوجد الآن فى بمبي هندوستان ثلاثة من القسم الاول و مئة من الثانى. و الفرق بين الاول و الثانى فى كيفية النار و كيفية تحضيرها؛ فان تحضير نار بهرام يمتد سنة كاملة، و هى تتشكل من ١٣ من انواع النيران فهى تعد كجوهر روحى لجميع النيران المعبودة. و هى تستلزم تشر يفات مختلفة جاء توضيحها فى «وندیداد = احد اجزاء اوستا الساسانى». و قد جرت السنة لدى المجوس أن يكون فى كل حوزة من البهدينين اي الزردشتيين من النوع الاول «بهرام» واحد. و يعتقد بعض رجال دينهم بأنه لا يجب أن يكون لهم اكثر من «بهرام» واحد فقط فى كل اقليم؛ اذ هو نار الملك و لا يمكن أن يكون ملكان لاقليم واحد!... و بما أنها نار الملك فيلزم لها ار يكة ملوكية، و لذلك فهم ينظمون لها ستة قطع من خشب الصندل بصورة ار يكة مدرجة»[١٣٩].

اجل؛ هذا هو قسم من مراسم و تشر يفات تعظيم و تقديس النيران للزرادشتيين. ولا كلام لي الآن حول توحيدية هذه الاعمال اوشركها؟ لكنى أو دأن تفكر انت ايها القارئ فى هذه المراسيم منطقياً و عقلياً، ثم ترى هل تجدأنت اشد خرافة من هذه الاعمال فى العالم؟ ثم قسها أنت بالعبادات الاسلامية: الصلاة و الأذان و الجمعة و الجماعة، و الحج و المساجد و نسك العبادات فى الإسلام، و الآذكار و الاوراد و التسابيح الاسلامية، ثم ترى انت بنفسك البون الشاسع بينهما، ثم ترى هل كان يحق للامة الايرانية حينما و اجهت هذه التعاليم القيمة ان تنبذ ما كان يعبد آباؤها ام لا؟!

و لا بأس هنا أن نورد شيئاً من صدى بوم من البومة و نعرّف القراء الكرام بقيمة هذه الاصداء و النعرات...

كتب ابراهيم پور داود بشأن بيت النار ببلدة «نوسارى» الهندية، التى تعرف باسم «ايرانشاه» و هى من نوع «بهرام آتش» يقول:

«مسطور فى سنة الفرس: أن الايرانيين حملوا نار بهرام معهم من ايران، ولعله حق، اذ نقرأ فى: تار يخ الطبري و المسعودي: أن الايرانيين كانوا يحملون نار بهرام معهم حين هزيمتهم الى مناطق اوغل فى ايران و ابعد عن الفاتحين، مخافة ان تقع النيران بايديهم فيطفئوها[١٤٠] و بيوت النار الايرانية و ان خمدت تدريجياً و ابدلت بمساجد، و لكنهم لم يألوا جهداً فى صيانتها عن

---

١٣٩ ــ بالفارسية: مزديسنا و ادب پارسى ص ٣٥٥ ــ ص ٣٥٧.

١٤٠ ــ و هم بذلك كانوا يحملون معهم ربهم و ملجأ العالم ــ كما جاء فى البند الثامن من اوستا ــ من مكان الى مكان!!!.

الخمود. و ان يزدجرد الثالث حينما انهزم فى «نهاوند» حمل معه نار «وى» المقدسة الى «مرو» بشخصه. ان كان بيت نار «ايرانشاه» فى «سنجان» بنيت عام ٧١٦ مع ذلك يمضى اليوم عليها اكثر من ١٢٣٠ عاماً، و هى لازالت تراقب عن كثب حيرة اتباعها فى الاقليم الاجنبى! لكنها لم تفقد لونها الأحمر فى حوادث الدهر، بل كانت تدعو اصحابها بلسانها الحارّ! الى الاستقامة و الحرارة. و بعد هزيمة «سنجان» اقامت فى «نوسارى» ٢٣٥ عاما، الا انها خمدت عامين من عام ١٧٣٣ الى ١٧٣٦... و يمضى عليها اليوم ٢٠٤ أعوام و هى تضيئ فى هذه القرية، و حولها آلاف من الزرادشتيين فيهم الدساترة و الموابدة والهيربدان و البهدينان، و يزورها مجوس ايران و فرس هندوستان و لا سيما فى اشهر اورديبهشت و آذرماه، و فى هذا البيت «ايران خديو» اي «ايرانشاه» يعلوصوت نشيد اوستا من الموابدة البيض كل صباح وضحى و مساء. ان ايرانشاه تذكرنا بخدامها الذين يبلغون المئات ــ ببيوت نارشيزه و ري و استخر بما كان لها من جلال الساسانيين»[١٤١]

فهل من احد يصدق أن يتجاهل هكذا، رجل يدعى أنه من اساتذة جامعة طهران؟! و لا ادري اهى جهالة ام تجاهل؟ و لكنى اقول: شاهت وجوه ربائب المستعمرين العملاء الخونة المجرمين!...

مزديسنا و ادب پارسى:

كتب الدكتور محمد معين (عفا الله عنه و عافاه) كتاباً بهذا الاسم، استفدنا نحن منه فى بحوثنا هذه كثيراً. وهدف هذا الكتاب ــ كما يحكيه اسمه ومقدمة المؤلف ــ امر علمى بسيط هو: ان نرى مدى انعكاس اللغات المجوسية و الافكار الزرداشتية فى الأدب الفارسى اليوم. و هذا العمل من الناحية العلمية مفيد بل ضروري. و لكن ابراهيم پور داود ــ الذي كان الاستاذ المرشد للدكتور معين و نافذاً فيه و فى افكاره نفوذاً منقطع النظير ــ قد بين فى تقديمه الكتاب الهدف الآصيل منه، و هو: اثبات آن روح الايرانيين كانت و لازالت فى طول تاريخها الممتد آلاف السنين بل حتى فى العهود الاسلامية: روحاً زرداشتية! و أنه لم يتمكن اي عامل من العوامل أن يجعل هذه الروح تحت شعاع نفوذه، بل ان هذه الروح هى التى آثرت فى تلك العوامل و جعلتها متأثرة بها و صهرتها فى نفسها:

«ان الدين الذي وصل على ايدى الفاتحين العرب الى الفرس، تأثرهنا بلون ايرانى يدعى «التشيع» ممتازاً عن مذاهب السنة» و يرى پورداود: آن الاسلام الواقعى هو اسلام

---

١٤١ ــ نقلاً عن مزديسنا و ادب پارسى ص ٣٥٨ ــ ص ٣٥٩.

السنة لا الشيعة![١٤٢].

ان پور داود يرى أن العامل الآصيل فى التأثير فى روحيات الافراد هو الاقليم و العنصر و اللسان، ثم يبنى على هذا الاساس فلسفته التى تقول: ان الروح الايرانية ــ حتى اليوم ــ هى الروح المزديسنا و يةاي المجوسية الزرداشتية! بينما كلنا يعلم أنه لم يبق الآن عنصراو دم سالم يمكننا أن نفخر به، فقد كشراختلاط اقوام الترک والمغول والعرب واليونان والهنود وغيرهم وهكذا الامتزاج بسبب الزواج كثرة لايمكن لاحد أن يدعى اليوم انه ايرانى خالص صريح اوغيره! فمثلاً لايدرىٰ آن پورداود الى ماذا ينتمى من هذه الدماء؟ و من المحتمل أن يكون من قبل ابيه عربياً اموياً و من قبل الأُم مغولياً چنگيزياً! لايعلمه اِلا اللّه.

و اللسان كالعنصر و الدم؛ ففضلاً عن اختلاط جميع اللغات، نرى أن اللغة الفارسية اليوم هى لغة ناحية من ايران القديم (خراسان) لاجميع ايران، و بين هذه اللغة و أوستابون بعيد كما بين السماء و الأرض.

اذن فلايبقى لنا سوى الاقليم و القطر، و قطرنا اليوم ــ كما يقول پور داود ــ هو قطعة من الارض الايرانية القديمة.

و النتيجة: أن فلسفة پور داود تقول: ان جميع المعاجز الروحية و النفسية تكمن فى الماء و التراب، و ان الجنس و الفصل للروح الايرانية عبارة عن هذين العنصرين لاغير! و أما أن روح اوستايكمن فى الروح الايرانية فلأن اوستا ــ بما فيه من خرافات و اوهام ــ من منتجات هذه التربة و هذا الماء.

و يقول پور داود:

« و اسلوب التفكير و الحياة فينا ــ تماماً كالعنصر و الدم و اللغة ــ انما هى من ذيول الحياة و اسلوب الفكر و العنصر و اللغة لاولئک الذين يعدون أسلافنا منذ آلاف السنين»[١٤٣].

و أنا اقول: ان حياتنا و اسلوب تفكيرنا ــ تماماً كالعنصر و الدم و اللغة بل و اكثر من ذلک ــ قد تحول تحولاً كبيراً، و أن موهبة الاستعداد الفكري الايراني رفضت الخرافات الثنوية و عبادة النيران و الشمس و الانسان و شرب ماء هيومه و كثيراً من هذا القبيل رفضاً باتاً، و ذلک فى ضوء التعاليم الاسلامية السامية.

و من باب أن «الغريق يتشبث بكل حشيش» تشبّث پور داود بكلمات الشعراء و العرفاء الايرانيين الذين كانوا يتكلمون باللغه العرفانية الخاصة، و الذين اطلقوا انفسهم منذ

---

١٤٢ ــ مقدمة پور داود على كتاب: مزديسنا و ادب پارسى.

١٤٣ ــ مقدمة پور داود على كتاب: مزديسنا و ادب پارسى.

قرون متطاولة من الخرافات الدموية و العنصرية والاقليمية والقطرية، وتعودوا أن يفكروا فى الوطن الإسلامى العالمى؛ فيفسّر كلماتهم العرفانية فى بيوت النيران والخمرة و «المغ» بعنوان انهم يتظاهرون بكلماتهم هذه بالميل الى نفس تلك الخرافات البالية، و لذلک فهو يقول:

«ان قلب الايرانى كان بعد خمود بيوت النيران بيت نار للغرام، و يرى أن بلسمه بيد «پير مغان = شيخ بيوت النار» الذي طالما قد نزح من هذه الديار، ولا تصل اليه ايدى المريدين».

و أنا أيضاً اقول: ان قلب الشاعر و الكاتب العارف الايرانى ــ كالحافظ و سعدى و مولوى و جامى و مئات غيرهم من اضرابهم و الذين من بعدهم ــ بيت نار للغرام، و بلسمه بيد شيخ ذلک البيت... الا أن بيت النار هذه ليست تلک البيت التى تعبد فيها تلک النار الطبيعية و التى يصاحبها برسمه و برسمدان و برسمچين و الطست ذات الثقوب التسعة و سائر الآلات و الأدوات. بل ان بيت النار هذه ليس لها اسم تدعى به، و كذلک الشيخ الذي بيده بلسم الأدواء ليس ذلک الشيخ ذا الملابس البيضاء و الملثم الذي بيده برسمه يقلب بها النيران و الذي يصرف عمره فى اتفه اشد الأمور خرافة... بل ان الشيخ هنا هو ذلک الولي اوالسالک المرشد، الذي عرفه الايرانى بعد تعرفه على المفاهيم الاسلامية السامية[١٤٤].

أما الذي يعبرعنه پور داود بشيخ المغان فقد مضت قرون قد طرده فيها الايرانى من ايران. و أخطأت اذ قلت: ان يد الايرانى لا تصل اليوم الى حجر اولئك الشيوخ المجوس بل ان ايدى هؤلاء الشيوخ المجوس لا تصل الى حجر ايران و الايرانيين. و لوكانت الايدى لا تصل اليهم فان يدى پور داود تصل اليهم قطعاً، و كان يتنعم طوال سنين مديدة بأموال اولئک

---

١٤٤ ــ للولىّ معنيان: ولىّ من الوَلاية (بالفتح) بمعنى المودة و المحبة، و منه هذا الاصطلاح الذي يراد منه اولياء الله اي احباؤه و المقربون لديه. و ولىّ من الوِلاية (بالكسر) الذي يراد منه عند الشيعة: أن الله جعل ولاية أُمور الدين و الدنيا بعد الرسل و الانبياء بيد اوصيائهم اولياء الله و حججه على عباده. و المصطلح الاول هو المعنى المرادهنا.

والسالک: اسم فاعل من السلوک، اي الذي قد سلک سبيلا يسيرفيه، و يصطلح اطلاق هذا الاسم ــ عند الصوفية و العرفاء ــ على الذي قد سلک سبيلاً يقتدى فيه بالمرشد.

والمرشد: اسم فاعل من الارشاد، و يصطلح اطلاقه ــ عند الصوفية و العرفاء ــ على شخص يشرف على عدد من السالكين يرشدهم الى كيفية سلوک السبيل الى صفاء النفس و تزكيتها.

و هذه المصطلحات ــ كما قلنا ــ مصطلحات صوفية لانجدها فى القرآن و الحديث ولا عند علماء الشريعة و الفقه و العقيدة، بل هى فى اصولها مقتبسة من الرهبانية المسيحية و البوذية، وقدورد ذم الصوفية واعمالهم فى بعض الروايات و الأحاديث عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وللأ ستاذ الشهيد الشيخ المطهرى (قده) رأيه فى الموضوع. ــ المعرب.

الذين نهبوا اموال الهنود الفقراء بالمساومة مع الاستعمار البريطاني، و كان يطعن هذه الأُمة الشريفة من خلفها يريد أن يردّ ايديها الى الاغلال التليدة البالية: بيوت النار و برسمه و برسمچين و هومه و غيرها...

و آسف أن الدكتور المعين كان قد تأثر بالدكتور پور داود، فأخذ يعقب اهدافه و احياناً يحطّ من شأن الاسلام للدفاع عن الزرداشتية... بينما كنت اجده غير بعيد عن الضمير و الوجدان بل و الايمان و اصول الإسلام.

يبحث هذا الدكتور المعين في ص ٧٦ من كتابه حول حقيقة وجود زرادشت و اسطوريته و يقول: «و قد ابدى بعض العلماء مثل هوسينگ رأيه في زرداشت يقول: انه شخصية اسطورية تماماً مثل رستم و زال و اسفنديار».

ثم يقول: «ولا يخفى أن هذه النظرية ــ اي التشكيك في حقيقة وجود هذا الشخص ــ ابديت من قبل مختلف الاوساط في كل فرد من افراد الأنبياء و الرسل و أئمة الدين» و يعلق في الهامش يقول: «حتى حول عيسى و محمد» صلى الله عليه و آله و سلم!

عجيب أن يقيس مسلم يدعي الإسلام وجود الرسول المقدس بوجود زرادشت، او يقيس فرضية علمية لعالم محقق بشأن زرادشت بما قاله او يقوله شخص مزعوم بشأن رسول الإسلام للوقيعة بالمسلمين!.

و يبحث في ص ٢٧٣ حول قداسة النيران فيقول: «للنار في الأديان الآرية كالبرهمية و الزرادشتية، والاديان السامية كاليهودية و المسيحية و الإسلام، و حتى بين الافريقيين عبّاد الاصنام... للنار في هذه الاديان جميعها اهمية خاصة».

و أنا لا أدري اين وجد هذا الرجل للنار حرمة في الإسلام و هو رجل صاحب قلم و كتاب و قد ترعرع في اسرة مسلمة اصيلة في الاسلام. انما الذي في القرآن هو: أن الجن و الشياطين مخلوقين من النار، و أن الانسان من التراب، و أن الانسان الترابي تقرب الى الله و أن الشيطان ابعد عن قرب الله سبحانه.

و في ص ٤١٥ بصدد الكلام بشأن ما يدعى «فرّة ايزدي» يقول: «ان فرّة ايزدي كما في «زاميادیشت» نور رباني اذا اصاب شخصاً تسامى في حياته، فالذي يصل الى الملوكية هو الذي أصابه هذا النور و بذلك يستحق التاج و العرش، و يصبح عادلاً قائماً بالقسط! وناجحاً في اموره، و ان التكامل النفسي و الروحي يكون من هذا النور، و ان النبوة و الرسالة ايضاً من هذا النور»!.

و يقول في ص ٤٢٠: «كانوا يتصورون فرّ ايزدي كما في اوستا زاميادیشت البنود: ٣٣ و ٤٠ بصورة طير أو عقاب» ثم نقل في هامش نفس هذه الصفحة تلك القصة التي ذكرناها قبل هذا في أن فرايزدي كان يطارد اردشير بصورة خروف!.

و هو فى ص ٤١٥ يحاول تطبيق مفهوم «فرايزدى» على مفهوم كلمة «السلطان» فى القرآن الكريم، فى محاولة لتوجيه هذه الخرافة الزرداشتية فى حين لا تناسب بين هذين المفهومين ابداً؛ اذ «السلطان» فى القرآن الكريم يعنى: «السلطة و القدرة» او «الدليل و الحجة» التى هى سبيل الى القدرة و الغلبة على الخصم، و قد استعمل القرآن هذا المفهوم فى سلطة الشيطان على الانسان فقال: «انما سلطانه على الذين يتولونه»[١٤٥] و هكذا فى سلطان الانسان على عمله فقال: «و من قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف فى القتل»[١٤٦] و لا رابطة بين هذا المفهوم و مفهوم «فرايزدى» الذي يقولون عنه أحياناً: انه نور ربانى يقذفه الله فى قلب من يشاء فيصل به الى النبوة او الملك، و أحياناً يصورون هذا النور بصورة خروف أو عُقاب!

ألم يكن من الأحسن أن يكتفى الدكتور المعين بالادب الزرداشتى من دون التدخل فى الأدب القرآنى؟!.

و يصر الدكتور المعين على أن يثبت أن الزرداشتيين لايعبدون النيران، وانماهم يجعلونها قبلة لعبادتهم كما تكون الكعبة للمسلمين. فى حين يعلم الله و يعلم هو و غيره: أنه ليس هناك فى المسلمين من يعظم الكعبة لنفسها حينما يقف اليها للصلاة ولايستعين بها ولايقول لها بقدرة غيرطبيعية وغيبية، بل ان المسلم حينما يصلى يقف الى الكعبة و لكنه يتوجه بها الى ربه سبحانه لا اليها، و هو يناجى ربه فى صلاته اذ يقول: «اياك نعبد و اياك نستعين» و ان وقوفه الى الكعبة فى نظره ليس الا واجباً من الواجبات كطهارة الملابس و طهارة الوضوء و الغسل، اي أنه يرى وقوفه اليها أدباً من آداب الصلاة الواجبة لاهدفاً من أهدافها. بينما الآداب الزرداشتية حين وقوفهم الى النيران ليست الا تقديساً و تعظيماً لنفس النار مع الاعتقاد بآثارها الغيبية غير الطبيعية و أسف أن الدكتور المعين تبعاً للدكتورپورداود يحاول فى فصل بعنوان «مى مغانه» أن يرى أن كل ماجاء من التعبير بكلمات «مى» و «مغ» و غيرها هى كناية عن علاقة الشعراء الايرانيين بالمراسم و الآداب الزرداشتية القديمة، جاء فى هذا الفصل بقسم من ترجيعات «هاتف الاصفهانى» فى «التوحيد و وحدة الوجود» و هو يؤشر على الكلمات التى يراها شارة على علاقة الشاعر بالمراسيم الزرداشتية القديمة بخطوط سوداء، منها قوله: «أنا من اسلامى فى خجل»!.

بينما يعلم الدكتور المعين جيداً: أن للشعراء العرفاء مصطلحات خاصة يقابلون بها المرائين و المتظاهرين بالدين، فحينما يخطئون الزهد مثلاً او حتى الاسلام (!) انما ينظرون

١٤٥ ــ سورة النحل: ١٠٠.

١٤٦ ــ سورة الاسراء: ٣٣.

بذلک الى الزهد و الاسلام الکاذب الذی لایزال فی کل زمان سداً فی طریق الاسلام الصادق. و لذلک فنحن نجد من هذه التعبیرات حتی لدی الشعراء الروحانیین بل المجتهدین المتشرعین کالشیخ البهائی العاملی المهاجر الی ایران، و الحاج المولی أحمد النراقی، و المیرزا محمدتقی الشیرازي و الحاج میرزا حبیب الرضوی الخراسانی و الحاج الشیخ محمد حسین الاصفهاني والسید العلامة الطباطبائی. فأین هذا عن مدعی پور داود و الدکتور المعین؟!.

و یصرح نفس الهاتف الاصفهانی الذي یستشهد الدکتور المعین بترجیعاته التوحیدیة فی نفس هذه القصیدة: بأن العارفین یقصدون من هذه التعبیرات معانی اخری، و أنه لاینبغي أن تحمل هذه الکلمات علی مفاهیمها الظاهرة، اذ یقول:

«یا هاتف! ان ارباب المعارف..
الذین یدعون سکرانین و أحیاناً عارفین..
انما یقصدون من الدف و المطرب و الصنج و الساقی..
و من المدام و الجام والساقی و الصلیب..
اسراراً..
یصحرون عنها بالایماء».

فکیف یمکننا مع هذا التصریح أن نحمل کلمات نفس هذا الشاعر العارف علی معانیها الظاهرة؟![147]

---

١٤٧ ــ استشهد هنا الشیخ المطهری بابیات من الشعر العرفانی للشیخ البهائی والشیخ النراقی، ونحن نترجم معانیها هنا بایجاز أما الشیخ البهائی فیقول:

«لقد خسرنا الدین والدنیا بنظرة واحدة ونحن مع ذلک فرحون.
اجل هذا من قمار الحب ولیس فی قمار الحبّ ندامة...
نعم آنا أسجد الی صنم، فلا تهدنی طریق المساجد....
انا کافر بسبب الغرام، فاین أنا عن الاسلام؟!
نحن لانقصد من حبنا للحبیب سوی نفس الحبیب.
فلتکن الجنان والحورلك آیها الزاهد بسخاء!
رأیت فی حانوت الخمر زاهداً قد احمر وجهه من الخمرة..
قلت له: بارک الله فیک! أمسلم أنت أم ارمنی؟
عمرّ قلوبنا بکرمک، قبل آن تنهدم هذه القلوب».

و یقول الشیخ النراقی من علماء القرن الثالث عشر الهجری، وهو یتکنی فی شعره بلقب «صفائی»:

«طوبی لمن خسر رأسه فی طریق حبه اوفدی نفسه..
لقد فتحوا بوجهی باب حانوت الخمر عسی آن یدعونی رجل من الخمارین..
ولکّنی لما اصبحت من مریدي الخمارین قضیت عباداتی السابقة».

اضف الى ذلک: أن هذه المصطلحات و التعبيرات المجازية لا تنحصر فى اطار المصطلحات الزرادشتية من المدام و بيوت النار و شيخ المغان، بل قد جاء هؤلاء الشعراء العرفاء فى شعرهم بكلمات من قبيل: الصنم، و المسيحى، والصليب، و الشطرنج، و النرد و غيرها أيضاً بكثرة، فهل يمكننا أن نحسب هذه الكلمات شارات عن علاقة هؤلاء بعبادة الاصنام او المسيحية او لعب القمار و الشطرنج؟!

اجل: استدل احد الكتاب المصابين بهذه الافكار ببيت شعر من حافظ يقول:

«كان البلبل أمس البارحة يقرأ المقامات المعنوية على منارة فهلوية»

على أحاسيسه القومية، و أن الشاعر قدابدى بهذا أنه قد تذكر الماضى حيث لم يكن الاسلام قد اتى الى ايران، و كانت اللغة الفهلوية اللغة الرسمية والدين الزرادشتى هوالدين الرسمى للدولة فى ايران، و أنه قد ابدى بهذا البيت ميله الى المراسيم والسنن للدين السائد فى وطنه قبل دخول الاسلام!.

و كان قد أجابه كاتب آخر مادىّ[١٤٨] يقول:

«لوكان كذلک فالبيت التالي جيث يقول فيه:

«كان يقول: ان نار موسى ابدت وقودها مرة اخرىٰ.. فات كي تسمع من الشجر مقال التوحيد» يكون دليلاً على علاقة الشاعر باليهودية أيضاً! و البيت الآخر له فى نفس هذه القصيدة حيث يقول:

«واسمع من حظنا الساقط هذه القصة:
أن الحبيب قدقتلنا بأنفاسه المسيحية»
يكون دليلاً على علاقة الشاعر بالمسيحية»!

← و يقول أيضاً:

«مادام غلمان الدير يقيمون فيه فلى فيه مقام..
«قل لى أيها الواعظ اين من القرآن تلک الآية التى تحرم الغرام؟!
وفى اي دين يحرم الخمر الذي يهدينى الى حبيبي؟!
لقد قلنا عن العشق وقالوا.. والكلام عنه بَعدُلم يتم.
ومن بيتنا الى بيت الغرام طريق قصير ليس الا خطوة اوخطوتين!
وانماذهب «الصفائى» الى حانوت الخمر لأن المدارس اصبحت منازل العوام»!
هذا وهوقد كان صاحب مدرسة دينية وحوزة علمية، ومع ذلك يقول:
«اتعجب لماذا يبنون المدارس بينما هم يستطيعون أن يبنوا حوانيت الخمور»؟*

* أما ماهوالداعى الى هذه الكنايات عن المقدسات بأسماء المحرمات فى الإسلام؟ فهو أمر عهدته على مرتكبيه وقائليه... وليت شعرى، وليتنى كنت ادري ــ المترجم.

١٤٨ ــ الدكتور حسين الارانى فى كراسته بالفارسية: عرفان واصول مادّى.

اجل، لاشك فى أن هذه التعبيرات والمصطلحات رموز عن سلسلة من المعانى العرفانية، ولا ربط لها بعلاقة قائلها بأديان الزرادشتية أو المسيحية او اليهودية...

و من هؤلاء شمس الدين المغربى الشاعر العارف من القرن التاسع الهجرى، وهوممن يستعمل فى شعره العرفانى كثيراً من هذه المصطلحات، يقول فى ديباجة ديوانه:

« انت اذا رأيت فى هذا الديوان من الشعر:
كلمات: الخرابات و الخراباتى و الخمار...
والصنم و الصليب والمسبحة ...
و المغ و المسيحى و المجوسى و الدير...
والمدام و الساقى و الشمع والايوان...
وصيحة السكر و البر بط و نعرات السكارىٰ...
و حانوت الخمر... و المناجات...
و صوت المزمار... والارغنون...
والصبوح والمجلس والكأس المتتالي...
والدّن والكأس و دنان الخمار...
والمسابقة فى شرب المدام...
والسبق الى حانوت الخمار من المساجد...
والمبيت فى بيت الخمار...
و رهن الكأس عندِ الخمار لشراء الخمر...
بل و رهن الروح عليها...
والورد و الازهار والحديقة...
و أحاديث الندى والمطر والضباب...
والخط والخال و القد والحواجب..
والعذار والعارض و خصال الشعر...
و الشفاه و الأسنان و العيون السكرىٰ...
و الرأس والأقدام والخصر واليد والاصابع...
فلا تجزع من هذا المقال...
بل ادرک المقصود من هذا المقال...
اذا كنت من ار باب الاشارات...
فلا تجمد على ظاهر العبارات...

دقق النظر كى ترى دقيقاً...
و اعبر من القشر كى ترى اللباب...
و ان لم تعبر من هذه الظواهر...
فكيف تكون من ارباب السرائر..
فلكل من هذه الالفاظ روح
و بكل روح من هذه الكلمات عوالم من المعنى.
فاعبر أنت جسم الكلم الى ارواحها
و كن مفتشاً عن المسمى واعبر الاسماء.
ولا تترك شيئاً من دقائق هذه المعانى..
كى تصبح من أرباب الحقائق».

اضف الى ذلك: أن هذه التعبيرات لاتختص بالشعراء الايرانيين، بل الشعراء الفارسيين الهنود، والشعراء العرب من قبيل: ابن الفارض المصرى ومحيى الدين العربى الاندلسى، لهم من هذه التعبيرات و المصطلحات أيضاً، فهل يمكن لعاقل أن يقول: ان تعابير هؤلاء بالمدامة و غيرها أيضاً مما يذكّر بعلاقتهم بمراسيم الزرادشتيين؟!

اضف الى ذلك كله: أن تشبيه الخواطر القلبية و المعارف المفاضة الالهامية و البهجة الحاصلة منها بالشراب قد ورد فى القرآن و نهج البلاغة؛ أما القرآن الكريم فيقول فى سورة الدهر: «وسقاهم ربهم شراباً طهوراً» اي ان ربّ الابرار سيرويهم بشراب طهور يقطعه عما سواه و يوصله الى الله[١٤٩]. و يصف الامام أميرالمؤمنين عليه السلام أناساً يقول فيهم كما فى نهج البلاغة: «و يغبقون كأس الحكمة بعد الصبوح»[١٥٠] اى انهم يشربون كأساً من الحكمة فى الصباح و كأساً آخر منها فى المساء، و الصبوح: الخمر فى الصباح، و الغبوق: الخمر فى

١٤٩ ــ الشراب فى اللغة: مايشرب، وليس معناه الخمر اوالمدام، فاين هذا عما يقصده الاستاذ الشهيد (قده)؟ أما قوله: «يقطعه عماسواه و يوصله الى الله» فالقطع عما سوى الله و وصله من مصطلحات الصوفية والعرفاء وان جاء فى بعض الروايات والادعية بمعنى الانقطاع عن قصد ماسوى الله شركاً ورياءاً والوصل بمعنى الارتباط به فى القصد والعمل او بمعنى لقائه يوم القيامة. وهذا الشراب الطهور للابرار فى الجنة، فما معنى القطع عن غيره والوصل به فى الجنة؟! ــ المعرب

١٥٠ ــ نهج البلاغة ج١ ص٢٠٨ ــ الصالح اقول: ان قياس المؤلف تكنية العرفاء عن المعارف الاسلامية بأسماء المحرمات فى الاسلام على هذه الكلمة للامام عليه السلام ــ على فرض صحة السند ــ قياس مع الفارق، فان الامام عليه السلام فى كلمته هذه الوحيدة بين جميع خطبه وكلماته اضاف الكلمتين الى الحكمة فأخرجهما بذلك عن معناهما الظاهر وجعلهمامن التشبيه الصريح، أما العرفاء فيالليتهم كانوا يفعلون هكذا، و يا ليتهم لم يكونوايجعلون هذه التكنية مصطلحاً لهم لاينطقون الابها.

المساء[١٥١] فما ذا يرتأى هنا الدكتور المعين؟ هل يحسب كل هذه الكلمات علامة عن علاقة قائليها بالآداب والمراسيم الزرادشتية القديمة؟!

و ينقل الدكتور المعين فى ص ١٣ من كتابه كلام السيرجان ملكم الانجليزي البريطانى المستشرق الاستعمارى المغرض اذ يقول: «ان أتباع النبى العربى (!) حطموا مدن ايران و ساووها مع التراب، احرقوا بيوت النيران بنيرانها، و قتلوا الموابدة بسيوفهم، و افنوا الكتب و من كان عنده شيء منها؛ اذ كانوا يرون الموابدة مجوساً سحرة، و كتبهم كتب سحر و كهانة»!

ان الدكتور المعين مطلع على مصادر تاريخ الإسلام اكثر من السيرجان ملكم، و هو يعلم حقاً أن هذه الاراجيف من صنع شخص السيرجان ملكم، و أنها لا توجد فى اي مصدر للتاريخ! فمن المؤسف حقاً أن ينقل مع ذلک هذه الكلمات التى لا يخفى على احد سوء أثرها فى ايجاد النظرة السيئة الى الاسلام لدى الشباب غير المطلع على تاريخ الإسلام و ايران.

و يحاول الدكتور المعين فى ص ٢٢ أن يتظلم للمجوس فى العهد الإسلامى فيقول: «.. أما الطائفة الاخرى التى بقيت بوطنها ايران محتفظة بدينها المزدينا؛ فانها اضطرت الى ان تتحمل السيرة الخشنة للامة المتغلبة عليها، بل و حتى من مواطنيها المسلمين، فاضحت محتقرة مهانة، و مضطرة الى أن تخفي عقائدها و دينها القديم، دين آبائها وأجدادها، فلم تكن لها الحرية فى اجراء مراسيم هذا الدين، و كانت تقضى حياتها مُرَّةً». يقول مؤلف تاريخ سيستان: ان زيادبن ابيه عزل ربيع عن سيستان و ولى عليها عبدالله بن أبى بكرة عام ٥١ هجرية، و أمره ان: اذا صرت الى سيستان فاقتل جميع الهرابدة و انبذنار المجوس.» فلما اتى الى سيستان على هذا العهد، و عزم مجوس سيستان و الدهاقين أن يعصوا الوالى فيما يامرهم به من هذا».

و يكتفى الدكتور المعين من هذه القصة بهذه القطعة ثم لاينقل بقيتها، و يستشهد هو بها على مدعاه بأن المجوس لم تكن لهم الحرية لاجراء مراسيم دينهم، و أنهم كانوا يضطرون الى اخفاء عقائدهم و دينهم دين آبائهم و أجدادهم!.

اجل نقل الدكتور بنفسه بقية هذه القصة فى موضع آخر يقول: «.. و خالف مسلمو سيستان امر زياد هذا و قالوا: ان هذا الامر على خلاف سيرة رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم و الخلفاء الراشدين، و التعاليم الاسلامية. فراجعوا الخليفة فى الشام فاجاب: ان المجوس معاهدون، و ان انفسهم و أموالهم محترمة لدينا، و لا يحق لاحد التعرض لها»!

و ينقل الدكتور المعين فى موضع آخر من كتابه عن نفس تاريخ سيستان يقول: «فى سنة ٤٦ هجرية (اي قبل هذه القضية بخمس سنين) جاء الى سيستان ربيع الحارثى والياً،

١٥١ ــ مجمع البحرين، مادة صبح.

فأحسن السيرة، و أمر المسلمين أن يتعلموا القرآن و تفسيره و العلم، و أخذ بالعدل، حتى اسلم كثير من المجوس من حسن سيرته»!.

اجل هكذا كان حال الزرادشتيين على عهد الخلفاء و معاوية و فى حكومة الربيع الحارثى، و حينما يأمر زياد بن أبيه بالظلم يقابل برد فعل شديد من المسلمين، و حينما يرى الخليفة الظالم معاوية ردّ فعل المسلمين ينقض حكم عامله و يؤيد نظر المسلمين.

و على هذا فلا مجال لبكاء الدكتور على اكراه المجوس و اضطرارهم الى اخفاء دينهم، و لماذا يستشهد الدكتور لذلك بنقل قسم من قطعة تاريخية و يترك بقيته؟!.

لسنا ننكر نحن ظلم الأمويين، و لكنا نقول: ان هذه المظالم بالنسبة الى ما كان يراه الايرانيون من حكامهم قبل الاسلام لم تكن شيئاً يذكر. ثم ان الامويين كانوا قدوجهوا حدّة سيوفهم الى صوب آل على عليهم السلام الذين كانوا يرونهم المنافسين لهم فى الأمر و يحسون بالخطر الشديد من ناحيتهم، و كان المجوس فى هذه الحكومة احسن حالاً من اتباع اهل البيت عليهم السلام قطعاً.

من المؤكّد أن سياسة الامويين كانت سياسة عنصرية و أن حكومتهم كانت حكومة قومية عربية لا اسلامية، فانهم كانوا يفرقون فى حكمهم بين العرب و غيرهم. الا أن هذا التفريق كان بين العرب و غيرهم حتى بين المسلمين منهم، و لم يكن يدخل فى ذلك الدين، بل كان المجوس آمنين ما زالوا يعملون بشرائط معاهدة الذمة.

و كان للمجوس الحرية الكاملة على عهد العباسيين، و كانوا يجادلون ائمة المسلمين و علمائهم حول الاسلام و المجوسية. و قد نقلنا فى القسم الاول من هذا الكتاب: أن اسلام اكثر الفرس و ترك بيوت النار و بناء المساجد بمكانها كان على عهد قد استقل فيه الايرانيون سياسياً.

و قد كتب پ. ژ. مناشه فى مقال بعنوان «مقاومة الزرادشتية» فى كتاب «تمدن ايرانى» يقول: «ان انقراض الدولة الساسانية على يد العرب المسلمين لم يصبح سبباً فى اخفاق الروح الايرانية، و لا فى ازالة الدين الزرادشتى بصورة قطعية. بل ان الايرانيين نقلوا الى الإسلام بقايا حضارة لطيفة، و نفخ هذا الدين فيها روحا جديدة. ان الفرس لم يسلموا دفعة واحدة، و لانستطيع أن نغض الطرف عن مقاومة دين زرادشت للاسلام».

ثم يبحث پ. ژ. مناشه فى أن المسلمين كانوا يعدون المجوس من أهل الكتاب، ثم يقول: «ان المؤرخين العرب ــ الذين هم المصدر الاساس لما نحن بصدده ــ يذكرون لنا أسماء بلدان متعددة كانت فيها بيوت نيران حتى القرن الثالث و الرابع الهجريين. و اذا كانت بيوت النار باقية فلا بدأن يكون قد بقى لها رجال للمراسيم الدينية. بل ان حياة المجوس

نستوجب بقاء رجال روحانيين يعلمونهم اصول دينهم وقوانينهم. ولهذا فقد بقيت الطبقات المجوسية، وسنرى أن نظام الطبقات هذا اثر كثيراً في المجوس والذين كانوا على شك في البقاء على دينهم او الاسلام. وقد بدأ رجال زرادشت في القرن الثالث الهجرى بمجادلات كلامية لفظية وكتابية».

النظام الاجتماعي:

من أجل أن نرى مدى تأثير الإسلام في ايران، يجب علينا أن ننظر في النظام الاجتماعي الايراني يومذاك الذي غيّره الإسلام وسادبنظامه في ايران بدلاً من ذلك النظام.

ان مجتمع ايران الساساني كان مجتمعاً طبقياً صنفياً، تجرى فيه اصول النظام الطبقي على اشد الوجوه. ولم يكن الساسانيون هم الذين اخترعوا هذا النظام الطبقي، بل كان جارياً في ايران منذ عهد الهخامنشيّين والاشكانيّين[١٥٢] وانما ايّده السّاسانيون.

كتب المسعودى في «مروج الذهب» يقول: «ورتب اردشير المراتب فجعلها سبعة افواج»[١٥٣]

وكتب في كتابه «التنبيه والاشراف» يقول: «وكانت للفرس مراتب: اعظمها خمس، هم وسائط بين الملك وسائر رعيته، فأولها وأعلاها «الموبد»... والثاني الوزير... والثالث: الاسپهبد ... والرابع: دبيربد... والخامس هوبخشه بد... وكان هؤلاء المدبرين للملك والقوام به والوسائط بين الملك ورعيته.. وللفرس كتاب يقال له «گهنامه» فيه مراتب مملكة فارس وأنها ستمائة مرتبة على حسب ترتيبهم لها وهذا الكتاب من جملة «آئين نامه» وتفسيره: كتاب الرسوم، وهو عظيم في الالوف من الاوراق»[١٥٤].

ونقرأ في كامل ابن الأثير: «فلما اصبح رستم من تلك الليلة ركب.. حتى اتى على منقطع عسكر المسلمين، ثم صعد حتى انتهى الى القنطرة، ووقف على موضع يشرف منه فتأمل المسلمين، وارسل الى زهرة [بن عبدالله] فواقفه واراده على أن يصالحه ويجعل له جُعْلاً على أن ينصرفوا عنه، من غير أن يصرح له بذلك، بل يقول له: كنتم جيراننا وكنا نحسن اليكم ونحفظكم... ويخبّره عن صنيعهم مع العرب...

---

١٥٢ ــ يراجع: تاريخ ايران باستان ــ لمشيرالدولة. ط القطع الصغير ج٦ ص١٥٠٠ وج٩ ص٢٨٤ وتاريخ ايران لمشيرالدولة أيضاً ص١٦ و١٢٣ و ٢٤٠.

١٥٣ ــ مروج الذهب للمسعودى ج ١ ص٢٥٤.

١٥٤ ــ التنبيه والاشراف للمسعودى ص٩١ ط: مصر ١٣٥٧هـ.

فقال له زهرة: «ليس أمرنا أمر اولئك! انا لم نأتكم لطلب الدنيا، انما طلبتنا و همتنا الآخرة. و قد كنا كما ذكرت الى أن بعث الله فينا رسولاً، فدعانا الى ربّه فأجبناه، فقال لرسوله: انى سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بدينى، فأنا منتقم به منهم، و اجعل لهم الغلبة ماداموا مقرين به. و هودين الحق لا يرغب عنه احد الاّ ذل ولايعتصم به احد الاّ عزّ»

فقال له رستم: ماهو؟

قال: اما عموده الذي لا يصلح الاّ به: فشهادة أن لا إله إلا الله، و أن محمداً رسول الله. قال: و أيّ شيء ايضاً؟ قال: و إخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله، و الناس بنو آدم و حوّاء اخوة لاب وام! قال: ما أحسن هذا؟ ثم قال: أرأيت ان اجبت الى هذا و معى قومي كيف يكون أمركم أترجعون؟ قال: اي والله! قال: صدقتنى؛ أما إنّ أهل فارس منذ ولى أردشير لم يدعوا أحداً يخرج من عمله من السِّفلة، كانوا يقولون: انهم اذا خرجوا من أعمالهم تعدوا طورهم وعادوا أشرافهم.

فقال زهرة: «نحن خير الناس للناس، فلا نستطيع أن نكون كما تقولون، بل نطيع الله فى السِّفلة، و لا يضرنا من عصى الله فينا».

فانصرف [رستم] عنه ثم دعا رجال فارس فذاكرهم هذا فأنفوا»[١٥٥].

و يتفق المحققون و المؤرخون الغربيون ــ الذين توصلوا الى المصادر التاريخية المختلفة من يونانية و رومية و سريانية و ارمنية و عربية، و الذين ساعدتهم الحفريات الأخيرة مساعدة عظيمة فى كشف الحقائق التاريخية ــ يتفقون على أن النظام الطبقي الايرانى له سوابق تاريخية قديمة. و يبحث فى هذا الموضوع كريستن سن ــ الذي كان قد توصل الى جميع هذه المصادر و عمل فى تاريخ ايران على عهد الساسانيين ثلاثين عاماً ــ فى مقدمة كتابه[١٥٦] و فى الفصل الثانى منه أيضاً[١٥٧] بحثاً مفصلاً، على الطالبين مراجعته.

و يدعى كريستن سن: أن ما اصطلح عليه المؤرخون المسلمون العرب بعنوان «العظماء» و «الاشراف» و «أهل البيوتات» مما يطلقونه على شخصيات ذلك العهد او الادوار التالية، انما هو ترجمة ادبية لكلمات فهلوية هى: «واسپوهران» و «بزرگان» و «ازاذان»[١٥٨]. و سنخص نحن بحثنا هذا بشيء من التفصيل فى فصل «الانظمة الاجتماعية الايرانية الساسانية» بالاستفادة من تحقيقات كريستن سن و آخرين.

---

١٥٥ ــ الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج٢ ص٤٦٢ ط بيروت ١٣٨٥ هـ.

١٥٦ ــ صفحات: ٢٩ ــ ٣٦ من الترجمة الفارسية.

١٥٧ ــ صفحات: ١١٧ ــ ١٦١ من الترجمة الفارسية.

١٥٨ ــ ايران در زمان ساسانيان ص٣٣٩ ــ ٣٤١.

و يبحث كريستن سن فى الفصل السابع من كتابه بعنوان «النهضة المزدكية» فى الحقوق المدنية و الاجتماعية و الاسرة و نظام الطبقات فى ايران، فيقول:

«ان المجتمع الايرانى كان قائماً على دعامتين: الدم، والمال. فقد كانت هناك حدود متينة جداً تفصل النجباء و الأشراف عن عوام الناس، على ما فى رسالة «تنسر» و كان يمتاز هؤلاء باللباس و المركب و البيت و البستان و النسوان و الخدم و الحشم و... و كان للطبقات من حيث المراتب الاجتماعية درجات داخلية أيضاً، فكان لكل شخص فى المجتمع مقام ثابت لايتغيّر. و كان من القواعد السياسية المتينة للساسانيين: أن لاينبغى لأحد أن يطلب درجة هى فوق ماتناسبه من حيث نسبه و حسبه... و كانت قوانين الدولة تحمي طهارة الاعراق والاعراض و العناصر و الدماء فى الاسرو البيوتات، و هى التى تحمي أملاكهم غيرالمنقولة. و نجد فى «فارسنامه» عبارة يظهر أنها مأخوذة عن «آئين نامک» من عهد الساسانيين، تقول هذه العبارة: «كان من عادة ملوک الفرس و الأكاسرة أن يتخذوا ازواجاً من بنات جميع ملوک الأطراف كالصين و الروم و الترک و الهند، و لكنهم لم يعطوهم بنتاً أبداً؛ بل كانوا لايزوّجون البنات إلا من الذين هم من أهل بيتهم.» انهم كانوا يسجلون أسماء الاسر الكبيرة فى دفاتر الحكومة، و كانت الدولة هى التى تتعهد بحفظ هذه الأنساب و البيوتات. و كانوا يمنعون العامة من شراء أموال الأشراف. و مع هذه فقدانقرض بعض اسرالنجباء على مرور الزمن... و كان بين طبقات العامة تفاوت بيّن؛ فقد كان لكل واحد منهم مقام ثابت لايتغيّر؛ فلم يكن يتمكن احدهم من أن يشتغل بحرفة غير ما خلقه الله له!»[١٥٩].

و يقول الاستاذ سعيد نفيسى:

«نحن اذا تجاوزنا الخلافات الدينية و المذهبية؛ وجدنا أن اكثر شيء سبباً لايقاع النفاق فى اوساط الناس فى ايران هو التميز الطبقى الخشن الذى كان قدأقره الساسانيون والذي كان له جذور فى الحضارات الايرانية السابقة أيضاً، الا أن الساسانيين كانوا قد ضيّقوا على الناس بذلک. كان يمتاز بالدرجة الاولى بيوتات سبعة من الأشراف ثم خمس طبقات بعدهم، ثم يحرم عامة الناس من هذه الميزات. فكانت الملكية الكبرى فى انحصار تلک البيوتات السبعة تقريباً. ان ايران على عهد الساسانيين الذي كان يصل من طرف الى نهر جيحون و من طرف آخر الى جبال قوقاز و نهر الفرات، كان يحتوى لامحالة على زهاء مئة و اربعين مليوناً من النسمات، فلو افترضنا عدد كل أُسرة من هذه الاسر السبعة مئة الف كانوا سبعمأة الف فى المجموع، ولو افترضنا عدد الدهاقين و محافظى الحدود ــ الذين كانوا هم أيضاً يتمتعون بحق الملكية المحدودة ــ سبعمأة الف أيضاً؛ كانت النتيجة: أن ميلوناً و نصف تقريباً من مجموع مئة و أربعين مليوناً كان يستحق الملكية فقط و كان يحرم منه غيرهم بتاتاً. فكان لابدّ من أن

١٥٩ ــ ايران در زمان ساسانيان، صفحات ٣٣٩ــ ٣٤١.

يتبع هؤلاء الملايين من الناس المحرومين اى دين جديد يرفع هذه الميزات المحرمة، و يقرر لهم المساواة و المواساة يمنحهم حق الملكية و يحطم نظام الطبقات»[١٦٠]

و قد جاء فى شاهنامة الفردوسى ــ الذي لايأخذ الامن المصادر الزرادشتية و الايرانية فقط ــ قصة معروفة تر ينا بكل وضوح ذلک النظام الطبقى العجيب، و أن طلب العلم أيضاً كان من خصائص الطبقات الممتازة..

حيث يقول: جرّ قيصر جيشا جرّاراً الى الشام وهواذ ذاک فى سلطة انوشيروان، وقابلته جيوش الايرانيين، حتى خلت خزائن ايران على أثر طول المدة. فاستشار انوشيروان من بوذرجمهر و قرّر على أن يقترضوا من التجار... فدعا جماعة من التجار، و كان بينهم رجل بياع الأحذية، فكان ذلک من الطبقات السفلى، تقدم هذا و قال: لامانع لدي من أن ادفع لكم ماتر يدون نقداً و دفعة واحدة... على أن يباح لولدى الوحيد أن يحضر لدى المعلمين، اذ هو يشتاق الى ذلک كثيراً... و قد نظم هذا المعنى يقول:

«قال له الحذّاء: أنا اعطى هذا دفعة واحدة...
اضع شكرى مالاً على رأسى و اقدمه.
قال له الحذاء: يا حسن الوجه (ايها الرسول)!
لا تتألم من كلامى هذا و ابلغه الى بوذرجمهر:
ان لي فى الدهر ولد واحد...
لايقل قدره علي...
فقل له: لوكان ملک العالَم...
يسرني سراً...
أن ادعه لدى ار باب المعارف...
فان له رأسمال العلم و حبّه...
قال الرسول: ليس هذا من الصعب علي...
اذ قصّرت علينا السبيل الى ما نر يد من الذهب...
و جاء بوذرجمهر الى الملک...
و قال: أيها الملک السعيد الجميل المحيّا!
لقد عَنّى علينا حذّاء...
لو يسمع الملک هذا الرجاء....
قال الرسول: ان هذا الرجل يقول:
ــ قرن الله ملک العالم بالعقل ــ

١٦٠ ــ تاريخ اجتماعى ايران ج٢ ص٢٤ ــ ٢٥.

لي ولد واحد قد بلغ مبالغ الرجال،
و هو يفتش عن دليل الى المعارف...
فلو اخذ الملک بيد هذا الولد...
حتى يصبح هذا من الكتّاب....
دعوت اِلٰه الخير له بطول عمره...
و دوام قصره.. حقاً..
قال له الملک: ايها الرجل العاقل..
ما غرّک و اوقحک کی تطلب هذا؟
ان الشيطان هو الذي اوقحک هکذا!
ارجع اليه وارجع له جماله..
و اياک أن تأخذمنه ذهباً و لافضة..
ان ابناء نا اذاجلسواعلى هذا العرش...
کانوا بحاجة الى کتاب سعداء..
فاذا اصبح ابن الکاسب کاتباً..
فتّاناً عالماً عارفاً...
اذا وجد هذا الفن بائع الأحذية..
وهب له عيناً بصيرة و اذناً واعية..
ولم يبق اذ ذاک لاولي الالباب و الاسر..
الا الحسرة و الندامة..
و کان علينا بعد الموت اللعنات..
اذ ان هذا هودين هذا الزمان!.
فارجع الجمال اليه..
و اطلب الذهب ولا تطلبه من الحذّائين..
فرجع الرسول بالمال..
و امتلأ الحذّاء غمّاً من دراهمه هذه»[١٦١].

و يقول کر يستن سن:

«کان الرقيّ من طبقة الى غيرها ممنوعاً بصورة عامة. و احياناً کان يباح؛ و ذلک فيما اذا ابدى احد الرعايا فنّاً خاصاً، و حينئذٍ کان يعرض على الملک، ثم على تجارب الموابدة و الهرابدة و المشاهدات الطويلة.. فاذا رأوه أهلاً لذلک و مستحقاً، ألحق بطبقة اعلى من طبقته

١٦١ ــ شاهنامة الفردوسى ــ فارسى ــ ج٦ ص٢٠٧ ــ ٢٦٠ ط سازمان كتابهاى جيبى.

كمايرون... على مافى رسالة «تنسر»... كان الحال فى المدينة احسن، اذ كان رجال المدن يعفون من الخدمة العسكرية و ان كانوا يدفعون الضرائب كالقرويين، و كانوا يصبحون دوى جاه و اموال من طريق التجارة والصناعة. أما سائر الرعايا فكانوا فى اسوء حال؛ اذ كان عليهم أن يسكنوا القرية دائماً ويخدموا العلم. و يقول اميانوس مارسپلينوس: «كان على هؤلاء أن يطاردوا بين يدى الجنود جماعات جماعات! فكانهم كانوا محكومين بالعبودية ابد العمر بل ابد الدهر، وكانوا مع ذلك محرومين من كل اجر و عطاء» وليس لنا كثير اطلاع عن احوال الرعايا الذين كانوا فى طاعة الاشراف و الملاك... و يقول اميانوس ايضاً: «ان هؤلاء الاشراف كانوا يحسبون انفسهم ذوي الاختيار حتى في نفوس هؤلاء الغلمان من الرعايا». ولم يكن يختلف حال الرعايا مع العبيد بالنسبة الى هؤلاء الأشراف و الملاك... و مع هذا فمن المسلم به أن الحقوق القانونية للزراع كانت تعيّن بكل دقة، و ذلك بالنظر الى الاهمية الخاصة للزراعة فى دين زرادشت و ما لهذا العمل من المبالغة فى الثناء عليه لدى الكتب الزرادشتية المقدسة، فقد كان بعض نسک اوستا تحتوى على احكام و قواعد تخص هذا الموضوع»[١٦٥].

و يقول ايضاً:

«ان ما نستطيع استخراجه من المعلومات عن المجتمع الايرانى القديم من المصادر القديمة ــ و ان كانت ناقصة و متفرقة ــ الا أنها تعرفنا على مجتمع احكم بناؤه الذاتى على العلاقات العتيقة التى كانت ترتبط بالعلاقة العائلية و العشائرية المتينة، فقد كانوا وضعوا القوانين لحماية الاسرة (آلدم = العنصر) و الملكية، و هم كانوا يحاولون أن يحفظوا بهذه القوانين التميز الطبقى مهما امكن»[١٦٢].

و يذكر كريستن سن فى الفصل الثامن من كتابه نماذج و دلائل و قرائن على الحياة الطبقية الخشنة لذلک العهد.[١٦٣]

و وضح طرفاً من هذا الموضوع دومزيل فى مقال بعنوان «الطبقات الاجتماعية لايران القديم»[١٦٤].

و كان للروحانية الدينية و التعليمات العامة التى كانت ترتبط بالاولى اوضاع خاصة.

---

١٦٥ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان، صفحات: ٣٤٣ــ ٣٤٥.

١٦٢ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص٣٥٩.

١٦٣ ــ نفس المصدر ص٣٨٨ و ٣٩٠ و ٤٢٥ و ٤٢٦ و ٥٣٢.

١٦٤ ــ بالفارسية: تمدن ايرانى ص٥١ ــ ٥٦.

يقول الاستاذ سعيد نفيسى:

«كان للروحانيين اذ ذاك التفوق الكامل فى جميع الشؤون الاجتماعية. و كانوا ينقسمون الى ثلاث فرق: الاولى: الموابدة... و كان رئيس الموابدة يعرف بعنوان «موبدان موبد» او بعنوان «موبدموبدان» اي «موبدالموابدة» وكان هذا يسكن فى العاصمة الايرانية، و كان يعتبر الشخص الاول الروحانى للدولة، وكانت له صلاحيات واختيارات غير محدودة... و الطبقة الثانية! هى طبقة الهرابدة، الذين كانت قد اوكلت اليهم وظائف التعليم و التربية، و كان التعليم و التربية مقصورين على اولاد الموابدة و النجباء، و كان تحرم منهما اكثرية الناس! و الطبقة الثالثة بعد الهرابدة: طبقة: أُذربدان، الذين كانوا سدنة و خدام معابد النيران و موقوفاتها، كانت وظيفة هؤلاء ــ أولا ــ حفظ النار المقدسة لبيوت النيران، ثم كنسها و غسلها و ما يحيط بها من الافنية و الابنية و الساحات، و ادارة المراسم الدينية كالصلوات و الحفلات و تطهير المواليد و العرائس والأموات»[١٦٦].

و الموضوع الآخر الذي يرتبط بالبحث عن الانظمة الاجتماعية فى ايران القديم هو نظام حكومة الساسانيين. ان حكم الساسانيين كان حكماً دكتاتورياً إستبدادياً محضاً. انهم كانوا يرون انفسهم من عنصر سماوى! و أنهم مظاهر الله فى الارض! ولم يكونوا يرضون من امتهم باقل من السجود خضوعاً لهم! و كان الناس قد اعتادوا على هذا الأمر! الذين يريدون أن يقرأوا عن هذا الجانب من المجتمع الايرانى القديم فيإمكانهم أن يراجعوا كتب: «تاريخ ادبيات» لادوارد براون ج ١ بترجمة الاستاذ على صالح پاشا[١٦٧] و «تمدن ايرانى» لجمع من المستشرقين بترجمة الدكتور بهنام[١٦٨] و «تاريخ اجتماعي ايران» للاستاذ سعيد نفيسى ج ٢[١٦٩] و لاسيما «ايران در زمان ساسانيان» للمستشرق كريستن سن الدانماركى، بترجمة الاستاذ رشيد الياسمى[١٧٠].

ولا ارى من الضرورى أن أبحث هنا في هذا الموضوع بالتفصيل، و سنبحث فيه فى القسم الثانى: خدمات الايرانيين للاسلام.

---

١٦٦ ــ بالفارسية: تاريخ اجتماعى ايران ج٢ ص٢٥ ــ ٢٦.

١٦٧ ــ صفحات: ١٤٢ و ١٩٢ و ١٩٣.

١٦٨ ــ صفحات: ١٨٩ ــ ١٩٤.

١٦٩ ــ صفحات: ١٦ فمابعد

١٧٠ ــ صفحات: ٤، ١١٢، ١٤٦، ١٧٥، ٢٨٤، ٢٩١، ٣٣٠، ٤٠١، ٤٠٥، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٨٥، ٤٩٦، ٥١٧، ٥٢٨.

نظام الاسرة:

«ان الموضوع الذي كان الموابدة يتصرفون فيه كثيراً بالنسخ و الجرح و التعديل هو موضوع الحقوق الشخصية اوقل قانون الاحوال الشخصية، و لاسيما احكام النكاح و الارث، فانها كانت مهمة و معقدة الى درجة كان الموابدة يتصرفون فيها كيفما يشاؤون، و كان لهم فى هذا الموضوع صلاحيات مخوّلة لم تكن لاي رجال دين من الأديان». [١٧١]

أما تعدد الزوجات فقد كان أمراً شائعاً في العهد الساسانى، وان كان اكثر الزرادشتيين الآن يحاولون انكاره اذ ذاك، الا أنه لامجال لانكاره قطعاً، فقد كتبه كل من كتب عن هذا الموضوع من المؤرخين من هرودوت اليونانى و استرابون فى العصر الهخامنشى و حتى المؤرخين المعاصرين.

فمثلاً هرودوت كتب عن طبقة الاشراف فى العهد الهخامنشى يقول: «لكل واحد منهم عدة نساء دائمات رسميات، و لهم ازواج كثيرة غير معقودات...» [١٧٢].

و كتب استرابون عن نفس هذه الطبقة يقول: «انهم يتزوجون كثيراً، ولهم ازواج كثيرة غير معقودات ايضاً». [١٧٣]

و يقول ژوستن من مؤرخى العهد الأشكانى فى الأشكانيين: «ان كثرة الازواج كان معمولاً لديهم منذ ان توصلوا الى ثروة و قدرة و مكنة ولاسيما الاسرة المالكة، و انما كانت عيشة البداوة الصحراوية تمنعهم من قبل أن يتزوجوا كثيراً». [١٧٤]

بل ان الذي كان شايعاً بين طبقة الاشراف فى ايران القديم كان أمراً اكثر من تعدد الزوجات، فانه لم يكن محدوداً بحدّ كالأربعة او اقل او اكثر، و لا مشروطاً بشرط كالعدالة و تساوى حقوق الازواج او القدرةُ الجنسية اوالمالية، بل كما كان النظام الاجتماعي اذ ذاك نظاما طبقياً كذلك كان نظام العائلة و الاسرة أيضاً:

يقول كريستن سن:

«ان تعدد الزوجات يعتبر هو الأصل فى اساس تشكيل الاسرة فى ايران القديم (لدى الاشراف) و أما عدد الازواج اللاتى كان للرجل أن يتزوج بهن فانه كان منوطاً بقدرته، فالظاهر أنه لم يكن للفقراء و العاديين اكثر من زوجة واحدة بصورة عامة... و كان رئيس

---

١٧١ ــ تاريخ اجتماعى ايران ج٢ ص٣٤.

١٧٢ ــ بالفارسية: تاريخ ايران باستان ج٦ لمشيرالدولة ط جيبى ص١٥٣٥.

١٧٣ ــ تاريخ ايران باستان ج٦ لمشيرالدولة ط جيبى ص١٥٤٣.

١٧٤ ــ بالفارسية: تاريخ ايران باستان ج٩ لمشيرالدولة ط جيبى ص٢٩٣.

العائلة (كدخدا = كدك خداى) يتمتع بحق الرئاسة على الاسرة (سرداری دودمان = سرادر يه دودك) و كانت احدى الزوجات صاحبة حقوق كاملة تدعى (پادشاه زن = زن پادشاهيها) او الزوجة الممتازة، كان ادون منها تلك الزوجة التى تلقب (چاكر زن = زنى چگاريها) او الزوجة الخادمة. وكانت هاتان الزوجتان تختلفان من حيث الحقوق القانونية... فقد كان على الزوج أن ينفق على زوجته الممتازه ويحافظ عليها، و كان لكلّ بنت نفس هذا الحق الى أن تتزوج و كذلك للولد، أما الزوجات الخادمات فانما كان يقبل منهن اولادهن الذكور فقط! و قد عدّوا فى الكتب الفارسية الاخيرة خمسة اقسام للآزواج اذ ذاك، الا أن الظاهر أنه لم يكن فى قوانين الساسانيين اكثر من هذين القسمين الآنفين»[١٧٥].

ولم يكن للبنت حق اختيار الزوج بالاستقلال، بل انما كان هذا الحق لابيها فقط، فان لم يكن ابوها حياً كان هذا الحق ينتقل الى شخص آخر من نفس الاسرة، فالأُم اوّلاً،وان لم تكن فأحد الاعمام أو الأخوال»[١٧٦].

و كان للزوج حق الولاية على اموال الزوجة، و لم يكن يحق للزوجة أن تتصرف فى اموالها بدون اذن زوجها، بل ان القانون لم يكن يعترف بالشخصية القانونية الحقوقية الا للزوج فقط[١٧٧] و كان للزوج أن يشرك زوجته فى اموره و أمواله بمقتضى سند قانونى، فبمقتضى هذا السند كانت الزوجة تصبح شريكة فى اموال الزوج وكان لها حينئذٍ ان تتصرف فيها كزوجها، و بهذه الكيفية فقط كانت الزوجة تستطيع أن تعقد معاملة صحيحة مع شخص آخر غير زوجها[١٧٨].

اذا كان الزوج يقول لزوجته: اذهبي فاختارى لنفسك فانت حرة، لم تكن تطلق الزوجة بهذا بل كانت تؤذن بهذا أن تختار لنفسها زوجاً آخر كى تكون له زوجة خادمة (چاكر زن) فاذا ولدت بعد زواجها الجديد فى حياة زوجها السابق كان الاولاد لزوجها الاول، اي كانت الزوجة تبقى تابعة لزوجها الاول قانونياً و دينياً.[١٧٩]

و كان يحق للزوج أن يعير لرجل احدى زوجاته حتى زوجته الممتازة من دون أن تكون مقصرة فى حقه شيئاً، كى يستفيد هذا الرجل من خدماتها، و لم يكن يعتبر فى هذا رضا الزوجة. و لم يكن لهذا الزوج الثانى أن يتصرف فى اموال هذه الزوجة، والاولاد بعد هذا الزواج كانوا للزوج الاول... و كانوا يرون هذا من اعمال البر و الخير و الاحسان الى اخ فى

---

١٧٥ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص٣٤٦ ــ ٣٤٧.

١٧٦ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص٣٥١ و تاريخ اجتماعى ايران ج٢ ص٤٤.

١٧٧ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص٣٥٢ و تاريخ اجتماعى ايران ج٢ ص٤٦.

١٧٨ ــ بالفارسية ايران در زمان ساسانيان ص٣٥٢ و تاريخ اجتماعى ايران ج٢ ص٤٦.

١٧٩ ــ بالفارسية ايران در زمان ساسانيان ص٣٥٣.

الدين فقير.[١٨٠]

و يقول كريستن سن:

«...ومن خصائص الفقه الساسانى: زواج الإبدال، الذي شرحه تنسر فى رسالته و نجد تفصيله فى كتاب «الهند» للبيرونى اخذه عن ترجمة ابن المقفّع مباشرة، و هو: انه «اذا مات الرجل و لم يخلف ولداً فلينظروا فان كانت له امرأة زوجوها من أقرب عصبة باسمه، و ان لم يكن له امرأة فابنة المتوفى اوذات قرابته، فان لم توجد خطبوا على العصبة من مال المتوفى، فما كان من ولد فهوله(!) و من اغفل فقد قتل مالايُحصىٰ من الانفس، لانه قطع نسل المتوفى و ذكره الى آخر الدهر»[١٨١].

و كان من احكام الارث: أن ترث الزوجة و اولادها الذكور بالتساوي، و أن يعطى للبنات غير المتزوجات نصف سهم الذكران، و الزوجة الخادمة لم تكن ترث شيئاً و كان يحق للرجل أن يهب لاحدهم فى حياته شيئاً او يوصى له بشى[١٨٢]

ثم ينقل كريستن سن شرحاً مفصلاً عن الاولاد الأدعياء الذين كانوا مورد الاهتمام اذ ذاك للمنع عن انقطاع ذكر الأُسر[١٨٣] ونبتعدنحن عن ذكره خوف الإطالة.

و خلاصة القول: أن الملاك و المحور فى المقررات العائلية كان شيئان هما: المال و الدم = العنصر، و أن سائر الاحكام و المقررات انما كانت لصيانة هذين المحورين.

و ان الزواج بالمحارم الذي كان شائعاً فى ذلك العهد، كان مبنياً على هذا الأساس ايضاً، اي أن الأُسر فى سبيل منع امتزاج دمها بالدم الاجنبي و توارث اموالها بين الأجانب كانت تسعى أن تتزوج باقربائها مهما امكن. و حيث كان هذا العمل على خلاف الطبع و الفطرة كانوا يحملون الناس عليه بقدرة الدين و الدولة و مواعيد الثواب فى الآخرة و وعيد العذاب لمن يمتنع عنه.

«و قد جاء فى كتاب: ارداى و يرافنامه، المنسوب الى نيک شاپور من علماء عهد خسرو الاول، و الذي هو شرح عن معراج الروح، جاء فيه: انه رأى فى السماء الثانية ارواح أُناس كانوا قد تزوجوا محارمهم «خويتک دس» فكانوا مغفوراً لهم الى الابد. و أنه رأى فى قعر العذاب روح امرأة مخلدة فى العذاب لانها كانت قد كسرت هذا الرباط المقدس(!) و أن و يراف هذا الذى استحق المعراج كان قد اختار سبعاً من أخواته للزواج معهن. و قد جاء فى الكتاب الثالث من كتاب «دينكرت» اصلاحات لهذه المسألة؛ منها: مايصطلح عليه «نزد

---

١٨٠ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص٣٥٤ و تاريخ اجتماعى ايران ج٢ ص٤٥.

١٨١ ــ نقلاً عن كتاب: ايران در زمان ساسانيان ص٣٥٥.

١٨٢ ــ ايران در زمان ساسانيان ص٣٥٧.

١٨٣ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص٣٥٥ ــ ٣٥٧.

پيوند» بمعنى الزواج من الاقارب مشيراً فيه الى زواج الاب بابنته و الاخ باخته. و قد شرح «نوسای بزرگ» من كبار الزرادشتيين هذا القسم من الكتاب و جاء بفوائد و منافع كثيرة لهذا الزواج و قال: إنه يجبر كبائر الذنوب»[١٨٤].

و يقول كر يستن سن:

«ان الاهتمام بطهارة النسب و دم الاسرة كان من احدى الصفات البارزة للمجتمع الايرانى القديم، الى درجة تجويز الزواج بالاقارب المحارم و اصطلحوا عليه: «خويذوگس» و فى اوستا «خوايت و دث» و كان هذا شايعاً فيهم منذ القديم و حتى على عهد الهخامنشيين و لفظ: «خوايت و دث» و ان كان لم يصرح بشرحه فى اوستا الحالى، الا أنه لا ريب فى أن المراد منه فى المناسک القديمة كان الزواج من المحارم»[١٨٥].

أما الزرداشتيين و لاسيما فرس الهند شعروا فى هذا العصر الآخير بشناعة هذا العمل و تركوه بأنفسهم، ثم حاولوا ان يتنكروا و لايعترفوا بمشروعية هذا العمل بينهم كسنة دينية زرادشتية، و حاولوا أن يفسروا كلمة «خويتک دس» بتوجيهات و تأويلات باردة للغاية.

يقول كر يستن سن:

«انّ السعى الذي يعمله بعض الفرس الزرادشتيين فى هذا العصر الأخيرلانكار الزواج بالاقارب المحارم لا أساس له، بل هوعمل صبيانى مع وجود المصادر المعتبرة التى بين ايدينا من المراجع الزرادشتيه و كتب الاجانب من لدن عصر الساسانيين و حتى العصر الحاضر»[١٨٦].

و يقول الاستاذ سعيد نفيسى:

« ان من البدهى المسلّم المقطوع به الذي نجده بصورة قاطعة وحيّة فى مصادر ذلک العهد الايرانى القديم: هو أن الزواج بالأقارب و المحارم من الطبقة الاولى كان معمولاً بل شائعاً بينهم حتماً، و على الرغم من الضوضاء الحمقاء التى يفتعلها الزرادشتيون اخيراً»[١٨٧].

ثم يأتى الاستاذ النفيسى بالنصوص التى جاءت فى كتب الزرادشتيين المقدسة مثل كتاب «دينكرت» و غيره، ثم بالتصريحات التى اوردها الكتاب المسلمون كالمسعودي و ابى حيان التوحيدى و ابى على بن مسكويه. ثم يأتى بأخبارزواج قباد بابنته اوابنة اخته، و زواج بهرام چوبين باخته، و مهران كشنسب باخته، والذي صارمسيحياً فيما بعد.

و ينقل المرحوم مشير الدولة فى كتابه عن المؤرخ اليونانى القديم استرابون بشأن

---

١٨٤ ــ بالفارسية: تاريخ اجتماعى ايران ج٢ ص٣٩.

١٨٥ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص٣٤٧.

١٨٦ ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص٣٤٨.

١٨٧ ــ بالفارسية: تاريخ اجتماعى ايران ج٢ ص٣٥.

الهخامنشيين يقول:

«ان هؤلاء (اي من كان يلقب: مغ، من شيوخ بيوت النار) كانوا يتزوجون بامهاتهم حسب عادتهم القديمة»[١٨٨].

و يقول بشأن الأشكانيين:

«ان بعض مؤرخى الاجانب يذكرون زواج الملوك الاشكانيين بأقربائهم و ارحامهم و أقاربهم بكل كراهية، ذكر ذلك المؤرخ «هرودوت» للملك كمبوجية، و پلوتارک للملک اردشير الهخامنشى. و يرد بعض الكتاب الفرس الزرداشتيين هذه النسبة و يقولون: لاينبغى أن تفهم كلمة (خواهر = الاخت) عند الأشكانيين بمعناها الحقيق، بل ان الملوک البارنيين كانوا يطلقون الاخت على جميع بنات الملوک، اذ كان هؤلاء أُسرة فيهم بنات الاعمام و أحفادهم»

و يضيف مشير الدولة يقول:

«بما أنه يجب أن نتحرى الحقيقة فى كتابة التار يخ نقول: ان الحق فى هذه المسألة هو أن زواج الاقارب الارحام المسمى «خوتک دس» كان امراً مستحباً لدى الفرس القدماء؛ و الظاهر أنهم كانوا يعللون هذا الامر بحفظ البيوت و الأُسر و طهارة الاعراق و العناصر و الدماء»[١٨٩]

و يقول اليعقوبى المؤرخ المعتبر للقرن الثالث الهجرى ــ و هومن أصل ايرانى ــ:

«و كانت الفرس... و تنكح الامّهات و الأخوات و البنات، و تذهب الى أنها صلة لهنّ، و برٌّهن، و تقربّ الى الله فيهنّ...»[١٩٠]

و يقول كر يستن سن بشأن نصارى ايران:

«لقد اعتاد هؤلاء ــ تقليداً للفرس المجوس و خلافاً لدينهم ــ على زواج الآقارب والارحام. و سعى فى منعهم عنه «ماربها» الذي ا صبح جاثليق نصارى ايران عام ٥٤٠ م سعياً حثيثاً»[١٩١].

و لقد كان هذا الأمر رائجاً بين المجوس فى صدر الإسلام.

فقد روي أن رجلاً سبّ مجوسياً بحضرة أَبي عبدالله عليه السلام، فز بره و نهاه عن ذلک. فقال: انه تزوج بامّه! فقال عليه السلام: ؟اما علمت أن ذلک عندهم

---

١٨٨ ــ ج٦ ص١٥٤٦ من كتاب «ايران باستان».

١٨٩ــ نفس المصدرج ٩ ص ٢٦٩٣.

١٩٠ــ اليعقوبى ج ١ ص ١٧٤ ط بيروت.

١٩١ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ٤٤٨.

النكاح؟»[١٩٢].

و جاء فى روايات ابواب الحدود: «عن أبي الحسن الحذّاء قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام، فسألني رجلٌ: ما فعل غريمك؟ قلت: ذاك ابن الفاعلة! فنظر إليَّ ابوعبدالله عليه السلام نظراً شديداً، قال: فقلت: جُعلت فداك! انه مجوسي امّه اخته! فقال عليه السلام: أوليس ذلك فى دينهم نكاحاً؟!»[١٩٣]

و روى الشيخ الصدوق (ره) فى كتابه (التوحيد) خبراً رواه الحرّ العاملى (قده) أيضاً فى الوسائل فى ابواب النكاح، ابواب ما يحرم بالنسب، الباب الثالث: تحريم الاخت مطلقاً، الحديث الثالث: «و فى الأمالي وكتاب التوحيد... عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام فى حديث: أن الاشعث قال له: كيف يؤخذ من المجوس الجزية و لم ينزل عليهم كتاب و لم يبعث اليهم نبي؟!

فقال عليه السلام: «بلىٰ يا أشعث: قد انزل الله عليهم كتاباً و بعث اليهم نبياً. و كان لهم ملك، سكرذات ليلة فدعا بابنته الى فراشه فارتكبها. فلما اصبح تسامع به قومه، فاجتمعوا الى بابه و قالوا: اخرج نطهّرك و نقم عليك الحدّ!

فقال: هل علمتم أن الله لم يخلق خلقاً اكرم عليه من أبينا آدم وحوّاء؟ قالوا: صدقت، قال: اليس قد زوّج بنيه، من بناته و بناته من بنيه؟ قالوا: صدقت، هذا هو الدين!

فتعاقدوا على ذلك. فمحا الله العلم من صدورهم، و رفع عنهم الكتاب، فهم الكفرة يدخلون النار بلاحساب... و المنافقون أسوأ حالاً منهم...»[١٩٤]

و يفهم من هذه الروايات أن المجوس كانوا يفعلون هذا فى صدر الإسلام، و لهذا فقد اصبحت هذه المسألة مورداً للبحث و التساؤل في الفقه الإسلامى، و عرضها و بحث حولها فقهاء الإسلام شيعة و سنة مَن ايرانيين و غيرهم، فى مختلف ابواب الفقه كمسألة حية لها مصاديق واقعية خارجية، و لقد كان اكثر هؤلاء الفقهاء ايرانيين من الفرس، بل كان آباء بعضهم من مجوس الفرس أيضاً كأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زو طى المجوسى الاصفهانى الذي أُسر فى كابل افغانستان. و لو لم يكن هذا الامر رائجاً بين الزرادشتيين لم تكن تطرح هذه المسألة فى كتب الفقه الإسلامى لذلك العهد.

و لقد عرض الشيخ الكبير ابوجعفر الطوسى (قده) فى كتاب «الخلاف فى الفقه»

١٩٢ــ وسائل الشيعة ج ١٧ ص ٥٩٦ ج ٢ باب عن التهذيب ح ٩ ص ٣٦٥ ح ٢ و الاستبصار ج ٤ ص ١٨٩.

١٩٣ــ وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٤٣٠ ح ٣ باب عن فروع الكافى ج ٧ ص ٢٤٠ ح ٣ و التهذيب ج ١٠ ص ٧٥ ح ٥٣.

١٩٤ــ وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٢٧٦ ح ٣ باب ٢ عن الامالى للصدوق ص ٢٠٦ و عن التوحيد له ص ٢٢٨ ــ ٣٢١.

كتاب الفرائض ج ٢ مسائل ترتبط بميراث المجوس، و لاسيما حينما يكون المجوسى المسلم وارثاً بعنوانين، اي مثلا يكون الوارث اماً للمتوفى واختاً له من ابيه او اخت ابيه، و عرض انظار سائر الفقهاء أيضاً، من مسألة (١١٩ الى ١٢٣).

ان انكار وجود هذه السنة المجوسية بين المجوس اليوم من قبيل انكار البديهيات، الا أن الزرادشتيين المتأخرين يحاولون أن يعيدوا النظر مرة اخرى فى تاريخ هذا الدين فيجددوا بعض نظرياتهم و يصلحوها، فى اصول دينهم و فروعها، و لذلك فهم قد أباحوا لانفسهم الكذب المصلحى الكثير.

التعلّم و التعليم للمرأة:

على الرغم من أن المراة كانت فى وضع غير صالح اذ ذاك، لكنّا نمرّ فى طيّات التاريخ على حوادث و تراجم ترينا أنه قد كان يحصل للمراة احياناً مقام شامخ فى الدراسات العليا لذلك العهد.

و يأتى المحققون باسم كتاب حقوقي من ذلك العهد يُسمّى «ماديگان هزار دادستان» و يعنى: «أخبار الف فتوى للقضاء» و يوجد الآن قسم من هذا الكتاب ترجمه و نشره بارتلمه احد المحققين الغربيين. و نجد فى هذا القسم اسماء عدد من قضاة ذلك العهد.

و لقد كان المرجع الحقوقى لذلك العهد اوستا و زند اوستا.

و جاء فى هذا الكتاب قصة تقول:

«بينما كان يذهب احد القضاة الى المحكمة احاط به خمسة من النساء و سألته احداهن مسائل ترجع الى بعض الموارد الخاصة من باب الرهن و باب الضمان، و حينما أتت على آخر سؤال لها لم يحر القاضى لها جواباً، فقالت احد اهن: ايها الاستاذ! لا تتعب نفسك فى هذا الباب و قل بلاخجل: لا أعرف! فاننا سنجد الاجابة فى الشرح الذي كتبه «گلوگان اندرزبذ»[١٩٥].

فهل يمكن لهذه القصة أن تكون دليلاً على استمتاع نساء ذلك العهد بتعاليم عالية؟

حسب ما حققه بارتلمه فى حقوق المرأة فى العهد الساسانى، و الذي اصبحت تحقيقاته أساساً لنظريات كريستن سن، نقول: ان المراة فى بعض البيوت الممتازة كانت تتمتع احياناً بالتعليم العالى، اي ان الحياة الطبقية كانت تسودهم بهذا الخصوص أيضاً كسائر الموارد و المواضيع. كما نجد أن بنتين من خسرو پرويز اصبحتا ملكتين لفترة قصيرة من اواخر العهد الساساني، و لقد كان اختيارهم للحكم بسبب العقيدة السائدة فى الفرس اذ ذاك بالبذرة

١٩٥ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ٤٤٠.

الملوكية! اذ كانوا يتصورنهم من عنصر سماوى بل ربّانى! و لقد أوصل اردشير بابكان ــ مؤسس اسرة الساسانيين ــ نسبه بقد ماء ملوك الفرس كى لا يؤخذ عليه أنه ليس من «بذرة الملوك»! و لقد ادعى الملوكية فى الاضطرابات بعد خسرو پرو يز رجلان لم يكونا من «بذرة الملوك» و لذلك فلم يدوما كثيراً، وانّماتمكنت بنتا خسرو پرو يز فى نفس هذا العهد من الوصول الى العرش؛ حيث أن ابن خسرو پرو يز كان قد قتل جميع اخوانه السبعة عشر على عهد ابيه! فلم يبق من بذرة الملوك اذ ذاك احد سوى هاتين البنتين من اخواته. فلا ينبغى الخلط بين العقيدة السائدة بالدم و العنصر و مسألة حقوق المرآة فى ذلك العهد البائد؛ فلايمكننا أن نجعل توصل پوران وازرمى دخت، ولا المعلومات العالية لعدد من نساء الطبقات الممتازة مقياساً نقيس به حقوق المراة فى ذلك العهد بشكل عام.

و يقول كريستن سن:

«ان ما بايدينا من المصادر التاريخية لا يعطينا شيئاًعن تعليم المرأة. و يخمن بارتلمه: أن تعليم المراة كان اكثرما يرتبط باصول ادارة البيت. و ان كتاب «نسک بغ» يبحث حول تعليم المراة فنون ادارة البيت. و مع ذلک كان بعض نساء البيوت الممتازة تحصل على تعاليم عالية».

و يبحث كريستن سن فى الفصل السابع من كتابه حول نهضة المزدكية فيقول:

«اننا نجد فى الوصف الذي اعطيناه عن الوضع الحقوق للمراة فى عهد الساسانيين مبنياً على تحقيقات بارتلمه تناقضاً كثيراً؛ و السبب فى ذلک هو: أن الوضع القانونى للمراة فى عهد الساسانيين لقى تطوراً كثيراً و كبيراً. يقول بارتلمه: ان حقوق المراة فى هذا العهد كانت تتبع حقوق الآخرين، و بعبارة اخرى يقول: انها لم تكن ذات شخصية حقوقية و قانونية مستقلة. الا آن هذا كان فى النظرة العلمية فقط، و أما عملياً: فقد كانت ذات حقوق محققة. ان الاحكام القديمة كانت باقية فى عهد الساسانيين الى جانب القوانين الجديدة، و من هنا جاء هذا التناقض الظاهر. ان المراة فى ايران قبل فتح المسلمين كانت على ابواب الاستقلال الحقوق و القانونى»[١٩٦].

النظام الاخلاقى:

نحن ان اردنا أن نعرف مدى الاخلاق العامة لعموم الناس فى ايران القديم، لم نجد لذلک مصادر مباشرة و كافية. الا أننا نستطيع أن نحصل من مجموعة من القرائن التاريخية على درجة الاخلاق العامة اذ ذاک؛ فنقول:

١٩٦ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ٣٥٤.

ان الاخلاق على قسمين: طبيعى، و اكتسابي...

أما الاخلاق الطبيعية للأُمة: فهى عبارة عن الخصائص العنصرية و الاقليمية لها؛ اذكما أن الوراثة و المحيط الطبيعى و الجغرافى تؤثر فى الخصائص البشرية الجسمانية من: لون البشرة و العيون و الشعرو الطول و الوزن، كذلک تؤثر فى الخصائص الروحية و الاخلاقية لهم. بفارق واحد؛ هو: أن العامل العنصري الوراثى يذهب اثره بالاختلاط و الامتزاج و الازدواج و الانتقال و الهجرة. أما العامل الجغرافى و الاقليمى فانه يتمتع بنوع من الثبات والاستقرار؛ فاننا نجد أن صفات العاطفة و الرحمة و الشفقة و حبّ الضيف و سرعة الخاطر و صيانة العرض، من الخصائص التى كان الايرانيون و لايزالون يوصفون بها.

ان الاخلاق الاكتسابية ترتبط بدرجة الحضارة لدى الأُمة، الحضارة و الثقافة الانسانية و الروحية المعنوية لا الفنية و الصناعية. و هى ترتبط من طرف بكيفية التربية و التعليم، و من طرف آخر بالنظام الاجتماعى و السنن السائدة فى المجتمع. و ان عامل التربية و التعليم له الأثر المباشر، أما عامل البيئة الاجتماعية فتأثيره غير مباشر. و ان قسماً هاماً من الاخلاق العامة هورد فعل لروحية الافراد امام الحوادث التى تمر فى بيئتهم و مجتمعهم و لاسيما القوانين و السنن الحاكمة على حياتهم.

اما الايرانيون فقد كان و لايزال لهم المقام السامى من حيث الاخلاق الوراثية و الطبيعية الاقليمية؛ و قد مدحوامنذ اقدم العهود بخصائص سامية فيهم.

امّا هرودوت المؤرخ اليونانى الشهير للقرن الخامس قبل الميلاد، الذي يلقب «ابا التاريخ» والذي اصله من آسيا الصغرى؛ فقد وصف الفر القدماء وصفاً شاملاً تقريباً، اذان وصفه يشتمل على مجموعة من المحاسن و الاضداد، الا انه يمكننا أن نقول: ان المحاسن فى وصفه اكثر من المساوى[١٩٧].

و كزنفون تلميذ سقراط الذي كان يعيش بعد قرن هرودوت تقريباً، هو الآخر ممن وصف الفرس القدماء، الا أنه عاصر دور الانحطاط فى ايران فأخذ يقيس اخلاق الفرس فى عهده بأخلاقهم على عهد كوروش و يشرح ماحدث من التغير في اخلاق الفرس على عهده[١٩٨].

اننا لوقارنّا بين الاخلاق الطبيعية للايرانيين مع سائر الامم لوجدناهم ليسوا اقل من سائر الامم ان لم يكونوا اقدم و اسبق، و لكنّا نكف عن نقل خصائص الروح الايرانية ــ الحسنة و السيئة ــ خوف الاطالة.

١٩٧ــ يراجع: تاريخ ايران باستان ــ لمشير الدولة ج ٦ صفحات: ١٥٣٤ ــ ١٥٣٦.

١٩٨ــ يراجع: تاريخ ايران باستان ــ لمشير الدولة ج ٦ ص ١٥٣٧ ــ ١٥٤٢.

و قد ورود الثناء فى الروايات و الاحاديث الإسلامية على الخلق الايرانى و لاسيما من ناحتين: حب المعرفة، و التحرر الفكري فيه.

قال اللّه سبحانه «ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ماكانوا به مؤمنين»[١٩٩].

وقال الامام ابوعبداللّه جعفر بن محمدالصادق عليه السلام فى ذيل هذه الآية: «لونزل القرآن على العجم ما آمنت به العرب، و قد نزل على العرب فآمنت به العجم. فهذه فضيلة العجم»[٢٠٠]

و قال عليه السلام: «... من دخل فى الإسلام رغبة خير ممن دخل رهبة؛ و دخل المنافقون رهبة، والموالي دخلوا رغبة...»[٢٠١].

و روى الحاكم فى مستدركه عن ابن عمر قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه [و آله] و سلم:

«رأيت غنماً سوداً دخلت فيها غنم كثير بيض. فقالوا: فما اوّلته يا رسول اللّه؟

قال: العجم يشركونكم فى دينكم و أنسابكم. قالوا: العجم يا رسول اللّه؟! قال: لوكان الايمان معلقاً بالثريا لناله رجال من العجم»[٢٠٢].

و قد خصص كريستن سن صفحات من كتابه بالكلام عن اخلاق الايرانيين يقول فيه:

«ان المجتمع الايرانى كما عرفه المؤرخون الغربيون من امثال اميانوس مارسلينوس[٢٠٣] و پروكپيوس[٢٠٤] و وصفوه لنا، لانصفه نحن الا بأنه مجتمع طبقى اشرافى صرف، فقدكان الاشراف هم المعروفين فيه و هم الذين كانوا يصورون وجهة الامة الايرانية بينما هى وجهتهم فقط».

ان الوصف الذي ينقله كريستن سن عن المؤرخ اميانوس مارسيلينوس يرتبط بطبقة الاشراف فقط، و من الطبيعى أن تترجح الصفات و الخصائص السيئة فيهم على المحاسن، فليس فيهم صفات سامية، و لا نرى من الضرورى أن ننقلها هنا.

١٩٩ــ الشعراء: ١٩٩.

٢٠٠ــ سفينة البحار ج ٢ ص ١٦٤ عن تفسير الصافى للفيض الكاشانى. و كلمة العجم تشمل كل غير عربى، سواء كان ايرانياً او غير ايرانى، الا أن الظاهر أن المراد من العجم فى هذا الحديث هم الفرس، و على اي حال فهم من العجم ان لم يكونوا اول من يقصد بالعجم فى مقابل العرب بصورة مطلقة ــ المؤلف.

٢٠١ــ نفس المصدر ج ٢ ص ٦٩٣.

٢٠٢ــ نفس المصدر ج ٢ ص ١٦٥.

٢٠٣ــ المؤرخ الرومي المعاصر للساسانيين فى القرن الرابع الميلادي.

٢٠٤ــ المؤرخ الرومي المعاصر لقباد و أنوشيروان من الساسانيين.

و يقول كريستن سن:

«ان المؤرخين العرب يثنون على الدولة الساسانية التى كانت امثولتهم للسياسة، و لايذكرون الفرس الا بالعظمة » و ينقل هنا نصاً عن كتاب يسميه «خلاصة العجائب(؟)» يقول:

«كان العالم يذعن بتفوق الايرانيين، و لاسيما فى تدبير الدولة والحروب، وفنون الصباغة، و الاطعمة، و الادوية و العقاقير، و الملابس، و تأسيس المدن، و وضع الاشياء فى مواضعها، و الشعر و النثر و الخطابة و الارتجال، و قوة العقل و الكمال، و كمال الطهارة و التقوى، و الثناء على ملوكهم... فقد كان لهم التفوق فى جميع هذه الامورلدى جميع امم لعالم بصورة متسالم عليها. و ان تاريخ هذه الامة لعبرة لمن اراد أن يعرف كيف ينظم شؤون الدولة».

و من العجيب من كريستن سن أنه بعد نقل كل هذا يقول:

«ان الايرانيين احتفظوا طوال قرون متطاولة مقام الامامة في الامور المعنوية لانفسهم، الا أنهم ضعفوا فى سياستهم و اخلاقهم بعد سقوط الدولة الساسانية. وليس سبب هذا الضعف ــ كما تصور البعض ــ أن دين الاسلام كان من حيث المبانى الاخلاقية اقل وادنى من الدين الفارسى المجوسى، بل ان من احدى علل انحدار الامة الايرانية فى اخلاقها هو الوضع العام، للحكومة التى قامت بينهم بالاسلام، فقد ذابت طبقة النجباء شيئاً فشيئاً بين سائر الطبقات العامة، و بذلك ضعفت تلك الصفات التى كانوا يمتازون بها».

و ان الذي يعنيه كريستن سن من الاخلاق التى جاء بها مع السياسة، هو الاخلاق السياسية التى تختلف مع الاخلاق الانسانية بالتناقض احياناً. و ان سقوط طبقة النجباء و ضعف خصائصهم التى كانت تمتلك بها الحكومة و القدرة و الثروة و تستأثر بحقوق العامة و تستثمرهم فى خدمة مصالحها، والتى كان يبتنى على هذا الاساس حكم قاهر... ان سقوط كل هذا لمن المؤسف حقاً فى الاخلاق السياسية التى نظر كريستن سن هنا من زاويتها. أما فى المنطق الانسانى و الاخلاق الانسانية فان سقوط طبقة الاشراف و انفتاح الطرق لحكم العامة لمما يبهج القلوب لا مما يؤسفها!

و ليس بايدينا معلومات عن وضع التربية و التعليم فى العهد الساسانى، و مهما كان فانما هو ما كان يتحقق على ايدى «الهرابذة» فقط، و هم انما كانوا يعلمون الناس كتاب اوستا فحسب.

ان المرآة التى بامكانها أن ترينا اخلاق قدماء الايرانيين أحسن من أية مرآة اخرىٰ، هى الانظمة الاجتماعية و العائلية لذلك العهد. ان المجتمع الحضارى الايرانى و كذلك الاسرة الايرانية لم يكونا اذ ذاك متوازنين؛ و قد بحثنا قبل هذا هذين الموضوعين بشيء من

التفصيل.

و فى المجتمع غير المتوازن ينقسم الناس الى طبقتين: اقلية و اكثرية، اقلية متنعمة و متمتعة، و اكثرية فقيرة معوزة. و الطبقة المتنعمة والمتمتعة تتصف بمقتضى حالها بنوع من الاخلاق، و الطبقة الفقيرة تتصف بنوع آخر من الأخلاق، و كلا النوعين لايكونان من الاخلاق الانسانية المتوازنة فى شيء فالطبقة المتمتعة فى هكذا مجتمعات تكون عادة طبقة مترفة مسرفة، مبذرة خائفة، تغتروترضى عن نفسها، تستأثر ولا تعمل، لا تقاوم و لا تصبر. كما نرى هذه الاوصاف قليلاً اوكثيراً فى منقولات اميانوس مارسيلينوس بشأن النجباء. أما الطبقة الفقيرة ففى هكذا مجتمعات تتصف بسوء الظن و الحقد و العصيان و ارادة السوء بالآخرين و الانتقام منهم، تعتقد بالنصيب و الصدفة، و تنكر العدل و النظام فى العالم.

ان القواعد التى تحكم المجتمعات البشرية تقتضى ماقلناه، و ان لم يصف مؤرخ عامة الناس فى ايران اذ ذاك بما وصفناه.

ان الضرائب كانت تؤخذ فى ايران على الرؤوس، لكن الطبقة التى كان يجب أن تطالب بها اكثرمن غيرها كانت تعفى منها تماماً. و حتى انوشيروان الذي اعاد النظر فى وضع الضرائب و اصلح بعضها مع ذلك استثنى منها: الكبراء و النجباء و الجنود و رجال الدين و الكتاب و موظفى الدولة[٢٠٥].

و من البدهى أن هذه الاستثناءات و التميزات كانت تغضب الطبقة التى كان عليها أن تدفع الضرائب و تجرها الى التمرد و العصيان.

و نستطيع أن نصل الى أخلاق عامة الناس فى ذلك العصر من بعض الحوادث فيه:

فقد كتب ابن الأثيريقول:

«ثم سار فنزل بكوثى، فأتي برجل من العرب، فقال له: ما جاءبكم و ماذا تطلبون؟ فقال: جئنا نطلب موعود الله بملك ارضكم و ابنائكم ان ابيتم أن تسلموا. قال: رستم: فإن قتلتم قبل ذلك! قال: من قتل منا دخل الجنة، و من بقى منّا انجزه الله ما وعده، فنحن على يقين.

فقال رستم: قد وضعنا اِذن فى ايديكم! فقال: اعمالكم وضعتكم فاسلمكم الله بها، فلا يغرنّك من ترى حولك، فانك لستَ تجاول الإنس، انّما تجاول القدر. فضرب عنقه ثم سار فنزل البرْس، فغصب اصحابه الناس ابناءهم و أموالهم ووقعواعلى النساء و شربوا الخمور، فضجّ اهلها الى رستم، فقال: يا معشر فارس! والله لقد صدق العربى، و الله ما اسلمتنا الا أعمالنا، و اللّه انّ العربَ مع هؤلاء، وهم لهم حرب، أحسن سيرة منكم، اِنّ اللّه

٢٠٥ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ٣٩٠.

كان ينصركم على العدو و يمكّن لكم فى البلاد بحسن السيرة و كفّ الظلم و الوفاء و الاحسان، فاذا تغيّرتم فلا أرى الله الا مغيّراً مابكم، و ما أنا بآمن من أن ينتزع الله سلطانه منكم»[٢٠٦].

أما صحيفة اعمال الاسلام فى ايران:

ان النظر فى الصحائف السابقة اطلعتنا كيف كان وضع ايران حين قدوم الإسلام اليها، و كيف كان حالها فياترى ماذا اخذ منها و ما اعطاها؟

اعيدوا النظر فى ماسبق من المواضيع ترون: أن اول ما أخذه الإسلام من ايران هو: شتات من الافكار و العقائد الدينية المختلفة، و أن اول ما أعطاها بإزاء ذلك هو: وحدة فى العقيدة الصحيحة،و أن هذا الامر انما تحقق لاول مرة فى ايران على يد الإسلام؛ فقط؛ ان الناس فى مركز ايران و شرقه و غربه و شماله و جنوبه الذين كان بعضهم آريائيين و بعضهم ساميين، و كانوا ذوى السنة و عقائد مختلفة و كان الرابط الوحيد الذي يجمعهم هوالحكم و القوة فقط.

... ان هؤلاء الناس اعتنقوا لاول مرة فى التاريخ فلسفة واحدة و تبنّوا فكرة واحدة و اتجهوا الى أمل واحد ووجدوا لأنفسهم هدفاً واحداً، و وجدت بينهم أحاسيس اخوية... و هذا و ان تحقق فى طول اربعة قرون الا أنه تحقق واستمر حتى اليوم شاملاً ٩٨ بالمئة من هذه الأمة. بينما حكم النظام الموبدى فى ايران نفس هذه المدة و هو يسعى دائباً فى سبيل ايجاد وحدة عقائدية على أساس الزرادشتية، ولكنه لم يوفق قط. فى حين حصل الإسلام على هذا التوفيق بما فيه من قوة اقناعية فى محتواه و قوة مغناطيسية فى روحانيته ومعنويته، وان كان الحكم الإسلامي العربى قد انحسر عن ايران بعد قرنين من الزمن.

ان الإسلام اصبح سدّاً أمام توسع المسيحية فى ايران و انتشاره فى الشرق بصورة عامة. نحن لانستطيع أن نقول الآن ان ايران لوكان يصبح مسيحياً كيف كان يكون، الا أننا نتمكن من التخمين بأنه كان يأتى على ايران نفس ما أتى على سائر الأمم و الدول التى اعتنقت المسيحية،اي ظلمات القرون المسيحية الوسطى. ان ايران أصبحت ببركة اسلامها من حملة مشعل حضارة عظيمة باسم الحضارة و التمدن الإسلامي، فى حين كانت الأمم المسيحية تغط فى ظلمات القرون الوسطى.

و هنا تساؤل يطرح نفسه على الفكر يقول: لوكان هذا من خصائص الإسلام و ذاك من توالي المسيحية فلماذانرى الأمر اليوم على العكس تماماً؟!

٢٠٦ــ الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ٤٥٩ ــ ٤٦٠ ط بيروت.

و الجواب واضح: انهم تركوا المسيحية منذ سبعة اوثمانية قرون، و نحن تركنا الإسلام!

ان الإسلام كسر الحصار الديني و السياسي الذي كان قد فرض على ايران، فلم يكن يقدر الايرانى على ابراز استعداداته الفكرية بين سائر الأُمم، ولم يكن يبيح لهذه الامة أن تستفيد من نتائج افكار سائر الأُمم المجاورة فضلاً عن البعيدة... و فتح الإسلام ابواب سائر امم الارض على ايران و الايرانى و ابواب ايران على حضارات و ثقافات سائر الأُمم. وحصلت للايرانيين من هذه الابواب المفتوحة نتيجتان:

احداهما: أنهم تمكنوا من ان يثبتوا للآخرين لياقتهم و استعدادتهم الفكرية الى درجة أن تقبلهم العالم بالامامة فى كثير من العلوم و الفنون و الصناعات.

و ثانيتهما: انهم استطاعوا بتعرفهم على الثقافات والحضارات الاخرى أن يسهموا اسهاماً عظيماً فى تكميل و نشر حضارة و ثقافة انسانية عالمية باسم الإسلام.

و لهذا فنحن نرى ــ من ناحية ــ لاول مرة فى تاريخ هذه الامة: أن الايرانى اصبح مرجعاً دينياً لغير ايرانى؛ فمثلاً نرى ليث بن سعد الايرانى اماماً للمصريين، و أباحنيفة الايراني اماماً اعظم لانظير له بين أئمتهم؛ و ابا عبيدة معمر بن مثنى و واصل بن عطاء و أمثالهم أئمة فى الكلام و الجدل و العقيدة، و سيبويه و الكسائى امامى الصرف و النحو و اخرين أئمة فى اللغة و البلاغة و الادب و التفسير و الحديث و اصوله و الفقه و اصوله و سائر الفروع الإسلامية.

و لا بأس أن ننقل هنا هذا الخبر:

روى الشيخ محمد ابوزهرة فى كتابه «ابوحنيفة حياته و عصره» يقول: «جاء فى العقد الفريد لابن عبد ربّه ما نصه: قال لى ابن أبى ليلى: قال لى عيسى بن موسى و كان دياناً شديد العصبية: من كان فقيه العراق؟ قلت: الحسن ابن أبى الحسن. قال ثم من؟ قلت: محمد بن سيرين. قال: فما هما؟ قلت: موليان. قال فمن كان فقيه مكة؟ قلت: عطاء ابن أبى رباح و مجاهد و سعيد بن جبير وسلمان بن يسار. قال: فما هؤلاء؟ قلت: موال. قال: فمن فقهاء المدينة؟ قلت: زيد بن أسلم و محمد بن المنكدر و نافع بن نجيح. قال: فمن هؤلاء؟ قلت: موال. فتغير لونه ثم قال: فمن افقه اهل قباء؟ قلت: ربيعة الرأى وابن أبى الزناد. قال: فما كانا؟ قلت: من الموالى. فاربدّ وجهه ثم قال: فمن فقيه اليمن؟ قلت: طاووس و ابنه و ابن منبه. قال: فمن هؤلاء؟ قلت: من الموالى. فانتفخت اوداجه و انتصب قائماً و قال: فمن كان فقيه خراسان؟ قلت: عطاء بن عبدالله الخراسانى. قال: فما كان عطاء هذا؟ قلت: مولى فازداد وجهة تربّداً و اسود اسوداداً حتى خفته، ثم قال: فمن كان فقيه الشام؟ قلت: مكحول قال: فما كان مكحول هذا؟ قلت: مولى فتنفّس الصعداء ثم قال: فمن كان فقيه الكوفة؟ فوالله لولا خوفه لقلت: الحكم بن عتبة و حماد بن سليمان، و لكن رأيت فيه الشر، فقلت:

ابراهيم النخعى، و الشعبى، قال: فما كانا؟ قلت: عربيان فقال: الله اكبر! وسكن جأشه. وقد جاء مثل ذلك فى «مناقب أبى حنيفة للمكى» فى حديث جرى بين عطاء و هشام بن عبدالملك و هذا نصه: «قال: دخلت على هشام بن عبدالملك بالرصافة، فقال: يا عطاء! هل لك علم بعلماء الانصار؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين! فقال: من فقيه أهل المدينة؟ قلت: نافع مولى ابن عمر، قال: فمن فقيه أهل مكة؟ قلت: عطاء ابن أبى رباح. قال: أمولى ام عربى؟ قلت: لا بل مولى. قال: فمن فقيه أهل اليمن؟ قلت: طاووس بن كيسان. قال: مولى ام عربى؟ قلت: لا، بل مولى. قال: فمن فقيه أهل اليمامة؟ قلت: يحيى بن كثير قال: مولى ام عربى؟ قلت: لا، بل مولى. قال: فمن فقيه أهل الشام؟ قلت: مكحول. قال: مولى ام عربى؟ قلت: لا، بل مولى قال: فمن فقيه أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهمان. قال: مولى ام عربى؟ قلت: لا، بل مولى. قال: فمن فقيه خراسان؟ قلت: الضحاك بن مزاحم. قال: مولى أم عربى؟ قلت: لا، بل مولى. قال: فمن فقيه أهل البصرة؟ قلت: الحسن و ابن سيرين قال: مولیان ام عربيان؟ قلت: لا، بل مولیان. قال: فمن فقيه أهل الكوفة؟ قلت: ابراهيم النخعى. قال: مولى ام عربى؟ قلت: عربى، قال: كادت تخرج نفسى و لايقول واحد عربى»[٢٠٧].

فمتى اتيحت الفرصة هكذا للشخصية الايرانية أن تجد فخرالامامة الدينية لمختلف الدول من الحجاز و العراق و اليمن و الشام و الجزيرة و مصر و غيرها؟ و قد توسعت منطقة شعاع هذه الامامة فيما بعد هذه الفترة.

و العجيب أن السيرجان ملكم الانجليزي يطلق على هذه القرون الإسلامية الاولى: قرون جمود الايرانيين و ركودهم و خمودهم، بينما هى قرون تفتحت فيها ذهنية الايرانيين العلمية و المعنوية بعد ركود طويل!

ان السيرجان ملكم يريد أن ينظر الى القضايا بنظارة العصبيات العنصرية و السياسية التى كان يدعو اليها المستعمرون فى القرن التاسع عشر للميلاد: فالذي يحكم له او

٢٠٧ــ ابوحنيفة حياته و عصره ص ١٤ ــ ١٥ و الخبر الاول فى العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٢ ط الآزهرية. و الخبر الثانى فى مناقب أبى حنيفة للمكى ص ٦ ط استانبول. لكلمة المولى فى اللغة العربية معان متعددة بل اضداد؛ فمثلاً: يطلق المولى على السيد المطاع، كما قال رسول الله صلى الله عليه و آله فى علي عليه السلام: «من كنت مولاه فهذا على مولاه» و كذلك يطلق على العبد المطيع. و المعنى الجامع له هو القرب و الصلة و من موارد اطلاقه: و لاء العتق، فكان يطلق المولى على العبد المُحرّر بل و على اولاده ايضاً، كما كان يطلق على مولاه المحرّر (بالكسر) و كان يطلق ايضاً على من كان يتحالف مع القبائل العربية من العرب و غيرهم حلفاً تتعهد بموجبه القبيلة العربية بحمايته و الدفاع عنه كأحد افرادها.

و اطلق المولى على العجم الايرانيين لأن اجداد البعض منهم كان عبداً محرراً، او كان متحالفاً مع العرب، و سرى هذا فاطلق المولى على جميع الفرس. أما ما ادعاه البعض: من أن العرب كانوا يطلقون كلمة الموالى على الايرانيين لانهم كانوا يرونهم عبيداً طلقاء، فهذا خطأ قطعاً ــ المؤلف.

عليه السيرجان ملكم هو أن يرى من الذي يحكم الأُمة و من اي عنصر أو دم؟! أما الذي لايحسب له حساباً فهو حالة الأُمة و وضعها، و ما الذي خسرته و ماربحته بازائه.

ان السيرجان ملكم و اضرابه لايأسفون ان يروا الحجاج يقتل الناس و يظلمهم؛ و انما يأسفون ــ بل يتظاهرون بالأسف ــ فيما اذا كان هذا الحجاج عربياً، فيتأسفون لما ذا لم يكن هذا ايرانياً، او لماذا لم يفعل نفس هذه الافعال رجل من ايران بمكانه!

ان النظر فى تاريخ ايران بعد الإسلام لذيذ جدّاً؛ اذ يرينا تلك الثورة التى ظهرت بين الايرانيين فى النواحى العلمية و الثقافية و الحضارية، حيث كانوا كالعطاشى المحرومين من الرواء يغتنمون الفرص المتاحة للانتهال من زلال العلوم، و استطاعوا بالتالى أن يبرزوا استعداداتهم، و لاول مرة تقبّلت الامم امامتهم عليها، و قد استمرت هذه الامامة فى النواحى العلمية و الدينية والفقهية بالنسبة الى العلماء الايرانيين حتى القرنين السادس و السابع الهجريين.

هذا كله من ناحية...

و من ناحية اخرى: فقد سببت هذه الابواب المفتوحة فى فتح السبيل لدخول الثقافات اليونانية و الهندية و المصرية و غيرها الى هذه الامة بالاضافة الى الثقافة و العلوم الاسلامية العربية، مما وفّر للأُمة بناء حضارة و ثقافة اسلامية عظيمة، و هيأ لها الارضية المساعدة لانفتاح ذهنية مئات من العلماء و الفلاسفة و الادباء و المؤرخين و الرّحالة و الرياضيين و الأطباء و الطبيعيين كأبى على بن سينا و الفارابى و أبى ريحان البيرونى و الخواجة الطوسى و صدرالدين الشيرازى والخيام الطوسى و غيرهم...

و من المضحك أن يقول پورداود:

«... انه لولم تكن الثقافة العربية دخلت الى امتنا مع الحملة العربية(!) و كان علماؤنا كالخيام و أبى على يكتبون كتبهم على نهج كتاب «دانشنامة» لأبي على و كتاب «نوروزنامة» لكانت اللغة الفارسية اليوم اغنى و اوسع!»[٢٠٨].

و أنا اقول: لو لم تكن حملة هؤلاء العرب (على قول الخصم) و كان يستمّر ذلك الحصار الذي كان قد جرّه الموابدة على الاستعدادات الايرانية، فهل كان ينجم بين هؤلاء العجم(!) كالخيام و أبي على حتى يكتبوا «دانشنامه» و «نوروزنامه» و مئات من الكتب الاخرى؟! ان هذه الآثار التى خلفها هؤلاء العلماء الايرانيون و قدموها الى العالم بالعربية و الفارسية، انما هى من آثار نفس تلك الحملة العربية(!) التي كان من أثرها كسر ذلك الطوق المفروض على الامة من الموابدة و الهرابدة، و التى تعرف على أثرها الايرانيون على ثقافة

٢٠٨ــ نقلاً عن جريدة اطلاعات فى العدد: ١٢٧٤٥، بتاريخ ٢٩ آبان ١٣٤٧ هـ ش.

دينية غنية ترى طلب العلم فريضة على الأُمة.

ان مقال پور داود يشبه أن نقول: لو لم تكن الشمس تسطع علينا فى النهار و تؤذينا بحرارتها لكنا نعمل براحة اكثر! فى حين لولم تطلع الشمس فلانهار أيضاً.

ان فتح ابواب الثقافة الإسلامية وابواب سائر الثقافات لم يكن من نتاج كسر القلاع الخارجية المضروبة على هذه الامة فقط، بل كان هناك عامل آخر هو رفع المانع عن طلب العلم الذى كان قد قرره النظام الموبدى الطبقى سداً أمام افراد هذه الامة. اذ لم يكن الإسلام يعرف شرفاء و أعيان ممتازين عن غيرهم بخصائص خاصة، و لم يكن يقصر طلب العلم و المعرفة على طبقة رجال الدين اواية طبقة اخرى، فقد كان الإسلام يرى للاسكافى و الكواز الحق فى طلب العلم بنفس المقدار الذي يراه لابناء الأئمة و الملوك. بل ان النوابغ غالباً يظهرون من بين ابناء الاسكافيين و الكوّازين اكثر من ابناء الملوك و القصور. ان رفع هذا المانع من الداخل و كسر ذلك الطوق من الخارج تسبّبا فى احراز الايرانيين لمكانتهم السامية فى بناء حضارة اسلامية عالمية و فى امامة الامة فى الفقه والعلم والدين.

ان الإسلام عرّف الايراني بنفسه و بالعالم، وتبيّن للعالم خطأ ما كان يقال عن الايرانى أن لاذوق له فى العلميات و انما هورجل حرب و سياسة... فقد تبيّن للعالم أن تأخره عن بعض العلوم فى بعض الادوار التاريخية لم يكن من نقص فى استعداده و انما كان ذلك من حصره فى النظام الموبدى؛ و لهذا فانه ابدىٰ نبوغه العلمي فى العهد الإسلامي الى أبعد الحدود.

ان النظام الموبدى الذي كان يخنق الافكار قبل الإسلام جعل بعض الغربيين يخطئون فيرون أن ذلک من قصور فى الفكر الفارسى؛ فيقول غوستاف لوبون:

«ان أهمية الايرانيين فى سياسة العالم كانت اهمية عظمى، لكن ليست لهم أية اهمية تاريخ التمدن و الحضارة الانسانية(!) انهم اوجدوا امپراطورية عظمى فى قرنين من الزمن على القسم الاعظم من العالم، لكنهم لو يوجدوا اي شيء فى العلوم و الصناعات و الفنون والادب، و لم يضيفوا اي شيء الى كنوز العلوم و المعارف التى توارثوها من الأُمم المفتوحة لهم... ان الايرانيين لم يكونوا مبدعين و انما كانوا يحملون حضارة خاصة اقتبسوها من غيرهم، و لهذا فان اسها مهم فى ايجاد الحضارة العالمية شيء قليل»[٢٠٩].

و يقول المؤرخ الفرنسوي كلمان هوار:

«ان ايران كانت مملكة عسكرية فكان من المحال أن توجد فيها العلوم و الفنون و

٢٠٩ــ نقلاً عن كتاب «خلقيات ما ايرانيان ص ٩٣» للسيد محمد على جمال زاده عن كتاب «تمدنات قديمى» لغوستاف لوبون ــ بالترجمة.

الصناعات، و الطبيب اليوناني الذى كان يتربّى فى مدارس مناطق البحر الابيض المتوسط انما كان المثل الوحيد للعلم فى ايران(!) كما أن اصحاب الفنون الأجانب اليونانيين و الليديين و المصريين كانوا الممثلين لصناعاتهم فى ايران، و كما أنّ أصحاب الحساب فى ايران كانوا آراميين و كلدانيين و ساميين»[٢١٠].

و يقول ژ. راولينسون فى كتابه:

« ان قدماء الايرانيين لم يسدوا اية خدمة فى سبيل تطوير العلوم و المعارف؛ فانه لم يكن بين هذه الامة و التحقيقات التى تستلزم الصبر و التأنى و التعب الذي يكون منشأ لرقى العلوم اية رابطة أوعلاقة... ان الايرانيين كانوامن اول سلطانهم الى آخره لايلتفتون شيئاً الى طلب العلوم، و كانوا يتصورون أن بناء قصور فى شوش و تخت جمشيد يكفى لتثبيت قدرتهم التى كانت تسيطر على العالم ..»[٢١١].

لاشك فى أن هذه النظريات تنشأ من سوء النظر الى الامة الايرانية؛ اذ لاينبغى أن يروا النقص ناشئاً من نقص فى استعداد هذه الامة، و أن لا يلقوا بتبعة النظام الموبدي على عاتق الايراني و استعداداته الذاتية. هذا فضلاً عن أن وصف الامة الايرانية بهذه الاوصاف انما هومبالغة. و سنبحث نحن فيما بعد عن أصالة الحضارة الفارسية الايرانية.

والدليل على أصالة هذه الحضارة و الثقافة هو أن نفس هذه الامة ابدت من نفسها الاسهام فى تنمية الثقافة و الحضارة فى العهد الإسلامى الى اعلى المستويات.

و نفس غوستاف لوبون و كلمان هواروراولينسون يعترفون. بهذا، الا أنهم يطلقون على ما حصل فى هذا المجال: الحضارة العربية، فى حين أن الحضارة الإسلامية كما أنها ليست ايرانية و لا هندية كذلك هى ليست عربية.

ان الإسلام اثبت أن هذا التصور بشأن الايرانيين تصور خاطئ ، فقد ابدى الإسلام استعداد الايرانيين لانفسهم و للعالم، و بعبارة اخرى نقول: ان الايرانى كشف عن نفسه بسبب الإسلام ثم عرّفها الى العالم ايضاً.

والاّ، فلما ذا لم يصبح بعض الايرانيين قبل الاسلام ائمة روحيين من امثال: ليث بن سعد و نافع و عطاء و يحيى و مكحول و مئات آخرين لشعوب مصر و العراق و الشام و اليمن و الحجاز و مراكش و الجزائر و تونس و الهند و پاكستان و اندونيسيا و حتى أسپانيا و الاندلس و أقسام من اورو پا؟ ولماذا لم تظهر بينهم اذ ذاك شخصيات علمية امثال: محمد بن زكريا الرازي و الفارابى و ابن سينا و غيرهم؟

ان الإسلام حينما دخل الى ايران كان يشكل بالنسبة الى عموم الامة الايرانية ثورة

٢١٠ــ نفس المصدر ص ١٠٨.

٢١١ــ نفس المصدر ص ٨٢.

بيضاء بما لهذه الكلمة من معنى و خصائص، و ان كان يشكل بالنسبة الى القوى السياسية و الدينية الحاكمة حملة عسكرية فاتحة قاهرة.

ان الإسلام غيّر من وجهة النظر الايرانية الى العالم: فقد رمى من فكره جميع الخرافات الثنوية و ما كان ينشأ منها من سوء النظرة والتشاؤم، تلك الثنوية التى كانت تعد من خصائص الفكر الفارسي االايرانى، و التى كان قد مضى عليها عند الايرانى آلاف من السنين كما يقولون، و التى حاربها نفس زرادشت فانهزم دينه امامها بل و تلوث دينه بعده بها... اجل ان الإسلام اخرج هذه الثنوية من فكر الايرانيين و غسل رؤوسهم منها.

و ما ذا تأتى به ثورة مباركة؟ اليس اسمى ما تقوم به هو أن تغير من وجهة النظر الى العالم ما هو سيء مقيت و تعطى للانسان بدلها هدفاً و برنامجاً و ايديولوجية، و تغيّر من افكاره و عقائده الباطلة، و تقلب المقاييس الاجتماعية الخاطئة، و أن تكون كما يعبّر القرآن عن القيامة «خافضة رافعة» فتخفض المتعالي بالباطل و ترفع المتسافل ظلماً الى الأعلى، و تغيّر الاخلاق الى صورة مؤثرة نابضة بالحياة و النشاط، و تنفث روح العصيان أمام المخلوقين بطاعة الخالق، و تخلق فيهم ثورة الايمان بالحق الصراح، و تجري فى عروق الامة دماً جديداً... اليس كل هذه من خصائص الثورة المباركة؟. و اليس قد وجد جميع هذا بالإسلام فى ايران؟!

يقولون: السيف! أجل السيف ! أما ما ذا صنع سيف الإسلام؟! ان سيف الإسلام انما كسر ظهر السلطات الشيطانية فى ايران، و قصم ظهر النظام الموبدي المشؤوم، و وضع الاغلال عن ما يقرب من مئة و اربعين مليوناً من البشر المستعمرين بها، و اعطاها الحرية... اجل إن سيف الإسلام كان ينزل على رؤوس الظالمين دفاعاً عن المظلومين و قطع ايدي الجبارين... نعم ان سيف الإسلام كان فى خدمة المظلومين و المستضعفين من الرجال والنساء و الولدان: «و مالكم لا تقاتلون فى سبيل الله و المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان»[٢١٢].

ان الإسلام سلب من ايران الثنوية و عبادة الديوان و الهوم و الشمس و النجوم، و اعطاها: التوحيد و عبادة الله، و ان خدمة الإسلام لايران كانت اكثر من خدمته للعرب بهذه النظرة؛ اذ كان العرب مشركين فى العبادة فقط، أما شرك ايران قد كان شركاً حتى فى الخالقية لا فى العبادة فحسب.

ان الإسلام بدّل فكرة الخالق ذي القرون و الاجنحة و اللحية و الشوارب و العصا و الرداء، ذي الشعر المجعّد و التاج المقرنس، بمن قال عنه «الله لا آله الا هو الحى القيوم»[٢١٣].

٢١٢ــ سورة النساء: ٧٥.

٢١٣ــ سورة البقرة: ٢٥٥.

و الذي نزّهه عما يصفون فقال: «و سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون»[٢١٤]، «الذي لا تدركه الابصار و هو يدرک الابصار و هو اللطيف الخبير»[٢١٥] و الذي قال عنه: «هو الاول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شيء عليم... و هو معكم أينما كنتم»[٢١٦].

ان الإسلام علم الناس التوحيد فى الذات و فى الصفات و فى الأفعال فى اسمى صوره و أشكاله، و جعل التوحيد هو الاصل الاول و الاساس و القاعدة الاولىٰ، و بنى لاصله هذا فلسفة عالية تحرک الفكر الانسانى نحو كل جمال و حق.

و اخرج الإسلام من حياة الايرانى الفكرية و العملية مئات الخرافات من أمثال: مواقفة اهورامزدا و اهريمن طوال تسعة آلاف من السنين، و القرابين التى قدمها زروان طوال الف عام كى يحصل على ولد، و توليده لاهريمن على أثرشكه فى قبول قربانه و نذره، و ادعية سجن الجن والشياطين، والتشريفات العجيبة لعبادة النيران، وتقديم الشراب والطعام للأموات على سطح البيوت، و سوق الحيوانات الوحشية و الطيور فى النار، و عبادة الشمس و القمر اربع مرات، و منع سطوع الشمس على النار، و منع دفن الاموات، و التشريفات الكثيرة العسيرة لمس الحائض و الاموات، و المنع عن الاستحمام بالماء الحار، و التبرک بالاغتسال ببول البقر، و... و

و اقرّ الإسلام عوضاً عن الوقوف امام الشمس او النار و التمتمات غير المعنية، و عوضاً عن تقليب النيران و التلثم بالپنام، و عوضا عن الركوع، أما النار و الطست ذات الثقوب التسعة(!) عبادة فى منتهى الحكمة و المعقولية و المعنوية و الكمال و اللطف... و ان الاذان و الصلاة و الصوم و الحج و الجماعة و الجمعة و المسجد و الذكر و الدعاء الملي بالمعارف و الحكم لشواهد حية على ماندعى و نقول.

ان الإسلام نسخ التفرقة بين سعادة الروح و البدن، و ردّ التضاد بين عمل الدنيا و الآخرة، و فنّد الفلسفات المبنية على الرياضة و الاعمال الشاقة، و ابطل تقديس التجرد ــ الموجود فى المسيحية و المانوية و المزدكية ــ و الذي كان ينتشر فى ايران اذ ذاک، و ذمّ الابتعاد عن النعم الطيبة الطاهرة فقال: «قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده، و الطيبات من الرزق»؟[٢١٧] و فى نفس الوقت أكد على تزكية النفس و تطهيرها فقال: «قد أفلح من زكاها و قد خاب من دسّاها»[٢١٨].

٢١٤ــ سورة الصافات: ١٨٠.

٢١٥ــ سورة الانعام: ١٠٣.

٢١٦ــ سورة الحديد: ٣ ــ ٤.

٢١٧ــ سورة الاعراف: ٣٢.

٢١٨ــ سورة الشمس: ٨.

ان الإسلام هدم أساس المجتمع الطبق الذي كان له تاريخ طويل، و القائم على عمادي: المال و العنصر، و الذي كانت القوانين و الآداب و المراسيم تدور دائر مدار هذين الأصلين، و بنى مجتمعاً استثنى من بنائه هذين العنصرين، بل مبنياً على عمادي: العلم والعمل والتقوى.

ان الإسلام محا نظام رجال الدين الطبق و المتوارث و المحترف، و أخرج الروحانية عن الاختصاص بطبقة خاصة، و جعلها على اصول الطهارة و العلم، من اي طبقة كان الشخص.

ان الإسلام قلع جذور فكرة ربوبية الملوك و سماويتهم الى الأبد، يقول كريستن سن:

«ان سلاطين الساسانيين كانوا يدعون أنفسهم فيما يكتبون: عبدة مزدا (مزديسين) و فى نفس الوقت كانوا يلقبون أنفسهم بأنهم (بغ ربانيين من عنصر يزدان) اله الخير»[٢١٩].

و يقول:

و كتب خسرو پرويز عن نفسه يقول: رجل من بنى آدم لكنه من بين الآلهة، و آله جليل بين بنى آدم»[٢٢٠].

و يقول ادوارد براون:

«يحتمل أن لانجد فى التاريخ اصلاً يذعن بموجبه للملوك بحقوق سماوية اكثر أتباعاً من هذا الاصل فى تاريخ ملوك ايران... و يقول نولدكه: ان الذي لا يكون من اسرة مالكة ــ مثل بهرام چوبين الذي كان من النجباء و طغى اومثل شهربراز ــ اذا غصب السلطة كان يكاد أن لايصدّق عمله، و اذا تحقق فلم يكن يحمل الا على الشرو فقدان الحياء! اذ كان الناس قد اعتادوا على أن يروا أن الملوكية لا تصلح الا فى الاسرة المالكة فقط».

ثم يستشهد ادوارد براون على ذلك بقصة فرار بهرام چوبين و لقائه بالعجوزومحاورته معها و تخطئتها له فيما يدعى من الملوكية مع اعترافه بانه ليس من الاسرة المالكة.

و كتب الدكتور محمود صناعى حينما أتى بنظرية بعض الفلاسفة الاوربيين فى السياسة بأنها تبتنى على حقوق الهية، يقول: «و ليست هذه النظريّة جديدة بل يجب أن نفتش عن جذورها فى تاريخنا نحن الايرانيين؛ و يبيّن هذا المعنى ما كان يعتقده الايرانيون القدماء: «فرة ايزدى»[٢٢١].

ان الإسلام حطّم هذا الاصل، فلم يبق مع الإسلام مجال لمثل هذا الكلام، حتى راى

٢١٩ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ٢٨٤.

٢٢٠ــ بالفارسية: ايران در زمان ساسانيان ص ٢٨٤.

٢٢١ــ آزادي فرد و قدرة ص ٥.

ابناء الصفارين و صيادي الاسماك و العبيد و الموالى و الدراويش حقاً لهم أن يدعوا صلاحية الملوكية فى ايران، اذ اعلى الإسلام فى الهمم وصعد بهم الى اسمى المراتب[٢٢٢].

و أصبح اعتماد الملوك فى العهد الإسلامى على استعداداتهم لاعناصرهم و دماهم.

ان الإسلام كما اخرج فكرة اختصاص روحانية الدين بطبقة خاصة من ذهن الايرانى، كذلك اخرج منه فكرة اختصاص الملوكية باسرة خاصة، ان الإسلام ذهب بفكرة الحكم الارستقراطى و الاشرافى عن الفكر الايرانى، و اوجد فيه فكرة اخرى ترجع اصولها الى حكم ديموقراطى اوقل حكم الشعب بالشعب.

ان الإسلام منح المرأة شخصية حقوقية قانونية. و ابطل تعدد الزوجات غير المشروط و غير المحدود، و انما أباحه بشرائط تبتنى على تساوي حقوق النساء و امكانات الزوج و فى حدود معينة يراعى فيها الضرورة الاجتماعية. و منع اباحة بضعها للاجنبى و اعارتها له، و استلحاق ولدها مع الاباحة، و الزواج النيابىّ، و الزواج بالمحارم من الاقارب، و الولاية المطلقة للزوج على المراة... ولم يكن الإسلام بركة للمسلمين فقط، بل اثر فى الزرادشتية و اوجب اصلاحها: فقد قال كريستن سن:

«حينما اطاح الإسلام بالدولة الساسانية التى كانت وراء رجال الزرادشتية، أدرك هؤلاء أن عليهم السعى لحفظ شريعتهم من التحلل الكامل، و تحقق هذا السعى: فقد طرح هؤلاء العقيدة بالزروان و الأساطير الصبيانية المحيطة بالزروان جانباً، و الغوا عبادة الشمس و القمر، و غيّروا كثيراً من احاديث دينهم بل حذفوا كثيراً منها، و تناسوا أقساماً من اوستا الساسانى و تفاسيره المزيجة بالافكار الزروانية، اوافنوها...»

و لا تقتصر معطيات الإسلام لايران و الايرانى على ما قدمه لهما فى القرن الاول، بل دفع الإسلام و لايزال يدفع كل خطر احدق او يحدق بهذا الوطن منذ ان أطل عليه، فالاسلام هو الذي صهر المغول فى بوتقته وصنع منهم ــ وهم الوحوش الكاسرة ــ اناساً يحبون الإنسان وثقافته و حضارته، فقد صنع من السطان الجايتو: محمد خدابنده، و صنع من الاود تيمور: الاميرحسين بايقرا و بايسنقر و شاهرخ و گوهرشاد و غيرهم...

والإسلام اليوم هو الذي يقف امام الفلسفات الغربية المحطمة، و هو الذي يجعل هذه الامة تشعر بالشرف و العزة و الكرامة و تحسّ بالاستقلال، فان الذي تتمكن هذه الامة من أن تفخر به و تبارى به الآخرين هو القرآن و نهج البلاغة لا الاوستا و لا الزند.

و هنا نختم الكلام حول معطيات الاسلام لايران.

و سنوضح فى القسم الثالث خدمات الايرانيين للإسلام. ان شاءالله.

٢٢٢ــ كان الصفاريون ابناء صفار، و الديالمة ابناء صياد أسماك، و الغزنويون ابناء الموالى و العبيد، و الصفويون ابناء درويش.